الموسوعة النفسانية

أعلام العلوم النفسانية

إصدارات: مؤسسة العلوم النفسية العربية 2026

عبد الرحمان إبراهيم

شارك في المراجعة

حبيبة الكردي
ليلى الصوافي
مقداس الصوافي
جوليا سليمان
أروى عباس
صبا علي
أمل مصطفى محمود

الفهـــــــــرس

حـــــرف الواو	4
مارغريت واشبرن Margaret Washburn	5
جون بروداس واطسن John Broadus Watson	14
وليام ألانسون وايت William Alanson White	25
روبرت وودورث Robert Woodworth	30
جيمس وورد James Ward	37
يوحنا وير Johann Weyer	45
دافيد ويكسلر David Wechsler	51
حـــــرف الياء	65
كارل ياسبرز Karl Jespers	66
روبرت يركز Robert Yerkes	101
كارل غوستافه يونغ Carl Gustav Jung	110
خاتمـــــــة	132

حـــرف "الـــواو"

مارغريت واشبرن Margaret Washburn

مارغريت واشبرن Margaret Washburn (1871– 1939) من قلائل النساء اللاتي درسن علم النفس في ذاك الوقت المبكر من تاريخه، وتميزن في مجاله بالإنتاج العلمي الغزير والرائد. تدرجت في المناصب الجامعية حتى درجة الأستاذ، ورأست معمل علم النفس التابع لكلية فاسار، وأشرفت على ثمانية وستين بحثاً خلال رئاستها من سنة 1905 حتى سنة 1938، ولها واحد وستون مقالاً نشرتها في المجلات العلمية المتخصصة، واشتهرت في بعضها بمحاولاتها التوفيق بين الاتجاه الاستبطاني والاتجاه السلوكي وهما جناحا الإحراج النفسي الأميركي في زمانها .

وتنتمي واشبرن للجيل الثاني من علماء النفس الأميركيين الذين تتلمذوا على أساتذة كبار تلقوا علومهم النفسية في ألمانيا، وعملوا تحت إشراف فونت Wilhelm Wundt (1832–1920)مؤسس علم النفس التجريبي، وتلقوا تدريبهم في معمله المشهور بلايبتسغ. ودرست واشبرن بجامعة كورنل، ورأسها تتشنر تلميذ فونت، وأشرف على رسالتها للدكتوراه (1894)، واختيرت لرئاسة رابطة علماء النفس الأميركيين (1921)، ونائبة الرئيس لجماعة التقدم العلمي الأميركية (1927)، وعضواً بجمعية علماء النفس التجريبيين (1929) خلفاً لتتشنر، وكانت ثاني امرأة تختار لعضوية الأكاديمية القومية للعلوم .

مارغريت واشبرن Margaret Washburn ((1871- 1939 من قلائل النساء اللاتي درسن علم النفس في ذاك الوقت المبكر من تاريخه، وتميزن في مجاله بالإنتاج العلمي الغزير والرائد

وتشتهر واشبرن بكتابها المرجع الجامع لكل ما تم تصنيفه من كتب في موضوع علم نفس الحيوان، والذي ظل لمدة ثلاثين عاماً أو نحوها المرجع الوحيد لطلاب علم النفس المقارن، والباحثين فيه والأساتذة على السواء، وأعطته عنوان "عقل الحيوان"The Animal Mind ، وتكررت طباعته ابتداءً من عام 1908 حتى عام 1938 .

وُلدت مارغريت فلوي واشبورن، الابنة الوحيدة لوالديها فرانسيس واشبورن وإليزابيث فلوي ديفيس، في مدينة نيويورك في 25 يوليو 1871. كان والدها رجل أعمال قبل أن يقرر الالتحاق بالخدمة الدينية في الكنيسة الأسقفية، بينما بقيت والدتها في المنزل ربة منزل ومربية لطفلتهما. لم تكن الأمور المالية تشكل عائقًا كبيرًا للعائلة، إذ كانت والدة واشبورن تنتمي إلى عائلة ثرية. تلقت تعليمها الابتدائي في مدارس خاصة وعامة، وتخرجت من المدرسة الثانوية عام 1886 عن عمر يناهز 15 عامًا..

لاحقًا, التحقت واشبورن بكلية فاسار في بوكيبسي، نيويورك، حيث برعت في مجالات عديدة، منها الكيمياء والفرنسية والشعر والفلسفة وعلم الأحياء واليونانية. بعد تخرجها من فاسار عام 1891، وجدت نفسها مفتونة بالفلسفة والعلوم على حد سواء، مما قادها إلى مختبر علم النفس الذي أُنشئ حديثًا في جامعة كولومبيا.

حضرت المحاضرات في كولومبيا بصفتها "مستمعة"، أي أنها لم يكن مسموح لها حضور المحاضرات الاّ كمراقبة، نظرًا لندرة قبول النساء في برامج الدراسات العليا في ذلك الوقت.. لاحقًا، التحقت بمدرسة سيغ للفلسفة في جامعة كورنيل مع عالم النفس التجريبي إدوارد ب. تيتشنر Edward Bradford Titchener (1867–1927).في عام 1894، نالت واشبورن لقب أول امرأة في الولايات المتحدة تحصل على درجة الدكتوراه في علم النفس.

تدرجت في المناصب الجامعية حتى درجة الأستاذ، ورأست معمل علم النفس التابع لكلية فاسار، وأشرفت على ثمانية وستين بحثاً خلال رئاستها من سنة 1905 حتى سنة 1938، ولها واحد وستون مقالاً نشرتها في المجلات العلمية المتخصصة

اشتهرت في بعض بمحاولاتها التوفيق بين الاتجاه الاستبطاني والاتجاه السلوكي وهما جناحا الإحراج النفسي الأميركي في زمانها.

بدأت واشبورن مسيرتها المهنية بالتدريس في عدد من الكليات. فمن عام 1894 إلى عام 1900، درّست الفلسفة وعلم النفس في كلية ويلز، وكانت تسافر باستمرار إلى جامعة كورنيل لمتابعة آخر المستجدات والأحداث والشخصيات التي ساهمت في ترسيخ مكانة كورنيل كمركزٍ رائدٍ في علم النفس. بعد ذلك بفترة وجيزة، أصبحت واشبورن عميدةً لكلية سيغ، مما أهّلها لاحقًا لتعيينها محاضرةً في دوراتٍ متخصصة، مثل علم النفس الاجتماعي وعلم نفس الحيوان.أمضت واشبورن فترةً قصيرةً في جامعة سينسيناتي قبل أن تعود إلى كلية فاسار عام 1903 كأستاذةٍ مشاركةٍ في الفلسفة، حيث بقيت حتى نهاية مسيرتها المهنية.

بفضل خبرتها الواسعة في سلوك الحيوان، لم يكن من المستغرب أن تكون واشبورن قد ألّفت كتابًا في علم النفس المقارن بعنوان "عقل الحيوان" (1908)، بالإضافة إلى رواية عن نظريتها الحركية للوعي بعنوان "الحركة والتصور الذهني" (1916). وفي الأعداد الأولى من "المجلة الأمريكية لعلم النفس"، شاركت واشبورن في تحريرها، وحازت على مكانة بين أفضل 50 عالم نفس في البلاد. ومن المثير للاهتمام أن واشبورن لم تتزوج قط، لأنها عاشت في عصر لم يكن يُسمح فيه للمرأة بالجمع بين دوري المعلمة والزوجة أو الأم.

عُرفت واشبورن بشخصيتها القوية وحسها الفكاهي اللاذع، إلى جانب حساسيتها لمشاعر الآخرين. وإلى جانب عملها في علم النفس، استمتعت واشبورن بأنشطة متنوعة كالعزف على البيانو والغناء والرقص والرسم الزيتي. كانت واشبورن مولعة بالقطط، لكنها كانت مفتونة أيضاً بالحيوانات الأخرى، وهو ما يُفسر على الأرجح اهتمامها بنشر أعمال في علم نفس الحيوان .

تعرضت واشبورن في عام 1937 لسكتة دماغية، ما أدى إلى تقاعدها (بمنصب أستاذ فخري في علم النفس). لم تتعافَ تمامًا وماتت في منزلها في بوكيبسي، نيويورك في 29 أكتوبر 1939. لم تتزوج مطلقًا، واختارت بدلًا من ذلك أن تكرس نفسها لحياتها المهنية ورعاية والديها.

تنتمي واشبرن للجيل الثاني من علماء النفس الأميركيين الذين تتلمذوا على أساتذة كبار تلقوا علومهم النفسية في ألمانيا، وعملوا تحت إشراف فونت Wilhelm Wundt (1832-1920) مؤسس علم النفس التجريبي

تشتهر واشبرن بكتابها المرجع الجامع لكل ما تم تصنيفه من كتب في موضوع علم نفس الحيوان، والذي ظل لمدة ثلاثين عاماً أو نحوها المرجع الوحيد لطلاب علم النفس المقارن، والباحثين فيه والأساتذة على السواء، وأعطته عنوان "عقل الحيوان The Animal Mind".

كما ذكرت سابقاً، كان من أبرز إنجازات واشبورن حصولها على درجة الدكتوراه في علم النفس الأمريكي (من جامعة كورنيل)، ورئاستها للجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) لتكون أول امرأة تحصل على هذه الدرجة. ورغم أنها لم تكن أول امرأة تُكمل برنامج الدكتوراه في الجامعة، إلا أنها كانت أول امرأة تُمنح درجة علمية في علم النفس. تُعدّ هذه الإنجازات بالغة الأهمية في مجال علم النفس، إذ مهّدت الطريق أمام نساء أخريات للالتحاق بالجامعات وإكمال برامج الدراسات العليا. كما أثبتت قدرة المرأة على شغل مناصب رفيعة في الجمعيات النفسية.

نشرت واشبورن أيضًا العديد من الكتب، بعضها ذُكر بإيجاز في فقرات سابقة، والتي تُفصّل دراساتها التجريبية ونظرياتها. ومن أبرز كتبها كتاب "عقل الحيوان" الذي نُشر عام 1908. وقد مثّل هذا الكتاب عرضًا شاملًا للتجارب التي أجرتها على الإدراك الحيواني، إلى جانب دراسات أخرى متعلقة بعلم نفس الحيوان. أصبح "عقل الحيوان" مرجعًا أساسيًا في دراسة علم نفس الحيوان، وصدرت منه طبعات عديدة على مرّ الزمن. وظلّ مرجعًا رئيسيًا في كتب علم النفس لما يقرب من 25 عامًا.

ظهرت نظريتها الأكثر شيوعًا في كتابها "الحركة والتصور الذهني" عام 1916، حيث طرحت نظريتها الحركية للوعي. ببساطة، تنص نظريتها على أن الوعي والنشاط الحركي مرتبطان، وبالتالي، فإن التفكير والحركة مرتبطان. كانت هذه إحدى أولى الفرضيات المدعومة علميًا حول العلاقة بين العقل والجسم، وتحديدًا حركة الجسم. لا تزال الأفكار المتعلقة بالحركة والتفكير قيد الدراسة حتى اليوم، حيث تشير دراسة حديثة إلى أن الحركة والنشاط البدني قد يؤديان إلى تغييرات في التفكير الإدراكي، وقد يساعدان في تعزيز الاحتياطي المعرفي. من المحتمل أن هذه الدراسات الحديثة ما كانت لتُجرى لولا أعمال واشبورن.

وُلدت مارغريت فلوي واشبورن، الابنة الوحيدة لوالديها فرانسيس واشبورن وإليزابيث فلوي ديفيس، في مدينة نيويورك في 25 يوليو 1871.

حضرت المحاضرات في كولومبيا بصفتها "مستمعة"، أي أنها لم يكن مسموح لها حضور المحاضرات الا كمراقبة، نظرًا لندرة قبول النساء في برامج الدراسات العليا في ذلك الوقت

بدأت واشبورن مسيرتها المهنية بالتدريس في عدد من الكليات. فمن عام 1894 إلى عام 1900، درّست الفلسفة وعلم النفس في كلية ويلز

نشرت واشبورن أعمالًا على مدار 35 عامًا من حياتها، تضمنت جميعها دراسات ومقالات من تأليفها. وكانت أيضًا أول امرأة تُنتخب لعضوية جمعية علماء النفس التجريبيين، وهي هيئة أكاديمية لعلم النفس التجريبي أسسها إدوارد برادفورد تيتشنر عام 1904، والذي كان يمنع النساء في البداية من الانضمام إليها.. وبفضل هذه الدعوة، وكونها أول امرأة تحصل على درجة الدكتوراه في علم النفس، تُعتبر واشبورن رائدةً للنساء في هذا المجال. كما أظهر عملها المتواصل في هذا المجال ونجاحها في النشر أن النساء قادرات على العمل والازدهار في الأوساط الأكاديمية والبحث التجريبي، وهو أمر كان يُعتقد في ذلك الوقت أنهن غير مناسبات له.

ربما كان عالم النفس جيمس ماكين كاتيل James McKeen Cattell (1860–1944)أول شخصية مؤثرة في حياة واشبورن. مع ذلك، كان لوالديها تأثير كبير عليها طوال حياتها من خلال اهتماماتهما الأدبية المشتركة وتشجيعهما لها. سُمح لواشبورن بحضور محاضرات كاتيل في جامعة كولومبيا، حيث أوصى لاحقًا بالتقدم إلى جامعة كورنيل. قادها هذا إلى عالم النفس الشهير إدوارد ب. تيتشنر، لتصبح أول طالبة دكتوراه لديه. بعد عام في جامعة كورنيل، حصلت واشبورن على درجة الماجستير غيابيًا عام 1893. وفي عام 1894، مُنحت درجة الدكتوراه من جامعة كورنيل، وهو ما تأثر بشكل كبير بتوصية تيتشنر. اذ أثبتت توصيته جدواها، إذ لم تكن تُمنح النساء شهادات جامعية في ذاك الوقت، وكان من النادر جدًا أن يحصلن على توصيات من الرجال في مجال علم النفس.

أثرت واشبورن في العديد من الأشخاص طوال مسيرتها المهنية، ولكن الأهم من ذلك، أن طلابها كانوا يكنّون لها احترامًا كبيرًا، وقد حقق بعضهم نجاحًا باهرًا. وبالنظر إلى نجاحها، فقد مهدت واشبورن الطريق أمام الجيل التالي من عالمات النفس. ومن بين النساء البارزات الأخريات في علم النفس

كانت تسافر باستمرار إلى جامعة كورنيل لمتابعة آخر المستجدات والأحداث والشخصيات التي ساهمت في ترسيخ مكانة كورنيل كمركزٍ رائدٍ في علم النفس

أصبحت واشبورن عميدةً لكلية سيغ، مما أهّلها لاحقًا لتعيينها محاضرةً في دوراتٍ متخصصة، مثل علم النفس الاجتماعي وعلم نفس الحيوان

في الأعداد الأولى من "المجلة الأمريكية لعلم النفس"، شاركت واشبورن في تحريرها، وحازت على مكانة بين أفضل 50 عالم نفس في البلاد

خلال تلك الفترة كريستين لاد فرانكلين Christine Ladd-Franklin (1847-1930)وماري ويتون كالكنز Mary Whiton Calkins (1863-1930).شكلت هؤلاء النساء الثلاث بداية حركة لتغيير النظرة السائدة عن المرأة، مُثبتات للرجال أن لدى النساء الكثير ليقدمنه في مجال علم النفس وغيره من مجالات الخبرة.

على غرار واشبورن، عملت جون إيتا داوني June Downey (1875-1932)مع إدوارد ب. تيتشنر في جامعة كورنيل عام 1901. كانت داوني مهتمة أيضاً بدراسة السلوك الحركي، ويمكن افتراض أنها استلهمت من واشبورن بطريقة أو بأخرى، خاصةً وأن كلتيهما درستا مع تيتشنر. الفرق الوحيد هو أن داوني ركزت أكثر على الشخصية، وعلم الخط، وعلم الجمال، وهو ما يختلف تماماً عن علم نفس الحيوان وإدراكه.

واجهت النساء في مجال علم النفس خلال تلك الفترة صعوبة في الحصول على التعليم المناسب، إذ كان هذا المجال حكرًا على الرجال. وبشكل أدق، لم تُتح للنساء المتزوجات أو اللواتي لديهن أطفال فرصٌ تُذكر للتفوق في هذا المجال. بل إن بعض النساء حُرِمْنَ من الشهادات التي استحقّنها، وإن حصلن عليها، فقد واجهن صعوبةً بالغةً في إيجاد وظائف تُوظّف النساء. يُفترض أن واشبورن اختارت عدم الزواج لعلمها أن الزواج قد يُؤخر أو يُعيق مسيرتها المهنية في علم النفس. لذا كرّست حياتها لمهنتها وبحوثها. حتى أنها، بعد ماري ويتون كالكنز، شغلت منصب رئيسة الجمعية الأمريكية لعلم النفس، ونالت شرفًا رفيعًا بانضمامها إلى زمالة الأكاديمية الوطنية للعلوم، لتكون ثاني امرأة تنال هذا الشرف.

يُعتبر عصر واشبورن، أو أوائل القرن العشرين، العصر التقدمي، ويُوصف بأنه فترة سلام وازدهار وتقدم. كان وعد الوظائف والأجور المرتفعة

إلى جانب عملها في علم النفس، استمتعت واشبورن بأنشطة متنوعة كالعزف على البيانو والغناء والرقص والرسم الزيتي

تعرضت واشبورن في عام 1937 لسكتة دماغية، ما أدى إلى تقاعدها (بمنصب أستاذ فخري في علم النفس). لم تتعافَ تمامًا وماتت في منزلها في بوكيبسي، نيويورك في 29 أكتوبر 1939

كان من أبرز إنجازات واشبورن حصولها على درجة الدكتوراه في علم النفس الأمريكي (من جامعة كورنيل)، ورئاستها للجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) لتكون أول امرأة تحصل على هذه الدرجة

سببًا كافيًا لكثير من الناس للانتقال إلى المدن الكبرى في الولايات المتحدة، مما أدى إلى مشاكل للطبقات الدنيا والعاملة، بما في ذلك المجاعة، ونقص المياه، والأمراض، والاكتظاظ السكاني. ومع ذلك، ولأن واشبورن كانت تُعتبر من الطبقة المتوسطة العليا، فقد وفّر العصر التقدمي فوائد لعائلتها، ولا شك أن هذه الميزة ساهمت في فرصها ونجاحها.

كان لواشبورن أثرٌ بالغٌ في مجال علم النفس. اذ شكّل عملها في علم نفس الحيوان والإدراك إسهامها الأول، وعكس كتابها "عقل الحيوان" أهمية دراسة تأثير الدماغ على سلوك الحيوان، بما في ذلك الإدراك والانتباه والتعلم والإحساس. ما ميّز هذا الكتاب عن غيره من الدراسات الحيوانية هو تنوّع الحيوانات التي اختارتها واشبورن لاستخدامها في بحثها؛ إذ اقتصرت التجارب النفسية الأخرى على الفئران في ذلك الوقت. قادها عملها إلى استنتاج أن العمليات العقلية ووعي الحيوانات يُشابهان مثيليهما لدى البشر، لأن الحيوانات تمتلك نفس البنية العقلية للبشر, ظلّ كتاب "عقل الحيوان" مرجعًا أساسيًا في علم النفس لمدة 25 عامًا، ما يُبرز أثر عمل واشبورن.

أسهمت واشبورن أيضًا بنظريتها حول الوعي الحركي في عالم علم النفس. تُبين هذه النظرية أن الوعي مرتبط بالحركة. وقد مثّلت هذه النظرية محاولتها للفصل بين السلوكية والبنيوية، وهما نظامان رئيسيان في علم النفس. انتقدت واشبورن المنظور البنيوي ودققت فيه، واستخدمت هذه الانتقادات لصياغة نظريتها الخاصة, يُظهر تطور هذه النظرية دافع واشبورن الفكري، الذي يُرجح أنه كان الدافع وراء إسهاماتها اللاحقة في مجال علم النفس.

كان من أبرز إنجازات واشبورن حصولها على درجة الدكتوراه في علم النفس الأمريكي (من جامعة كورنيل)، ورئاستها للجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) لتكون أول امرأة تحصل على هذه الدرجة

رغم أنها لم تكن أول امرأة تُكمل برنامج الدكتوراه في الجامعة، إلا أنها كانت أول امرأة تُمنح درجة علمية في علم النفس.

من أبرز كتبها كتاب "عقل الحيوان" الذي نُشر عام 1908. وقد مثّل هذا الكتاب عرضًا شاملًا للتجارب التي أجرتها على الإدراك الحيواني، إلى جانب دراسات أخرى متعلقة بعلم نفس الحيوان

عموماً، في وقتٍ كان يُثبط فيه النساء وذوو البشرة الملونة عن مواصلة التعليم، بل ويُحظر عليهم ذلك في بعض الأماكن، شكّل حصول واشبورن على شهادتها نقطة تحوّلٍ هامة في علم النفس. فقد أظهر تفانيها وعملها الدؤوب أن النساء قادرات على تحقيق الإنجازات الأكاديمية تماماً كالرجال. ولولا مثابرة واشبورن، لكان من الممكن أن يستغرق الأمر وقتاً أطول بكثير قبل أن تُدمج النساء في مجال علم النفس.

نشرت واشبورن أعمالًا على مدار 35 عامًا من حياتها، تضمنت جميعها دراسات ومقالات من تأليفها. وكانت أيضًا أول امرأة تُنتخب لعضوية جمعية علماء النفس التجريبيين

ملخص..

من قلائل النساء اللاتي درسن علم النفس في ذلك الوقت المبكر من تاريخه، وتميزن في مجاله بالإنتاج العلمي الغزير والرائد. تدرجت في المناصب الجامعية حتى درجة الأستاذ، ورأست معمل علم النفس التابع لكلية فاسار، وأشرفت على ثمانية وستين بحثاً خلال رئاستها من سنة 1905 حتى سنة 1938، ولها واحد وستون مقالاً نشرتها في المجلات العلمية المتخصصة، واشتهرت في بعضها بمحاولاتها التوفيق بين الاتجاه الاستبطاني والاتجاه السلوكي وهما قرنا الإحراج النفسي الأميركي في زمانها .

وتنتمي واشبرن للجيل الثاني من علماء النفس الأميركيين الذين تتلمذوا على أساتذة كبار تلقوا علومهم النفسية في ألمانيا، وعملوا تحت إشراف فونت مؤسس علم النفس التجريبي، وتلقوا تدريبهم في معمله المشهور بلايبتسغ. ودرست واشبرن بجامعة كورنل، ورأسها تتشنر تلميذ فونت، وأشرف على رسالتها للدكتوراه (1894)، واختيرت لرئاسة رابطة علماء النفس الأميركيين (1921)، ونائبة الرئيس لجماعة التقدم العلمي الأميركية (1927)، وعضواً بجمعية علماء النفس التجريبيين (1929) خلفاً لتتشنر، وكانت ثاني امرأة تختار لعضوية الأكاديمية القومية للعلوم .

أظهر عملها المتواصل في هذا المجال ونجاحها في النشر أن النساء قادرات على العمل والازدهار في الأوساط الأكاديمية والبحث التجريبي، وهو أمر كان يُعتقد في ذلك الوقت أنهن غير مناسبات له

أثرت واشبورن في العديد من الأشخاص طوال مسيرتها المهنية، ولكن الأهم من ذلك، أن طلابها كانوا يكنّون لها احترامًا كبيرًا، وقد حقق بعضهم نجاحًا باهرًا.

وتشتهر واشبرن بكتابها المرجع الجامع لكل ما تم تصنيفه من كتب في موضوع علم نفس الحيوان، والذي ظل لمدة ثلاثين عاماً أو نحوها المرجع الوحيد لطلاب علم النفس المقارن، والباحثين فيه والأساتذة على السواء، وأعطته عنوان "عقل الحيوان"The Animal Mind ، وتكررت طباعته ابتداءً من سنة 1908 حتى سنة 1938 .

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا
- د. متاس الصوافه – السويد
- د. جوليا سليمان – لبنان
- د. أروى عباس – سوريا
- ا.د. صبا علي –سوريا
- د. أمل مصطفى محمود – مصر

بالنظر إلى نجاحها، فقد مهدت واشبورن الطريق أمام الجيل التالي من عالمات النفس. ومن بين النساء البارزات الأخريات في علم النفس خلال تلك الفترة كريستين لاد فرانكلين Christine Ladd-Franklin ((1847-1930 وماري ويتون كالكنز Mary Whiton Calkins (1863-1930).

واجهت النساء في مجال علم النفس خلال تلك الفترة صعوبة في الحصول على التعليم المناسب، إذ كان هذا المجال حكرًا على الرجال

John Broadus Watson جون بروداس واطسن

جون برواسواطسن John Broadus Watson (1878 - 1958)، السلوكي الأميركي الأشهر، وله الريادة في صياغة المذهب السلوكي والدعوة له عبر وسائل الإعلام الأميركية، حتى أصبحت مفاهيمه العامة واصطلاح السلوكية من الأمور المألوفة للمواطن الأميركي العادي

جون برواس واطسن – John Broadus Watson (1878 – 1958)، السلوكي الأميركي الأشهر، وله الريادة في صياغة المذهب السلوكي والدعوة له عبر وسائل الإعلام الأميركية، حتى أصبحت مفاهيمه العامة واصطلاح السلوكية من الأمور المألوفة للمواطن الأميركي العادي، وقيل إن شهرة واطسن بسبب دعايته لنفسه حتى نافست شهرته شهرة سيغموند فرويد في مجال علم النفس عند الجمهور الأمريكي .

يُعدّ واطسون شخصيةً بارزةً واشكالية في تاريخ علم النفس. رغم أن بعض الباحثين يُشكّكون في كونه مؤسس الحركة السلوكية، إلا أنه كان مُروّجًا بارزًا لها، ويُقرّ العديد من علماء النفس الذين اقترحوا فروعًا جديدةً منها بتأثرهم المباشر به. وقد قرأ معظم علماء النفس، ومحللي السلوك، عن واطسون أو سمعوا عنه في مرحلةٍ ما من مسيرتهم المهنية .

من رأي واطسن أن علم النفس ينبغي أن يكون علماً طبيعياً وليس من العلوم الاجتماعية، وأن يقطع صلته بماضيه غير العلمي، وأن يقصر بحوثه على دراسة السلوك، أو دراسة الاستجابات على المنبهات البيئية. وخلال الثلاثينات من القرن العشرين كانت مدرسة علم النفس الواطسوني هي المدرسة الغالبة على الفكر النفسي، إلا أن تلاميذ واطسن والمتابعين له من بعد عدلوا الكثير في نظريته. والدراسات النفسية على السلوك من المسائل الشائعة الآن حتى في غير المدرسة السلوكية، وكانت كذلك منذ ماكس ماير

Max Friedrich Meyer (1873–1967)وبافلوف Иван Петрович Павлов (1849–1936)وغيرهما الذين طالبوا بعلم نفس موضوعي .

وُلد واطسن في 9 يناير 1878. كان والده، بيكنز بتلر واطسون، مدمنًا على الكحول، ترك العائلة ليعيش مع امرأتين هنديتين عندما كان جون في الثالثة عشرة من عمره، وهو ذنب لم يغفره له أبدًا. أما والدته، إيما كيسيا واطسون (كانت تدعى رو)، فكانت امرأة متدينة للغاية، ملتزمة بتحريم شرب الكحول والتدخين والرقص، سمّت ابنها جون تيمنًا بقسيس معمداني بارز، على أمل أن يساعده ذلك على تلقي دعوة التبشير بالإنجيل. وفي تربيته، أخضعت واطسون لتدريب ديني قاسٍ، مما أدى لاحقًا إلى تنمية كراهية دائمة لديه تجاه جميع أشكال الدين، وإلى أن يصبح ملحدً.

في محاولةٍ للهروب من الفقر، باعت والدة واطسون مزرعتهم وأحضرته إلى غرينفيل، كارولاينا الجنوبية ، لتوفير فرصة أفضل له للنجاح. كان الانتقال من منطقة ريفية معزولة إلى مدينة غرينفيل الكبيرة ذا أهمية بالغة لواطسون، إذ أتاح له فرصة التعرف على أنواع مختلفة من الناس، وهو ما استغله لتطوير نظرياته في علم النفس. مع ذلك، شكّل الانتقال الأولي تحديًا لواطسون، نظرًا لمهاراته الاجتماعية المحدودة.

وحصل واطسن على الدكتوراه من جامعة شيكاغو (1903)، وكان موضوعها التعلم عند الحيوان، واستفاد من تجارب ثورندايك Edward Lee Thorndike (1874–1949)ونظرياته، وأجرى بحوثه على الذكاء عند الحيوان، وشملت تجاربه دراسات لسلوك الطيور والقرود والفئران. وعندما عيّن أستاذاً لعلم النفس بجامعة جونز هوبكنز، أنشأ بها معملاً للبحوث في مجال علم نفس الحيوان أو علم النفس المقارن، وبدأ في نشر أوائل إصداراته في علم النفس السلوكي، ومن ذلك المقال الذي نشره في المجلة النفسية التي كان

قيل إن شهرة واطسن بسبب دعايته لنفسه حتى نافست شهرته شهرة سيغموند فرويد في مجال علم النفس عند الجمهور الأمريكي

يُعدّ واطسون شخصيةً بارزةً واشكالية في تاريخ علم النفس. رغم أن بعض الباحثين يُشكّكون في كونه مؤسس الحركة السلوكية، إلا أنه كان مُروّجًا بارزًا لها

من رأي واطسن أن علم النفس ينبغي أن يكون علماً طبيعياً وليس من العلوم الاجتماعية، وأن يقطع صلته بماضيه غير العلمي، وأن يقصر بحوثه على دراسة السلوك، أو دراسة الاستجابات على المنبهات البيئية

يرأسها، والذي أعطاه عنواناً "علم النفس كما يراه السلوكي Psychology as a Behaviorist Views It" (1913). وقيل أن هذا المقال هو الذي طبع الفكر النفسي في تلك المرحلة بطابعه، وإنه لذلك مقال تاريخي. وذهب فيه واطسن إلى أن علم النفس هو علم السلوك البشري، وإن هذا السلوك ينبغي دراسته مضبوطاً كموضوعات العلوم، كالكيمياء والفيزياء وغيرهما، وفي ظروف معامل التجريب المقننة. ومن التقنيات التي اتبعها والتي اعتبرها موضوعية كشروط للبحث في علم النفس السلوكي، اختبارات الذكاء، وحساب زمن رد الفعل، والأداء والمهارات الحركية، واستبيانات الشخصية، والمقابلات. وكان كتابه الرئيسي الأول "السلوك: مقدمة في علم النفس المقارن Behavior: An Introduction to Comparative Psychology" (1914)، دافع فيه بحرارة عن استخدام الحيوانات في الدراسات النفسية، ووصف الغريزة بأنها سلسلة من الانعكاسات التي تنشطها الوراثة. ثم دعا إلى استخدام الإشراط كوسيلة تجريبية مثالية سنة 1916، واعتبره أساس التفكير والتعلم، واعتبر الكلام نتيجة مشروطة وأساساً للتفكير، ووصف العادة بأنها استجابة مشروطة مركبة.

جادل واتسون بأن النشاط العقلي لا يمكن ملاحظته. في كتابه "السلوكية " (1924)، ناقش واتسون أفكاره حول ماهية اللغة، مما قاده إلى مناقشة ماهية الكلمات، وصولًا إلى شرح ماهية الذاكرة .جميعها أدوات يدوية يستخدمها البشر تؤدي إلى التفكير . ومن خلال استخدام حكايات توضح سلوكيات وأنشطة الثدييات، أوضح واتسون وجهات نظره السلوكية حول هذه المواضيع.

يشير واتسون إلى اللغة على أنها "عادة تلاعبية"، لأن الصوت عندما نتحدث ينشأ من الحنجرة ، وهي عضو في الجسم نتحكم فيه في كل مرة نتحدث فيها لنسمع "صوتنا". ومع تغيير شكل الحلق وموضع اللسان، تُصدر أصوات مختلفة. يوضح واتسون أن بكاء الطفل لأول مرة، أو نطقه "دا" أو

خلال الثلاثينات من القرن العشرين كانت مدرسة علم النفس الواطسوني هي المدرسة الغالبة على الفكر النفسي، إلا أن تلاميذ واطسن والمتابعين له من بعد عدلوا الكثير في نظريته

وُلد واطسن في 9 يناير 1878. كان والده، بيكنزبتلر واطسون، مدمنًا على الكحول، ترك العائلة ليعيش مع امرأتين هنديتين عندما كان جون في الثالثة عشرة من عمره، وهو ذنب لم يغفره له أبدًا

"ما" لأول مرة، يُعد بداية لتعلمه اللغة. ولتعزيز نظريته، أجرى واتسون وزوجته تجربةً دربوا فيها طفلاً على قول "دا– دا" عندما يريد زجاجة الحليب. ورغم نجاح الطفل في التدريب لفترة وجيزة، إلا أن هذا التدريب تلاشى في النهاية. ومع ذلك، يجادل واتسون بأنه مع تقدم الطفل في السن، بدأ يقلده نتيجةً لتقليد واتسون له. وبحلول سن الثالثة، لم يعد الطفل بحاجة إلى مساعدة في تنمية مفرداته لأنه كان يتعلم من الآخرين. وهكذا، فإن اللغة عملية محاكاة

يزعم واتسون لاحقًا أن "الكلمات ليست سوى بدائل للأشياء والمواقف". في تجربته السابقة على طفل رضيع، تعلم الطفل أن يقول "دا" عندما يريد زجاجة، أو "ماما" عندما يريد أمه، أو "شودا" عندما يشير إلى حذاء والده. ثم يجادل واتسون بأن "الأطفال يراقبون فرصهم ويبنون عليها"، مما يعني أن الأطفال الرضع يشكلون لغتهم باستخدام الأصوات التي سبق لهم تكوينها. ويقول واتسون إن هذا هو السبب في أن الأطفال يشيرون إلى شيء ما لكنهم يسمونه بكلمة مختلفة. أخيرًا، يشرح واتسون كيف يتعلم الطفل قراءة الكلمات: تشير الأم إلى كل كلمة وتقرأها بطريقة نمطية، وفي النهاية، لأن الطفل يتعرف على الكلمة من خلال صوتها، فإنه يتعلم قراءتها.

بحسب واتسون، هذه هي بداية الذاكرة. جميع الأفكار المذكورة سابقًا هي ما يُشكّل، كما يقول واتسون، ذاكرتنا، وأننا نحمل الذاكرة التي نُطوّرها طوال حياتنا. وجادل واتسون بأنه إذا قام الرجلان ببعض أنشطتهما المشتركة القديمة وذهبا إلى بعض الأماكن نفسها القديمة (المحفزات)، فستحدث الاستجابة (أو الذاكرة)

وكان واتسون مهتمًا بتكييف المشاعر. وبطبيعة الحال، مع تركيز المدرسة السلوكية على السلوكيات الخارجية للأفراد، اعتُبرت المشاعر مجرد استجابات جسدية. اعتقد واتسون أن هناك ثلاث ردود فعل عاطفية غير مكتسبة عند الولادة :

كان الانتقال من منطقة ريفية معزولة إلى مدينة نيويورك الكبيرة ذا أهمية بالغة لواطسون، إذ أتاح له فرصة التعرف على أنواع مختلفة من الناس، وهو ما استغله لتطوير نظرياته في علم النفس

حصل واطسن على الدكتوراه من جامعة شيكاغو (1903)، وكان موضوعها التعلم عند الحيوان، واستفاد من تجارب ثورندايك Edward Lee Thorndike (1874-1949) ونظرياته، وأجرى بحوثه على الذكاء عند الحيوان

•الخوف : ينشأ من محفزين فقط غير مشروطين – ضوضاء مفاجئة أو فقدان الدعم (الجسدي). مع ذلك، ولأن الأطفال الأكبر سنًا يخافون من أشياء كثيرة (مثل الحيوانات المختلفة، والأشخاص الغرباء، إلخ)، فلا بد أن هذه المحفزات المثيرة للخوف مكتسبة. يمكن ملاحظة الخوف لدى الرضع من خلال ردود الفعل التالية: البكاء، والتنفس السريع، وإغلاق العينين، أو القفز المفاجئ.

•الغضب : رد فعل فطري لتقييد حركة الطفل. فإذا مُنِعَ طفل صغير من الحركة تمامًا، فإنه سيبدأ بالصراخ وتصلب جسده. لاحقًا، يتكرر هذا الرد في مواقف مختلفة، كالغضب عند إجبار الطفل على الاستحمام أو تنظيف غرفته. تُثير هذه المواقف الغضب لارتباطها بالتقييد الجسدي.

•الحب : استجابة تلقائية من الرضع عند دغدغتهم أو التربيت عليهم أو مداعبتهم برفق. يستجيب الرضيع بالابتسام والضحك وغيرها من مظاهر المودة. ووفقًا لواتسون، فإن الرضع لا يحبون أشخاصًا محددين، بل يتم تدريبهم على ذلك. ولأن وجه الأم يرتبط تدريجيًا بالتربيت والمداعبة، يصبح هو المحفز الشرطي الذي يثير المودة تجاهها. ومشاعر المودة تجاه الآخرين لاحقًا تولد الاستجابة نفسها لأنها مرتبطة بطريقة أو بأخرى بالأم.

ودخل واطسون سنة 1918 ميدان دراسة الأطفال الرضع، وهو ميدان لم يكن قد اكتُشف بعد. وفي إحدى تجاربه المشهورة أشرط الخوف من الفئران البيضاء في طفل لم يتجاوز عمره أحد عشر شهراً، وعمم هذا الخوف إلى كل ما له فراء أبيض. وفي دراسة أخرى أثبت تجريبياً أن المخاوف يمكن التغلب عليها كذلك بالإشراط .

وأصدر واطسن كتباً أخرى حددت موقفه أكثر، وألقت المزيد من الضوء على ما يقصده بالسلوكية، ومن ذلك كتابه الهام الآخر "علم النفس من وجهة نظر السلوكي Psychology from the Standpoint of a

عندما عيّن أستاذاً لعلم النفس بجامعة جونز هوبكنز، أنشأ بها معملاً للبحوث في مجال علم نفس الحيوان أو علم النفس المقارن، وبدأ في نشر أوائل إصداراته في علم النفس السلوكي

ذهب فيه واطسن إلى أن علم النفس هو علم السلوك البشري، وإن هذا السلوك ينبغي دراسته مضبوطاً كموضوعات العلوم، كالكيمياء والفيزياء وغيرهما، وفي ظروف معامل التجريب المقننة

وحاول فيه أن يبسط مبادئ ومناهج علم النفس Behaviorist" (1919)
المقارن إلى مجال الدراسات على السلوك الإنساني، ودافع بشدة عن استخدام الإشراط في البحث .

وفجأة اضطربت حياته كلها، فقد ضبطته زوجته ماري واطسن Mary Ickes Watsonالتي كانت تعمل مساعدة له أيضاً- ضبطته في حالة خيانة زوجية مع مساعدته الأخرى روزالي واينر Rosalie Alberta Rayner (1898-1936)، واتهمته رسمياً بالقضاء، وكانت تحقيقات كثيرة وطويلة، وفضيحته شاركت فيها أجهزة الإعلام، مما جعل الجامعة تطلب منه الاستقالة فاضطر إلى الاستقالة من الجامعة وانسحب من التدريس الجامعي تماماً (1920) ولم يجد إلا مجال الدعاية والإعلان الذي كان متمرساً به بحكم اشتراكه في تحرير ورئاسة الكثير من المجلات العلمية. ثم تزوج من روزالي في السنة التالية. ومما شاركته فيه زوجته الأولى من بحوث ونشر لهما بمجلة السلوك الحيواني "دراسة استجابات القوارض على الضوء الأحادي اللون" (1913)، ومما شاركه فيه زوجته الثانية البحث المعنون "ردود الفعل العاطفية" (1920)، ونشره آيزنك في كتابه "العلاج السلوكي والأعصبة". ولم يصدر لواطسن في هذه الأثناء عمل ذو بال إلا كتاب "السلوكية Behaviorism" (1925) كتبه للقارئ غير المختص، ثم كتاب "العناية النفسية بالرضيع والطفل Psychological Care of Infant and Child" (1928).

والواقع أن فضيحة واطسن التي قضت عليه كعالم نفس مرموق وواعد، نبهته إلى أشياء كثيرة مما أُخذ على مذهبه أو نسقه العلمي، ويبدو بها كما لو أن القصور في المذهب أو النسق كان بسبب القصور في شخصيتة نفسه، اذ كان شديد السخرية من الفلسفة، وأبدى الندم في مناسبات كثير على تضييعه لسنوات من عمره في دراستها، ولم يكن يأبه أن يظهر أمام الناس

وصف الغريزة بأنها سلسلة من الانعكاسات التي تنشطها الوراثة. ثم دعا إلى استخدام الإشراط كوسيلة تجريبية مثالية سنة 1916، واعتبره أساس التفكير والتعلم، واعتبر الكلام نتيجة مشروطة وأساساً للتفكير، ووصف العادة بأنها استجابة مشروطة مركبة.

ناقش واتسون أفكاره حول ماهية اللغة، مما قاده إلى مناقشة ماهية الكلمات، وصولًا إلى شرح ماهية الذاكرة

كان واتسون مهتمًا بتكييف المشاعر. وبطبيعة الحال، مع تركيز المدرسة السلوكية على السلوكيات الخارجية للأفراد، اعتُبرت المشاعر مجرد استجابات جسدية

بما لا يحمد من السلوك، وكان يأخذ على أجهزة الإعلام أنها لم تتركه لحاله، ورفض أن تناقشه الجامعة في سلوكه مع مساعدته في المعمل التجريبي الذي كان يرأسه. ولم ينل تجريبه على أولاده من ماري زوجته الأولى، وخاصة طفله الوليد منها، رضا الناس لما عرفوا به.

وكذلك فضحه أحد أولاد زوجته الثانية وشهد ضده في المحكمة أنه كان يُخضعه لتجاربه الإشراطية ولم يعالجه من المخاوف التي بثها في نفسه. ولما خدم في البحوث العسكرية خلال الحرب العالمية الأولى، ندد بشدة بالسلك العسكري جميعه، واتهم الضباط الذين عملوا معه بعدم الكفاءة وقلة الأدب والغطرسة .

وزجته الاولى ماري إيكس، كانت شقيقة السياسي ووزير الداخلية هارولد إل. إيكس Harold LeClair Ickes، أثناء دراسته العليا. وأنجبا طفلين، هما جون وماري، حاولت ماري الانتحار لاحقًا. أنجبت ماري الشابة من زوجها، بول هارتلي، ابنةً تُدعى ماريت هارتلي، وهي ممثلة عانت من مشاكل نفسية عزتها إلى تربيتها وفقًا لنظريات جدها.

في عام 1921، وبعد إتمام إجراءات الطلاق، تزوج واطسون ورايز وأنجبا ولدين، ويليام (1921) وجيمس (1924)، اللذين تربيا على المبادئ السلوكية التي تبناها واطسون طوال حياته المهنية. وبقي الزوجان معًا حتى وفاة راينر عن عمر يناهز 36 عامًا. في عام 1935 ومثل أختهما غير الشقيقة ماري، حاول كلا الابنين الانتحار لاحقًا، حيث انتحر ويليام عام 1954 .

لم يخل واطسون نفسه من الغطرسة وهو يقول في كتابه الأخير "السلوكية" (1925) عبارته المشهورة: أعطوني دستة أطفال أصحاء وأسوياء، وأنا أصنع منهم عشوائياً ودون اختيار أطباء ومحامين وفنانين وتجاراً مرموقين، أو حتى شحاذين ولصوصاً، بصرف النظر عما قد يكون أو لا يكون لهم من مواهب وميول وقدرات، ومهما كانت أصولهم العرقية.

الخوف : ينشأ من محفزين فقط غير مشروطين – ضوضاء مفاجئة أو فقدان الدعم (الجسدي).

الغضب : رد فعل فطري لتقييد حركة الطفل. فإذا مُنِعَ طفل صغير من الحركة تمامًا، فإنه سيبدأ بالصراخ وتصلب جسده

الحب : استجابة تلقائية من الرضع عند دغدغتهم أو التربيت عليهم أو مداعبتهم برفق. يستجيب الرضيع بالابتسام والضحك وغيرها من مظاهر المودة

دخل واطسون سنة 1918 ميدان دراسة الأطفال الرضع، وهو ميدان لم يكن قد اكتُشف بعد

واضح أن واطسون كان من أنصار البيئة، أو كما نقول كان بيئياً environmentalist، وكان ضد الوراثة ولا يؤمن بها، وضد الفطرة، ولم يؤيد القول بالغريزة لهذا السبب. وكان يلتزم السطحية في التعليل، أو كما قيل فيه كان أطرافياً peripheralist يعني أنه لم يكن يولي اهتماماً بالعمليات المخية المركزية، واقتصرت بحوثه على الأعضاء الطرفية، ومن ذلك أنه يرجع التفكير إلى عمليات الإصدار والتنفيذ بالعملات، خصوصاً عضلات الحنجرة واللسان .

ونسب المشاعر والعواطف لنشاط أعضاء الجنس دون المراكز المخية. ولعله لذلك وصف العالم تولمان Edward Tolman (1886–1959) مذهب واطسون بأنه علم نفس الانتفاضات العضلية muscle twitch psychology، وقال آخرون فيه إن مذهبه هو علم نفس منعكسات reflex psychology، أي علم يبحث في الاستجابات الفورية للمصدرات العضلية والغددية،... الخ، أو الاستجابات التلقائية غير المتعلمة. وقالوا إنه كان يعتبر الأطفال الرضع عبترة عن عجماوات ويجري تجاربه عليهم كالحيوانات. وعلى أي الأحوال فإن الكلام في مذهب واطسون كثير، ووجوه النقد له لا تنتهي، ونظرياته محل جدل، وخاصة نظريته السلوكية في التفكير .

أحرق واتسون رسائله وأوراقه الشخصية، مما حرم المؤرخين من مصدر لفهم التاريخ المبكر للسلوكية وواتسون نفسه .

أجرى المؤرخ جون بورنهام مقابلة مع واتسون في أواخر حياته، واصفًا إياه بأنه رجل ذو آراء قوية وبعض المرارة تجاه منتقديه. في عام 1957، قبيل وفاته بفترة وجيزة، حصل واتسون على الميدالية الذهبية من الجمعية الأمريكية لعلم النفس تقديرًا لإسهاماته في علم النفس.

عاش واتسون في مزرعته حتى وفاته عام 1958 عن عمر يناهز 80 عامًا .

فجأة اضطربت حياته كلها، فقد ضبطته زوجته ماري واطسن Mary Ickes Watson التي كانت تعمل مساعدة له أيضاً- ضبطته في حالة خيانة زوجية مع مساعدته الأخرى روزاليو اينر Rosalie Alberta Rayner ((1898-1936

اتهمته رسمياً بالقضاء، وكانت تحقيقات كثيرة وطويلة، وفضيحته شاركت فيها أجهزة الإعلام، مما جعل الجامعة تطلب منه الاستقالة فاضطر إلى الاستقالة من الجامعة وانسحب من التدريس الجامعي تماماً (1920)

أن فضيحة واطسن التي قضت عليه كعالم نفس مرموق وواعد، نبهته إلى أشياء كثيرة مما أُخذ على مذهبه أو نسقه العلمي

كان شديد السخرية من الفلسفة، وأبدى الندم في مناسبات كثير على تضييعه لسنوات من عمره في دراستها، ولم يكن يأبه أن يظهر أمام الناس بما لا يحمد من السلوك

لم يخل واطسون نفسه من الغطرسة وهو يقول في كتابه الأخير "السلوكية" (1925) عبارته المشهورة: أعطوني دستة أطفال أصحاء وأسوياء، وأنا أصنع منهم عشوائياً ودون اختيار أطباء ومحامين وفنانين وتجاراً مرموقين، أو حتى شحاذين ولصوصاً

خلاصة..

واطسون عالم نفس أمريكي، حصل على الدكتوراه في مجال علم نفس الحيوان من جامعة شيكاغو، مؤسس مدرسة في علم النفس تعرف باسم «المدرسة السلوكية»، وهو أول من استخدم مصطلح السلوكية Behaviorismفي علم النفس، وكان الهدف من اختياره لهذا المصطلح تحديداً هو تأكيد أنه ينبغي على علم النفس دراسة السلوك القابل للملاحظة المباشرة، فقد قال: «إن على علم النفس إذا أراد أن يكون علماً حقيقياً ويقبل المعرفة المرتكزة على البرهان الموضوعي عليه أن يتجنَّب الخبرات العقلية لاستحالة وجود طريقة لمعرفة ما يجري في دماغ الإنسان من معلومات». عوضاً عن ذلك ألحَّ واطسون وغيره من السلوكيين على ضرورة أن يقتصر علم النفس على دراسة المثيرات والاستجابات التي يقوم بها الإنسان ردة فعل على هذه المثيرات، لأنه من الممكن للمثيرات «صوت عالٍ ومفاجئ» والاستجابات «وضع اليدين على الأذنين» أن تقاس علمياً وأن تسجل تسجيلاً موضوعياً.

وقد تمسك واطسون بهذا المبدأ بناءً على اقتناعه بأن قوة الطريقة العلمية قائمة على كونها قابلة للفحص، ودعم أفكاره في مقال نشره عام 1912 بعنوان «علم النفس كما يراه السلوكي». جاء فيه أن علم النفس هو فرع تجريبي وموضوعي من فروع العلوم الطبيعية، والهدف منه هو التنبؤ بسلوك الإنسان وضبطه أو التحكم به، وأن مادة البحث فيه هي السلوك القابل للملاحظة والقياس فقط، وناشد علماء النفس تجنب الخوض في غير ذلك.

اعتقد واطسون أن الأطفال حديثي الولادة لديهم مخاوف تتعلق بالضوضاء والأصوات العالية والألم، وفي وقت متأخر من السنة الأولى غالباً ما يتكون الخوف من كل ما هو غريب وغير مألوف، وقد تكون تلك المخاوف الأولى مبرمجة وراثياً لدى البشر لمساعدتهم على البقاء على قيد

الحياة، وتساءل واطسون فيما إذا كان الطفل الصغير يستطيع أن يتعلم الخوف بوساطة الإشراط الاستجابي أو لا؟. ولتأكيد هذا الافتراض اختار واطسون ورينر) Rayner زميلة واطسون، ثم صارت زوجته) طفلاً صغيراً اسمه ألبرتAlbert ، يبلغ من العمر تسعة شهور، اختبرا الخوف لديه، ووجدا أنه لم يبدِ خوفاً من أشياء عدة «فأر، أرنب، قرد»، لكن الشيء الوحيد الذي بدا أنه يخيف الطفل هو الصوت المرتفع الذي ينجم عن طرق قضيب حديدي بمطرقة. وتتلخص التجربة في: الطرق بشدة بمطرقة على قضيب حديدي موضوع خلف رأس الطفل في أثناء تقديم فأر أبيض له (وكان لا يخافه قبل ذلك)، فقفز الطفل بعنف وسقط إلى الأمام مخفياً وجهه في الفراش الذي كان يجلس عليه. وتكررت التجربة خمس مرات اكتسب الطفل بعدها الخوف من الفئران.

اعتقد واطسون استناداً إلى هذه التجربة أن الخوف سوف ينشأ بأي طريقة عندما يترك الطفل بيئته التي توفر له الحماية والأمن، كما اعتقد أن هناك فرصة لإزالة مخاوف الطفل عن طريق إعادة الإشراط.

تطرق واطسون إلى موضوع أصل السلوك وما إذا كان وراثياً أو بيئياً، وقد بسط هذه القضية المعقدة فطرح سؤالاً بسيطاً مفاده: أوصول عازف بيانو مشهور إلى الشهرة يتم عن طريق الوراثة أم البيئة؟ وكان رأي واطسون أن كل شيء من البيئة. لقد أهمل عامل الوراثة، وركز على أن السلوك محكوم كلياً بالبيئة، وقد أكد ذلك في مقولته الشهيرة «أعطني مجموعة من الأطفال الأصحاء، جيدي التكوين، وسوف اختار أحدهم عشوائياً وأدربه ليشغل عند كبره أحد التخصصات الآتية، تاجر، طبيب، لص، محامي، رجل أعمال، وذلك وفقاً لاختياري، وبغض النظر عن مواهبه، وميوله ونزعاته، وقدراته، ومهنته، وسلالة أسلافه»، ومن هنا جاءت المعادلة الرئيسة في المدرسة السلوكية: المثير = استجابة.

واضع أن واطسون كان من أنصار البيئة، أو كما نقول كان بيئياً environmentalist، وكان ضد الوراثة ولا يؤمن بها، وضد الفطرة، ولم يؤيد القول بالغريزة لهذا السبب

قالوا إنه كان يعتبر الأطفال الرضع عبارة عن مجموعات ويجري تجاربه عليهم كالحيوانات

على أي الأحوال فإن الكلام في مذهب واطسون كثير، ووجوه النقد له لا تنتهي، ونظرياته محل جدل، وخاصة نظريته السلوكية في التفكير

ومن المبادئ التي صاغها واطسون في نظريته:

•أنه ينبغي على علماء النفس أن يدرسوا الحوادث البيئية (مثيرات)، والسلوك الملاحظ (استجابات).

•أن الخبرة تؤدي دوراً في نشوء السلوك أكثر من الوراثة، ولهذا عدّ أن التعلم موضوع مهم للبحث في مجال علم النفس.

•ينبغي التخلي عن الاستبطان وإفساح المجال للطرائق الموضوعية في علم النفس «كالملاحظة، التجريب، القياس.»

•يجب أن يهدف علماء النفس إلى وصف السلوك وتفسيره والتنبؤ به.

•يجب بحث سلوك الحيوانات البسيطة إلى جانب سلوك الإنسان؛ لأن الكائنات البسيطة أيسر في دراستها وفهمها من الكائنات المعقدة.

وعلى الرغم من أن واطسون نفسه قد نادى بتبني أفكاره، فقد بالغ كثيراً جداً في استنتاجاته، وهذا لا يقلّل من أهمية بعض الأفكار التي قدمها لعلم النفس، والتي طورها فيما بعد السلوكيون الجدد، والمتمثلة في استراتيجيات البحث السلوكي التي ساهم بشكل او اخر في وضعها .

في عام 1957، قبيل وفاته بفترة وجيزة، حصل واتسون على الميدالية الذهبية من الجمعية الأمريكية لعلم النفس تقديرًا لإسهاماته في علم النفس

هو أول من استخدم مصطلح السلوكية Behaviorism في علم النفس، وكان الهدف من اختياره لهذا المصطلح تحديداً هو تأكيد أنه ينبغي على علم النفس دراسة السلوك القابل للملاحظة المباشرة

قال: «إن على علم النفس إذا أراد أن يكون علماً حقيقياً ويقبل المعرفة المرتكزة على البرهان الموضوعي عليه أن يتجنَّب الخبرات العقلية لاستحالة وجود طريقة لمعرفة ما يجري في دماغ الإنسان من معلومات»

شارك في المراجعة:

• د. هبة الكردي – المانيا
• د. ليلى الصوافه – فرنسا
• د. متاس الصوافه – السويد
• د. جوليا سليمان – لبنان
• د. أروى عباس – سوريا
•ا.د. صبا علي –سوريا
• د. أمل مصطفى محمود – مصر

وليام ألانسون وايت William Alanson White

وليام ألانسون وايت (1870– 1937) William Alanson White من أبرز الدعاة في حركة التحليل النفسي في أميركا، وكان الرجل الثالث بها، وأصدر مجلة التحليل النفسي (1913)، ورأس رابطة المحللين النفسيين، وكان اهتمامه شديداً بفرويد (1856–1939) Sigmund Freud أثناء دراسته بكلية لونج آيلند الطبية، وشارك آخرين من علماء النفس في بحوثهم في اللا شعور، وعمل بالطب النفسي، وعلم النفس الجنائي..

وُلد وايت في بروكلين، نيويورك، لأبوين هما ألانسن وايت وهاريت أوغستا هاولي وايت. تلقى تعليمه في مدارس بروكلين الحكومية. تأثر وايت في صغره بالفيلسوف هربرت سبنسر (1820–1903) Herbert Spencer؛ وبعد وفاة وايت، ذكر أحد الكتّاب أن وايت "لم يتزعزع قط عن مبادئ سبنسر التطورية المتفائلة، والتي اعتبرها في سن الثالثة عشرة مفتاحًا للمعرفة كلها."

في سن الخامسة عشرة، التحق وايت بجامعة كورنيل Cornell University، حيث درس فيها من عام 1885 إلى عام 1889. وفي عام 1891، تخرج وايت حاملاً شهادة الطب من مستشفى كلية لونغ آيلاند. بعد أن قضى عامًا كطبيب متدرب، عمل لمدة تسع سنوات كطبيب مساعد في مستشفى بينغهامتون الحكومي نيويورك) . وهناك تعاون مع بوريس سيديس Boris Sidis (1867–1923).

وليام ألانسون وايت William Alanson White ((1870- 1937 من أبرز الدعاة في حركة التحليل النفسي في أميركا، وكان الرجل الثالث بها، وأصدر مجلة التحليل النفسي (1913)، ورأس رابطة المحللين النفسيين، وكان اهتمامه شديداً بفرويد Sigmund Freud (1856-1939)

في الأول من أكتوبر عام 1903، أصبح وايت مديرًا لـ"مشفى الحكومة للأمراض العقلية"، الذي سُمي لاحقًا مشفى سانت إليزابيث St. Elizabeths Hospital، في واشنطن العاصمة، Washington, D.C.حيث أمضى بقية حياته المهنية. وفي العام نفسه، قبل منصب أستاذ الأمراض العصبية والعقلية في جامعة جورجتاون Georgetown University، وفي عام 1904 شغل منصبًا مماثلًا في جامعة جورج واشنطن George Washington University، إلى جانب إلقاء المحاضرات في كلية الطب العسكرية Walter Reed Army Medical Center (WRAMC).

في عام 1913، شارك وايت في تأسيس مجلة التحليل النفسي . ومن عام 1915 إلى عام 1917، شغل وايت منصب رئيس الجمعية الأمريكية للتحليل النفسي؛ وعاد إلى هذا المنصب من عام 1927 إلى عام 1929. وفي عام 1917، أعيد تسمية المستشفى رسميًا إلى مستشفى سانت إليزابيث.

في مارس 1918، تزوج وايت من لولا ثورستون، أرملة السيناتور جون ميلين ثورستون John Mellen Thurston.

شغل وايت منصب رئيس الجمعية الأمريكية لعلم الأمراض النفسية عام 1922، ورئيس الجمعية الأمريكية للطب النفسي في الفترة 1924–1925 . واهتم بعلم النفس الجنائي، وعمل على تعزيز التعاون بين الجمعية الأمريكية للطب النفسي ونقابة المحامين الأمريكية.

في ديسمبر 1922، أصبح مستشفى سانت إليزابيث أول مستشفى في الولايات المتحدة يستخدم العلاج الحراري لعلاج مرض الزهري في مراحله المتأخرة. وقد وافق وايت على استخدام العلاج بصدمة الأنسولين لمرض الزهري في مستشفى سانت إليزابيث.

في عام 1930، كان مستشفى سانت إليزابيث هو المستشفى النفسي الوحيد في الولايات المتحدة الذي يقدم برنامج تدريب داخلي معتمد من قبل

وُلد وايت في بروكلين، نيويورك، لأبوين هما ألانسن وايت وهاريييت أوغستا هاولي وايت. تلقى تعليمه في مدارس بروكلين الحكومية

في سن الخامسة عشرة، التحق وايت بجامعة كورنيل Cornell University ، حيث درس فيها من عام 1885 إلى عام 1889. وفي عام 1891، تخرج وايت حاملاً شهادة الطب من مستشفى كلية لونغ آيلاند

الجمعية الطبية الأمريكية. وقد خضع مستشفى سانت إليزابيث للتحقيق من قبل الكونغرس ثلاث مرات: الأولى في عام 1906، ثم في الفترة 1917-1918، وأخيراً في عام 1926 .

في عام 1934، كان المتحدث الرئيسي في الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم. وقد لخصت أوراقه البحثية ما يلي: "يكمن مستقبل الإنسان في فهم جديد لمعنى الوراثة والبيئة في تطبيق الاكتشافات العلمية الحديثة في الفيزياء والكيمياء والأحياء على مجالات علم النفس، وفي الدور المحوري الذي تلعبه وظائف تقدير الذات المتطورة للغاية لدى الإنسان". وأعقبه خطابٌ لألبرت أينشتاين .

خلال فترة تولي وايت منصب مدير مستشفى سانت إليزابيث، الذي كان يخدم الموظفين الفيدراليين والعسكريين وسكان مقاطعة كولومبيا، شهد إصلاحات جوهرية. فما كان يُستخدم سابقًا كمستودع للمختلين عقليًا، أصبح يُقدم العلاج المهني والعلاج النفسي. وقد ألغى وايت استخدام السترات المقيدة لتقييد المرضى، وافتتح صالون تجميل للمريضات. ولمدة عامين في عشرينيات القرن الماضي، فتح وايت أبواب سانت إليزابيث لألفريد كورزيبسكي , Alfred Korzybskiمما مكّن كورزيبسكي من دراسة الأمراض العقلية بشكل مباشر، وهو بحث أسهم بشكل كبير في كتاب كورزيبسكي الصادر عام 1933 بعنوان " العلم والعقلانية: مقدمة في الأنظمة غير الأرسطية وعلم الدلالة العام". وقد وصف كورزيبسكي وايت بأنه "شخص شديد الذكاء، واسع الاطلاع، مبدع للغاية، إنساني للغاية، ودود للغاية، ومهتم جدًا بمستقبل الطب النفسي برمته."

ومؤلفاته يستقيها من خبرته الطويلة في مجال الطب النفسي، وكان قد عيّن مديراً لأكبر المصحات النفسية في واشنطن، فجعل منها مركزاً علمياً scientific community، كما وصفها المؤرخون، وكان رائداً لإصلاحات

في الأول من أكتوبر عام 1903، أصبح وايت مديرًا لـ"مشفى الحكومة للأمراض العقلية"، الذي سُمي لاحقًا مشفى سانت إليزابيث St. Elizabeths Hospital ، في واشنطن العاصمة

في عام 1913، شارك وايت في تأسيس مجلة التحليل النفسي . ومن عام 1915 إلى عام 1917، شغل وايت منصب رئيس الجمعية الأمريكية للتحليل النفسي

في مارس 1918، تزوج وايت من لولا ثورستون، أرملة السيناتور جون ميلين ثورستون John Mellen Thurston.

عدة، فأدخل فيها أول مكتبة متنقلة، وأول مختبر نفسي، وأول محل تجميل، وأول كافيتريا، ولم يسبقه في ذلك سابق .

واستقدم طلبة الطب للتدريب بها لأول مرة، وانتخب رئيساً لرابطة أطباء النفس الأميركية، وكرمه تلاميذه وأحباؤه أثناء حياته فأنشأوا باسمه مؤسسة وليام آلانسون وايت بهدف تطوير الطب النفسي وتدريب المحللين النفسيين (1943)، وشارك مع المؤسسين كل من: هاري ستاك سوليفان Harry Stack Sullivan (1892–1949)، وكلارا توسون Clara Thompson (1893–1958)، وإيريك فروم–1900) Erich Seligmann Fromm (1980)، ودافيد ريوك، وجانيت ريوك, وفريدا فروم–رايخمان Frieda Fromm–Reichmann 1889–1957)، وديفيد ريوش David McKenzie Rioch (1900–1985)، وجانيت ريوش وآخرون..

ومن مجالات بحوثها الآن اللغويات النفسية، والاضطرابات العاطفية عند الأطفال في السن قبل المدرسة، والتخلف الدراسي في المدارس الثانوية والجامعة والاضطرابات العاطفية عند الموظفين ..

من أشهر مؤلفاته "الجنون والقانون الجنائي Insanity and the Criminal Law" (1923)، و "الجرائم والمجرمون Crimes and Criminals" (1933)، و "مبادئ الطب النفسي Outlines of Psychiatry" (1907)، و "أمراض الجهاز العصبي Diseasses of the Nervous System" (مع آخرين– 1915)، و "مبادئ الصحة النفسية Principles of Mental Hygiene" (1919)، و "مقالات وأبحاث في علم الأمراض النفسية(1925) "Essays on Psychopathology ، و "معنى المرض .(1926) "The Meaning of Disease

شغل وايت منصب رئيس الجمعية الأمريكية لعلم الأمراض النفسية عام 1922، ورئيس الجمعية الأمريكية للطب النفسي في الفترة 1924 – 1925. واهتم بعلم النفس الجنائي، وعمل على تعزيز التعاون بين الجمعية الأمريكية للطب النفسي ونقابة المحامين الأمريكية .

في عام 1930، كان مستشفى سانت إليزابيث هو المستشفى النفسي الوحيد في الولايات المتحدة الذي يقدم برنامج تدريب داخلي معتمد من قبل الجمعية الطبية الأمريكية

ولـه أيضاً:

•الآليات العقلية (1911)

•موجزات في الطب النفسي)الطبعة الخامسة، منقحة، 1915(

•أمراض الجهاز العصبي (1915) تم إنجازه بالتعاون مع سميث إيلي جيليف Smith Ely Jelliffe

•مبادئ الصحة العقلية (1917)

•أفكار طبيب نفسي حول الحرب وما بعدها (1919)

•آليات تكوين الشخصية (1920)

•أسس الطب النفسي (1921)

لخصت أوراقه البحثية ما يلي: "يكمن مستقبل الإنسان في فهم جديد لمعنى الوراثة والبيئة في تطبيق الاكتشافات العلمية الحديثة في الفيزياء والكيمياء والأحياء على مجالات علم النفس، وفي الدور المحوري الذي تلعبه وظائف تقدير الذات المتطورة للغاية لدى الإنسان".

مؤلفاته يستقيها من خبرته الطويلة في مجال الطب النفسي، وكان قد عيّن مديراً لأكبر المصحات النفسية في واشنطن، فجعل منها مركزاً علمياً scientific community

شارك في المراجعة:

• د. هبة الكردي – المانيا
• د. ليلى الصوافه – فرنسا
• د. متاس الصوافه – السويد
• د. جوليا سليمان – لبنان
• د. أروى عباس – سوريا
•ا.د. صبا علي –سوريا
• د. أمل مصطفى محمود – مصر

Robert Woodworth روبرت وودورث

روبرت وودورث (1869- 1962) Robert Woodworth أكثر علماء النفس الوظيفيين الأميركيين أصالة، وأعمقهم تأثيراً في مسار علم النفس في بلده، وكما قال هو عن نفسه وهو يتسلم الميدالية الذهبية للمؤسسة النفسية الأميركية سنة 1956، إنه الممثل لعلماء جيله، وأنه يتسلم هذه الميدالية ليس لنفسه وإنما نيابة عنهم. وهؤلاء العلماء من زملائه بجامعة كولومبيا هم أنفسهم الذين كرموه مرتين، مرة تحت اسم "إصدارات نفسية Psychological Issues"، ومرة سنة 1958 بإهدائه مجموعة أخرى بعنوان "إصدارات نفسية معاصرة Current Psychological Issues".

تخرج من جامعة هارفارد وكولومبيا، ودرس تحت إشراف ويليام جيمس William James (1842-1910)جنبًا إلى جنب مع علماء النفس البارزين، مثل ليتا ستيتر هولينجورث Leta Stetter Hollingworth (1886-1939)، وجيمس رولاند أنجيل James Rowland Angell (1869-1949)، وإدوارد ثورندايك Edward Lee Thorndike (1874-1949).

صدر كتابه المدرسي علم النفس، دراسة عن الحياة العقلية، والذي ظهر لأول مرة في عام 1921، وقد مر بالعديد من الطبعات وكان أول مقدمة لعلم النفس لأجيال من طلاب المرحلة الجامعية الأولى، لم يكن كتابه المدرسي لعلم النفس التجريبي عام 1938 أقل تأثيرًا، خاصة في الطبعة الثانية لعام 1954، التي كتبها مع هارولد إتش شلوسبرغ.

روبرت وودورث Robert Woodworth ((1869- 1962 أكثر علماء النفس الوظيفيين الأميركيين أصالة، وأعمقهم تأثيراً في مسار علم النفس في بلده

قال هو عن نفسه وهو يتسلم الميدالية الذهبية للمؤسسة النفسية الأميركية سنة 1956، إنه الممثل لعلماء جيله، وأنه يتسلم هذه الميدالية ليس لنفسه وإنما نيابة عنهم

وهو معروف بإدخاله صيغة السلوك المحفز والكائن الحي والاستجابة.

صنف مسح مراجعة علم النفس العام، الذي نُشر في عام 2002، وودورث في المرتبة الثامنة والثمانين من بين علماء النفس الأكثر استشهادًا في القرن العشرين، وتعادل مع كل من جون جارسيا، جيمس ج. جيبسون، ديفيد روميلهارت، لويس ليون ثورستون، مارغريت فلوي واشبورن.

وُلِد وودورث في بيلشرتاون، ماساتشوستس في 17 أكتوبر 1869. كان والده وزيرًا وتخرج من كلية ييل ومدرسة ييل اللاهوتية، وكانت والدته معلمة تخرجت من كلية ماونت هوليوك؛ نظرًا لأن والدة وودورث كانت الزوجة الثالثة لوالده، فقد نشأ في أسرة كبيرة لديها أطفال من كل زواج من أبيه، كان نهج والده في الأبوة والأمومة موثوقًا وصارمًا.

التحق بالمدرسة الثانوية في نيوتن، ماساتشوستس مع خطة أن يصبح وزيرًا، حصل على درجة الامتياز من كلية أمهيرست عام 1891، مع التركيز على الدين والكلاسيكيات والرياضيات والعلوم والتاريخ. خلال سنته الأخيرة، أخذ وودورث درسًا في علم النفس من قبل تشارلز إدوارد جارمان، مما جعله يغير خططه المستقبلية بدلاً من أن يصبح وزيراً، قام بتدريس الرياضيات في مدرسة ثانوية لمدة عامين وفي كلية لمدة عامين في توبيكا، كانساس.

بعد الفترة التي قضاها كمدرس، حضر وودورث محاضرة ألقاها جيمس ستانلي هول، وقد أذهله تركيز هول على "أهمية الاكتشاف من خلال التحقيق" كان للمحاضرة تأثير عميق على وودورث لدرجة أنه علق لافتة مكتوب عليها "تحقيق" على مكتبه في المنزل. ثم قرأ مبادئ جيمس في علم النفس، وكان لديه تجربة آسرة مماثلة للعديد من الطلاب الآخرين المهتمين بعلم النفس في ذلك الوقت. قرر بعد ذلك أن يتبع أخيرًا مسارًا وظيفيًا في علم النفس.

هؤلاء العلماء من زملائه بجامعة كولومبيا هم أنفسهم الذين كرموه مرتين، مرة تحت اسم "إصدارات نفسية Psychological Issues"، ومرة سنة 1958 بإهدائه مجموعة أخرى بعنوان "إصدارات نفسية معاصرة CurrentPsychological Issues".

تخرج من جامعة هارفارد وكولومبيا، ودرس تحت إشراف ويليام William جيمس James (1842-1910) جنبًا إلى جنب مع علماء النفس البارزين

معروف بإدخاله صيغة السلوك المحفز والكائن الحي والاستجابة

في عام 1895، عاد إلى الكلية باعتباره طالب جامعي في جامعة هارفارد، ودرس الفلسفة مع جوشيا رويس، وعلم النفس مع ويليام جيمس، والتاريخ مع جورج سانتايانا. في هارفارد، والتقى إدوارد لي ثورندايك ووالتر ب. كانون، وأصبح الثلاثة أصدقاء دائمين.

أثناء العمل مع جيمس، شجع وودورث على الاحتفاظ بمذكرات الأحلام. لم يتمكن الاثنان من العثور على علاقة ذات دلالة إحصائية بين محتوى أحلام المرء وأحداث اليوم. ومع ذلك، أشار وودورث إلى أنه غالبًا ما كان يحلم بموضوعات وأحداث غير مكتملة أو متقطعة، والتي أكد عليها لاحقًا بلوما زيجارنيك بتأثير زيجارنيك.

في عام 1896، حصل وودورث على درجة البكالوريوس من جامعة هارفارد، ثم عمل مساعدًا في كلية الطب بجامعة هارفارد في قسم علم وظائف الأعضاء من 1897– 1898. في عام 1899 تم حصوله على الدكتوراة وكان ذلك بإشراف كاتيل، وكان عنوان الأطروحة "دقة الحركة الإرادية."

قام ثورندايك، الذي كان في كولومبيا، بالعمل مع وودورث على مصطلح نقل التدريب، تتناول هذه الدراسات قضية هامة متعلقة بالوقت في التعليم، حيث قام الأكاديميون مثل جيمس بعملية التدعيم لتعليم "موضوع تأديبي" على فرضية أنه يمكن تدريب الدماغ.

تم تدريس العديد من المواد مثل اللاتينية لقيمتها التأديبية وليس بالضرورة الموضوع، درس وودورث وثورندايك بشكل تجريبي فوائد التعليم التأديبي إلى جانب نقل التدريب ولم يجدوا أي تأثير.

في عام 1906، عينت الجمعية الأمريكية لعلم النفس ووودورث كجزء من لجنة لدراسة القياس النفسي، مع بداية الحرب العالمية الأولى، طلبت جمعية الأمريكية لعلم النفس من وودورث مساعدتها في محاولة منع ما كان يُعرف آنذاك باسم "صدمة القذيفة."

صنف مسح مراجعة علم النفس العام، الذي نُشر في عام 2002، ووودورث في المرتبة الثامنة والثمانين من بين علماء النفس الأكثر استشهادًا في القرن العشرين

وُلِد ووودورث في بيلشرتاون، ماساتشوستس في 17 أكتوبر 1869. كان والده وزيرًا وتخرج من كلية بيل ومدرسة بيل اللاهوتية، وكانت والدته معلمة تخرجت من كلية ماونتهوليوك

في عام 1895، عاد إلى الكلية باعتباره طالب جامعي في جامعة هارفارد، ودرس الفلسفة مع جوشيا رويس، وعلم النفس مع ويليام جيمس، والتاريخ مع جورج سانتايانا

في هارفارد، والتقى إدوارد لي ثورندايكووالتر بـ. كانون، وأصبح الثلاثة أصدقاء دائمين

في عام 1896، حصل وودورث على درجة البكالوريوس من جامعة هارفارد، ثم عمل مساعدًا في كلية الطب بجامعة هارفارد في قسم علم وظائف الأعضاء من 1897-1898

في عام 1906، عينت الجمعية الأمريكية لعلم النفس وودورث كجزء من لجنة لدراسة القياس النفسي، مع بداية الحرب العالمية الأولى، طلبت جمعية الأمريكية لعلم النفس من وودورث مساعدتها في محاولة منع ما كان يُعرف آنذاك باسم "حدمة القذيفة".

لقد أنشأ ورقة بيانات الشخصية(WPDS) ، والتي سميت بأول اختبار شخصية، كان اختبارًا للاستقرار العاطفي لقياس مدى حساسية الجندي بناءً على حالات الاضطراب الموجودة، على الرغم من أن الاختبار قد تم تصميمه بعد فوات الأوان لاستخدامه عمليًا، إلا أن الاختبار كان له تأثير كبير في تطوير قوائم جرد الشخصية اللاحقة مع مقاييس العصابية.

نشر وودورث كتاب علم النفس، دراسة للحياة العقلية، ظهر لأول مرة عام 1921، وعلم النفس التجريبي عام 1938، والذي عمل عليه لما يقرب من عشرين عامًا، وأصبحا نصوصًا نهائية لآلاف من طلاب علم النفس.

بالإضافة إلى ذلك، نشر وودورث مدارس علم النفس المعاصرة في عام 1932، ووصف تاريخ علم النفس وفقًا لوجهة نظر مفادها أن مدارس علم النفس المختلفة متكاملة وليست غير متوافقة. كانت وقفة التسامح والانفتاح على الأرجح بسبب لمنظوره النادر لعلم النفس، لأنه جزء من الموضوع لما يقرب من خمسين عامًا من وجوده، اشتهر بهذه المساهمة، وعرف فيما بعد بكونه عميد علم النفس الأمريكي.

كان وودورث يعارض بشدة "جداول الوصايا المعرفية" مثل المقاربات الصارمة والضيقة لتيتشنر وواطسون، مفضلاً منهجًا انتقائيًا إلى حد ما.

دعا وودورث إلى إنشاء مفردات تقنية لعلم النفس بدلاً من الاعتماد فقط على التعريفات التشغيلية الذاتية في كثير من الأحيان، ولكن تم تجاهله من قبل المجتمع.

في عام 1956، حصل وودورث على الميدالية الذهبية لمؤسسة علم النفس الأمريكية عن "الخدمة المتميزة والمستمرة للمنح الدراسية والبحث في علم النفس وللمساهمات في نمو علم النفس من خلال وسيلة النشر العلمي."

في الآونة الأخيرة، تم توسيع النظرية لتشمل نظرية مفادها أن الكائنات الحية الاصطناعية "الأنظمة التي تدعم الذكاء الاصطناعي".. يمكنها أيضًا إثارة الاستجابات.

تقاعد وودورث في سن 70، لكنه استمر في إلقاء المحاضرات حتى سن 89 واستمر في الكتابة حتى سن 91، وتوفي في 4 يوليو 1962.

ملخص..

على الرغم من أن اسم وودورث قد لا يكون مشهوراً كعلماء النفس الآخرين، إلا أن أعماله وضعت الأساس لأعظم التطورات في فهم السلوك البشري.

اشتهر وودورث بتطويره نظام "علم النفس الديناميكي"، الذي جمع بين مدارس فكرية نفسية مختلفة في محاولة لتوحيدها في نظام نظري متماسك. وقد وسّع نموذج الاستجابة للمثير للسلوك، الذي تبنّته المدرسة السلوكية ، مضيفًا الكائن الحي (المثير – الكائن الحي – الاستجابة) باعتباره عنصرًا أساسيًا في تحديد سلوكه. كما طوّر وودورث النموذج التفاعلي "الطبيعة مقابل التنشئة" ليسمح لكل من العوامل الفطرية والوراثية والخبرة الحياتية بلعب دور في النمو النفسي.

وتدور بحوث وودورث التجريبية حول مسائل السلوك والإدراك واتعلم والدافعية، وعمله فيها تفسيري وتأويلي، وتفسيراته وتأويلاته تربط بين الفرد وقدراته على الرصد والتقويم والتعامل مع البيئة .

وودورث من أسرة محافظة متدينة، وكان أبوه قسيساً، وأمه مدرسة، وتوفي الوالد وهو بعد في دراسته الثانوية، وتابع أمه في اختياراتها له، وأحب المواد الدراسية التي كانت تقوم بها كمدرسة وهي الفلسفة والرياضيات وعلم النبات، واختار في الجامعة أن يدرس الفلسفة وعلم النفس، وكان عصامياً يتكسب عيشه بنفسه وينفق على تعليمه، واشتغل بالتدريس مثل أمه. وفي الجامعة تأثر بكتابات ستانلي هول ومحاضراته، وتتلمذ على وليام جيمس ودرس عليه علم النفس العام وعلم نفس الشواذ، وأبدى اهتماماً بالتفكير العقلاني وبالأحلام، وسبق فرويد في القول بأن الأحلام تستحثها الرغبات، ولم يقل

أنشأ ورقة بيانات الشخصية (WPDS)، والتي سميت بأول اختبار شخصية، كان اختبارًا للاستقرار العاطفي لقياس مدى حساسية الجندي بناءً على حالات الاضطراب الموجودة

نشر وودورث مدارس علم النفس المعاصرة في عام 1932، ووصف تاريخ علم النفس وفقًا لوجهة نظر مفادها أن مدارس علم النفس المختلفة متكاملة وليست غير متوافقة

كان وودورث يعارض بشدة "جداول الوحايا المعرفية" مثل المقاربات الصارمة والضيقة لتيتشنر وواطسون، مفضلاً منهجًا انتقائيًا إلى حد ما.

مثله إن الرغبات جنسية، ولكنه كان يؤكد باستمرار أنها رغبات من أي نوع. وقرأ في سيكولوجية الدافعية طالما أنه كان مهتماً بالتفكير والأحلام، ولم تعجبه النظريات في الدافعية، وحاول وهو طالب أن يجرب تعريفها سلوكياً. وكان يقول إن أي نشاط طالما أنه ابتعث فسيكون هو نفسه دافعاً. وشاركه في اهتمامه بالدافعية زميله في الدراسة إدوارد ثورندايك، الذي صار بعد ذلك صديق عمره .

وحصل وودورث على الماجستير من هارفارد، وعلى الدكتوراه من كولومبيا، وكان أستاذه الذي أشرف على رسالته جيمس مكين كاتل، الذي قال إنه أكثر من تأثر بهم من أساتذته. وكان كاتل كثير النصح له بأن يُجري أكبر قدر من التجارب المعملية، وأكبر قدر من الاختبارات على الفروق الفردية، ولما خلفه على رئاسة قسم علم النفس بكولومبيا استمرت هذه سياسته. وزار وودورث إنكلترا ليستزيد من علم الفزيولوجيا (1900–1902)، وزار ألمانيا (1910) وحضر لكولبه محاضرات في بون، كما حضر لفونت في لايبتسغ .

ويأخذ وودورث بالاستبطان، ويقول إن الكائن الحي لا يكتفي بالانفعال بالمنبهات والتجاوب معها، ولكنه دائم التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه والتفاعل مع موضوعاته. وعلم النفس الدينامي الذي يقول به يقوم على الدعوى بأن أي ميكانيزم طالما استثير فإنه يخلق دوافعه ودوافع الميكانيزمات الأخرى المرتبطة به. والتعلم في ضوء نظريته المعرفية أساسه نظريته في وظيفة السلوك. ويقول إن التعلم يتوجه للبيئة، والإدراك يستهدي بدافع فطري يسميه إرادة الإدراك– أن نريد أن نبصر بوضوح، ونسمع جيداً، وأن نفهم ما نبصر ونسمع لحظة بلحظة. وأمثال هذه الدوافع التلقائية هي التي تحكم حياتنا وعلاقاتنا بالبيئة .

دعا وودورث إلى إنشاء مفردات تقنية لعلم النفس بدلاً من الاعتماد فقط على التعريفات التشغيلية الذاتية في كثير من الأحيان، ولكن تم تجاهله من قبل المجتمع

في عام 1956، حصل وودورث على الميدالية الذهبية لمؤسسة علم النفس الأمريكية عن "الخدمة المتميزة والمستمرة للمنح الدراسية والبحث في علم النفس وللمساهمات في نمو علم النفس من خلال وسيلة النشر العلمي".

على الرغم من أن اسم وودورث قد لا يكون مشهوراً كعلماء النفس الآخرين، إلا أن أعماله وضعت الأساس لأعظم التطورات في فهم السلوك البشري

وكان كتابه الأول علم النفس (1921) Psychology فريداً في مجاله. وكتابه الثاني مدارس علم النفس المعاصرة Contemporay Schools of Psychology (1931)من الكتب المدرسية التعليمية، وكتابه الثالث "علم النفس التجريبي (1938) "Experimental Psychology المرجع لطلبة الدراسات العليا. وآخر كتبه "أرشيف علم النفس Archives of Psychology"هو مجموعة رسائل الدكتوراه التي أشرف عليها .

ومن مؤلفاته الأخرى: "علم النفس الدينامي "Dynamic Psychology (1918)، و "ديناميات السلوك .(1958)"Dynamics of Behavior

اشتهر وودورث بتطويره نظام "علم النفس الديناميكي"، الذي جمع بين مدارس فكرية نفسية مختلفة في محاولة لتوحيدها في نظام نظري متماسك.

تدور بحوث وودورث التجريبية حول مسائل السلوك والإدراك واتعلم والدافعية، وعمله فيها تفسيري وتأويلي، وتفسيراته وتأويلاته تربط بين الفرد وقدراته على الرصد والتقويم والتعامل مع البيئة.

شاركه في اهتمامه بالدافعية زميله في الدراسة إدوارد ثورندايك، الذي صار بعد ذلك صديق عمره.

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا
- د. متاس الصوافه – السويد
- د. جوليا سليمان – لبنان
- د. أروى عباس – سوريا
- ا.د. صبا علي –سوريا
- د. أمل مصطفى محمود – مصر

James Ward جيمس ووورد

وُلد جيمس ووورد عالم النفس والفيلسوف البريطاني، في مدينة هال، وقضى طفولته بالقرب من ليفربول. وبسبب أزمة مالية ألمّت بأسرته، تركَ المدرسة في سن الثالثة عشرة، وبعد عامين التحق بتدريب مهني لدى مهندس معماري

اتجه من الهندسة المعمارية إلى اللاهوت، وفي سن العشرين التحق ببرنامج تدريبي للالتحاق بالخدمة الدينية في الكنيسة التجمعية.

جيمس وورد (1843– 1925) James Ward من علماء النفس الفلاسفة، كان لمحاضراته في كمبردغ عظيم الأثر على علماء كبار، منهم ستاوت George Frederick Stout ومكدوجال Duncan MacDougallوبارتلتSteven James Bartlett ، وبهذا الاعتبار كانت أهميته في تاريخ تطور الفكر النفساني الإنكليزي .

وُلد جيمس وورد في مدينة هال، يوركشاير، في 27 يناير 1843، وهو ابن جيمس وورد الأب، التاجر الذي كان لديه طموح علمي وفلسفي (حيث حاول في كتابه "الله، الإنسان، والكتاب المقدس" تقديم تفسير علمي للطوفان). إلا أن مشاريع والده كانت كارثية، مما جعل نقص المووورد مصدر قلق دائم للعائلة، التي كانت تضم أمًا غير متعلمة، مجتهدة، ومتدينة للغاية، وست شقيقات، وشقيقًا (اضافة الى ابن آخر توفي) وجيمس وورد اكبر الابناء التسعة..

بعد إفلاس والده، مكث وورد عامين دون دراسة أو عمل. وعندما بلغ الثالثة عشرة والنصف من عمره، أُطلق سراحه ليقضي وقته كما يشاء. في بلدة واترلو الصغيرة، القريبة من ليفربول، حيث انتقلت عائلته، نما لديه حب العزلة والطبيعة. تُمكّننا مذكرات كتبتها ابنته، أولين وورد كامبل، من إلقاء نظرة على حياته في تلك السنوات المبكرة: "لم تكن واترلو سوى قرية صغيرة آنذاك، وكانت تمتد خلفها سهول رملية شاسعة لأميال عديدة. كان يعتاد التجول فيها لساعات طويلة، وحيدًا مع أفكاره وطيور البحر .."

إلى جانب الصعوبات الاقتصادية التي واجهتها عائلته، تأثرت فترة شباب وورد بالعقيدة الكالفينية الضيقة التي نشأ عليها. في عام 1863، التحق بكلية سبرينغ هيل (التي أُدمجت لاحقًا في كلية مانسفيلد، أكسفورد) بهدف أن يصبح قسًا، لكنه أصبح متشككًا بشكل متزايد في العقائد التي كان يُتوقع منه أن يُبشر بها. في خضم أزمته الدينية، انتقل وورد إلى ألمانيا لفترة دراسية مؤقتة. في غوتينغن، حضر محاضرات لأحد أكثر فلاسفة ذلك العصر تأثيرًا، رودولف هيرمان لوتزه. من المرجح أن وورد اكتسب من لوتزه أول فهم جوهري لفلسفة لايبنتز، الذي شكلت نظريته عن المونادات فيما بعد أساسًا لميتافيزيقاه.

بعد عودته إلى إنكلترا، بذل وورد محاولة صادقة، وإن كانت عبثية، للحفاظ على إيمانه، وقبل منصب قسيس في كامبريدغ. وبلغت أزمته الروحية ذروتها، ووصلت إلى نقطة اللاعودة عام 1872، حين تخلى نهائيًا عن فكرة أن يصبح قسيسًا، وتقدم بطلب التحاق بجامعة كامبريدغ كطالب غير منتظم. وبعد عام، فاز بمنحة دراسية في العلوم الأخلاقية في كلية ترينيتي.

استُخلصت دروسٌ بالغة الأهمية من غمرة هذه التقلبات والتأملات. في رسالةٍ إلى صديق، كتب وورد: "أدرك يومًا بعد يومٍ بوضوحٍ أكبر أن الإنسان ليس حرًا تمامًا، أو بالأحرى أن حريته ليست كما كنتُ أظنها. إنها ليست القدرة على اختيار أي شيء، بل القدرة على الاختيار بين البدائل المتاحة، وما ستُحدده الظروف هو ما ستُحدده الإرادة". لا شك أن هذه الرؤية تنبع من صراع الوجود أكثر من كونها نتاجًا لتأملاتٍ مجردة. ومن المثير للاهتمام أن فلسفة وورد الناضجة تتضمن دفاعًا عن الحرية الإنسانية، وتؤكد على فكرة أننا – بغض النظر عن الظروف الخارجة عن سيطرتنا – نحتفظ دائمًا بالقدرة على التصرف بمسؤولية.

أتاحت له منحة دراسية فرصة السفر إلى ألمانيا، حيث غيّر مساره الدراسي مرة أخرى. هذه المرة من اللاهوت في برلين إلى الفلسفة في غوتينغن. وقد أثرت محاضرات لوتزه في غوتينغن فيه تأثيرًا بالغًا

على الرغم من أن وورد كان في جوهره عالم نفس فلسفي، إلا أن أعماله المبكرة ارتبطت بالجوانب الفيزيولوجية لموضوعه

كان العمل الأكثر تأثيرًا لوورد هو مقال "علم النفس" في الطبعة التاسعة من الموسوعة البريطانية (1886) ، والذي نُقِّح لاحقًا ونُشِر بعنوان " المبادئ النفسية" عام 1918

استغل وورد التحدي الصعب المتمثل في بدء حياة جديدة في سن الثلاثين على أكمل وجه. ففي عام 1874، حصل على المرتبة الأولى في امتحانه الثلاثي (Tripos)؛ وبعد عام، فاز بمنحة دراسية عن أطروحته بعنوان "علاقة علم وظائف الأعضاء بعلم النفس"، والتي نُشر جزء منها في العدد الأول من مجلة " مايند (Mind) "عام 1876. مثّلت هذه النجاحات بداية مسيرة مهنية متميزة. اشتهر وورد لأول مرة بمقالته عن "علم النفس" (1886) في الموسوعة البريطانية (Encyclopaedia Britannica)، حيث انتقد فيها نظرية الترابط عند ميل وبين. وفي الفترة ما بين 1896 و1898، ألقى محاضرات جيفورد المرموقة، والتي نُشرت لاحقًا بعنوان " المذهب الطبيعي واللاأدرية " (1899). في هذا الكتاب، هاجم وورد مختلف أشكال المادية العلمية التي كانت رائجة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. لاقت المحاضرات استحسانًا كبيرًا من معاصريه، وكان هناك إجماع واسع على فعالية وورد في دحضها. وفقًا لألفريد إدوورد تايلور، الذي راجع الكتاب في مجلة Mind عام 1900، "يمكن للمرء أن يؤكد دون خوف كبير من التناقض أن محاضرات جيفورد للأستاذ وورد هي الكتاب الفلسفي للعام الماضي ."

كان جي إي مور (1873–1958) G.E. Moore وبرتراند راسل (1872–1970)Bertrand Russell من بين طلاب وورد في كامبريدغ، حيث انتُخب لرئاسة قسم الفلسفة العقلية والمنطق عام 1897. وقد ترك مور شهادة حية عن شخصيته وأسلوبه في التدريس..

يصف مور وورد بأنه شخصية كئيبة، غارقة في صعوبات التفكير الفلسفي "التفكير صعب "كانت إحدى أقواله المفضلة. وبينما أعجب مور أيضًا بـ "إخلاص وورد الشديد وضميره الحي"، فقد خصّ راسل وورد بالذكر كشخص يكنّ له "مودة شخصية كبيرة "

تم المبالغة أحيانًا في تقدير حداثة وجهة نظر وورد في علم النفس البريطاني

كان وورد نفسه له دورٌ محوري في إدخال علم النفس التجريبي إلى جامعة كامبريدغ، ولكن على الرغم من أعماله المبكرة، يبدو أنه تبنى لاحقاً وجهة نظر مفادها أن علم النفس لا يمكن تطبيقه عملياً في المختبر.

يرى آخرون أن وورد، من خلال هدمه للنزعة التجريبية الذرية والترابطية لسيوم وهارتلي وميلز، منع نمو الأشكال المبسطة لنظرية التعلم والسلوكية الاجتماعية بشكل عام، مما مكّن علم النفس البريطاني من استيعاب النظريات الحديثة لمعالجة المعلومات بسهولة أكبر.

يقول بالذات وأفعالها، وبالوعي بهذه الأفعال، والإرادة لها، وأن تقصد الذات إلى فعلها، والمشكلة مع وورد أنه كان يريد إخضاع ذلك للتجريب المعملي، وكان يؤمن بالتجريب ويريد ترسيخ علم النفس على أسس فزيولوجية

لا شك أن سمعة وورد كفيلسوف كانت رفيعة للغاية، إذ دُعي لإلقاء سلسلة ثانية من محاضرات جيفورد. عُقدت هذه المحاضرات في الفترة ما بين عامي 1907 و1910، ونُشرت عام 1911 بعنوان " عالم الغايات أو التعددية والإيمان بالله" ؛ وفي هذا الكتاب يُقدم وورد شرحًا وافيًا لميتافيزيقاه المثالية.

ملخص..

وُلد جيمس وورد عالم النفس والفيلسوف البريطاني، في مدينة هال، وقضى طفولته بالقرب من ليفربول. وبسبب أزمة مالية ألمّت بأسرته، ترك المدرسة في سن الثالثة عشرة، وبعد عامين التحق بتدريب مهني لدى مهندس معماري. ثم اتجه من الهندسة المعمارية إلى اللاهوت، وفي سن العشرين التحق ببرنامج تدريبي للالتحاق بالخدمة الدينية في الكنيسة التجمعية. أتاحت له منحة دراسية فرصة السفر إلى ألمانيا، حيث غيّر مساره الدراسي مرة أخرى، هذه المرة من اللاهوت في برلين إلى الفلسفة في غوتينغن. وقد أثرت محاضرات لوتزه في غوتينغن فيه تأثيرًا بالغًا.

بعد عودته إلى إنكلترا عام 1870، ألقى وورد خطباً في كامبريدغ لمدة عام، ثم فاز بمنحة دراسية تنافسية في العلوم الأخلاقية في كلية ترينيتي. وانتُخب زميلاً فيها عام 1875، وظلّ يشغل هذا المنصب لخمسين عاماً. وخلال هذه الفترة، لعب دوراً محورياً في تطوير الفكر النفسي في بريطانيا، وذلك من خلال كتاباته وتأثيره على شخصيات مثل ستوت وماكدوغال وبارتليت.

على الرغم من أن وورد كان في جوهره عالم نفس فلسفي، إلا أن أعماله المبكرة ارتبطت بالجوانب الفيزيولوجية لموضوعه. وهكذا، عندما عاد إلى ألمانيا لفترة في عام 1876 للعمل في مختبر كارل لودفيغ في لايبزيغ، نشر مقالًا بعنوان "محاولة لتفسير قانون فيشنر" (1876). وكانت هناك ورقتان

بحثيتان أكثر ارتباطًا مباشرًا بعلم وظائف الأعضاء، استنادًا إلى عمله في كامبريدغ، وهما: "بعض الملاحظات حول فزيولوجيا الجهاز العصبي لجراد المياه العذبة" (1879) و"حول تحرر الحركات الانعكاسية من خلال رحلة قصيرة" (1880). من الضروري وضع هذه الأعمال المبكرة في الاعتبار عند تقييم إسهامات وورد اللاحقة ذات الطابع الفلسفي: لم يكن افتقاره إلى القدرة على إجراء التجارب هو ما جعله عالم نفس نظريًا.

حاول أن يُلحق بجامعة كمبردج معملاً لعلم النفس الفسيولوجي، ولم يجد التمويل اللازم لذلك

كان العمل الأكثر تأثيرًا لوورد هو مقال "علم النفس" في الطبعة التاسعة من الموسوعة البريطانية (1886) ، والذي نُقِّح لاحقًا ونُشِر بعنوان " المبادئ النفسية "عام 1918. في هذا المقال، زعم أن علم النفس هو علم التجربة، وهو نشاطٌ يتضمن بالضرورة كلاً من الذات والموضوع. المكونات الأساسية لهذا النشاط هي الانتباه والشعور. قد تكون المحتويات العقلية حسية أو حركية، ولا تظهر إلا كمكونات في "سلسلة متصلة من العروض التقديمية" لا يمكن عزلها عنها. يعتمد هيكل هذه السلسلة المتصلة على انتباه الذات، وبالتالي لا يمكن اختزاله إلى قوانين الترابط التي اعتبرها معظم علماء النفس البريطانيين في عصر وورد أمرًا مفروغًا منه.

هناك من يقول إن وورد تحصل له اليقين من بعد أن النفس لا يمكن إخضاعها للتجريب المعملي، وأنه اتجه في آخر أيامه وجهة تكوينية،

مع ذلك، فقد تم المبالغة أحيانًا في تقدير حداثة وجهة نظر وورد في علم النفس البريطاني. فقد تحدث لوك عن "أفعال العقل التي يمارس فيها سلطته على أفكاره البسيطة"، وأنكرت مدرسة "الفطرة السليمة" للفلاسفة الاسكتلنديين إمكانية البدء، كما يرى هيوم، بالانطباعات والأفكار. لذا، لم يكن على وورد، عند جلبه بعض سمات التحليل الألماني للعقل ما بعد الكانتي (نسبة الى كانت) إلى إنكلترا، أن يطلب من قرائه تبني طريقة تفكير غريبة تمامًا. ومع ذلك، كان الصدام بين آرائه والنزعة الترابطية السائدة لدى بين وسبنسر صدامًا حادًا. ومن الجدل الذي تلا ذلك، خرج وورد منتصرًا، وغير، لفترة من الزمن على الأقل، نمط التفكير النفسي في بريطانيا.

ومع ذلك، فقد ثبت صعوبة إثبات سيكولوجية الذات وأفعالها تجريبياً. كان وورد نفسه له دورٌ محوري في إدخال علم النفس التجريبي إلى جامعة كامبريدغ، ولكن على الرغم من أعماله المبكرة، يبدو أنه تبنى لاحقاً وجهة نظر مفادها أن علم النفس لا يمكن تطبيقه عملياً في المختبر. ومع ذلك، فقد شعر أن النهج الجيني قد يكون ذا قيمة .

إن من تأثير وورد على الفكر النفسي في إنكلترا أن انتهى القول بالذرية النفسية، ولم يعد أحد يؤمن بارتباطية هيوم وهارتلي وجيمس وجون مل

هناك من يعتقد أن تدخله أخر نمو علم النفس العلمي في بريطانيا لجيل كامل. بينما يرى آخرون أن وورد، من خلال هدمه للنزعة التجريبية الذرية والترابطية لهيوم وهارتلي وميلز، منع نمو الأشكال المبسطة لنظرية التعلم والسلوكية الاجتماعية بشكل عام، مما مكّن علم النفس البريطاني من استيعاب النظريات الحديثة لمعالجة المعلومات بسهولة أكبر.

بصفته أستاذًا في كلية ترينيتي بجامعة كامبريدغ، ساهم في ترسيخ علم النفس كتخصص أكاديمي في بريطانيا، وطوّر نظريات حول الوعي والعمليات العقلية

وهكذا نلاحظ أن وورد عصامي، مات أبوه وهو في الثالثة عشرة من عمره، فكفل نفسه وآل أن يتعلم من خلال الحصول على المنح الدراسية. وكانت به ميول دينية فالتحق بمعهد ديني، وذهب في منحة للدراسة في ألمانيا، فتحول من اللاهوت إلى الفلسفة وعلم النفس، وتدرب في معمل كارل لودفيغ في لايبتسغ، ونشر مقالاً بعنوان "محاولة لتأويل قانون فخنر" (1876)، وأبدى اهتماماً بعلم النفس الفزيولوجي، وأعجب بقصدية برينتانو، والتي يميز بها بين الظواهر العقلية والظواهر الفيزيائية، وعنده أن الظواهر العقلية تتسم بهذه القصدية، فعندما يتواجد شيئان أ و ب تكون بينهما علاقة فيزيائية، ولكن عندما يوجد إنسان يفكر فإن العلاقة التي توجد بينه وبين ما يفكر فيه هي ظاهرة عقلية لها مضمون، وتتجه إلى موضوع. واعلاقة بين أ و ب لا يمكن أن توجد إلا إذا تواجد الشيئان أ و ب، ولكن المفكر قد يفكر في الحصان مثلاً دون أن يوجد حصان على الحقيقة يراه رأي العين كموضوع منظور. وفرانز برينتانو كان عالم نفس فيلسوف أيضاً، ولعله لهذا كان إعجاب وورد الشديد به، واستقدم نظريات برينتانو إلى الفكر النفسي

الإنكليزي. ولعله لهذا اعتبرت مقالته بعنوان "علم النفس "Psychology التي ضمنها الطبعة التاسعة من الموسوعة البريطانية من أهم ما كتب وأكثره تأثيراً (1886)، وقد راجعها وأعدها بعد ذلك لتكون كتتاباً بعنوان "مبادئ نفسانية (1918) "Psychological Principles"، وفي هذه المقالة، أو في هذا الكتاب المثير للكثير من الجدل، يؤكد وورد على أن علم النفس هو مبحث الخبرة، وفي الخبرة تتواجه الذات والموضوع، ووجود الموضوع يحدده انتباه الذات لوجوده، وشعورها به. وهذا الكلام يتناقض مع أقوال الارتباطيين، وخصوصاً بين Bain وسبنسر، وكان بين Bain يقول إن الفعل يصدر عنا ونحن لا نعرف ما يتولد عنه من نتائج، وإن المعتقدات تتحصل دون سند من العقل، أي في غفلة. وسبنسر كان يقول إن الشعور شكل من المادة والحركة، والخبرة تفاعل بين الإنسان والواقع، وما نحصله من معارف هو معرفة بالظواهر، وتتحصل المعرفة من ارتباط عناصرها الحسية. وورد ينفي ذلك ويؤكد على العمليات العقلية، ويقول بالذات وأفعالها، وبالوعي بهذه الأفعال، والإرادة لها، وأن تقصد الذات إلى فعلها، والمشكلة مع وورد أنه كان يريد إخضاع ذلك للتجريب المعملي، وكان يؤمن بالتجريب ويريد ترسيخ علم النفس على أسس فزيولوجية، وحاول أن يُلحق بجامعة كمبردج معملاً لعلم النفس الفسيولوجي، ولم يجد التمويل اللازم لذلك. وبسبب قوله بنشاط الذات أُدرج كعالم نفس وظيفي. وهناك من يقول إن وورد تحصل له اليقين من بعد أن النفس لا يمكن إخضاعها للتجريب المعملي، وأنه اتجه في آخر أيامه وجهة تكوينية، وينسب إليه بعض النقاد أنه بسبب علم النفس الوصفي الذي نقله إلى إنكلترا من برينتانو أخّر تطور علم النفس العلمي لمدة جيل على الأقل. وهناك من يقول إن من تأثير وورد على الفكر النفسي في إنكلترا أن انتهى القول بالذرية النفسية، ولم يعد أحد يؤمن بارتباطية هيوم وهارتلي وجيمس وجون مل، كما أنه تسبب في وقف الاعتقاد بالشكل الساذج البسيط

يُعد كتابه "المبادئ النفسية" (1918) أبرز أعماله، حيث عرض فيه منهجه المنهجي في علم النفس، وطرح نظريته حول النشاط النفسي.

تميزت آراؤه الفلسفية بنوع من وحدة الوعي، التي تفترض أن الوعي سمة أساسية من سمات الواقع، كما عارض التفسيرات الآلية للظواهر العقلية

من أشكال التعلم القائم على نظرية المثير الاستجابة، وبذلك ضمن للفكر النفسي الإنكليزي المناخ الملائم لاستقبال الأفكار والنظريات الأحدث والأكثر عصرانية .

ازدهرت مسيرة وارد الأكاديمية بعد حصوله على شهادته من كامبريدغ. أصبح عضوًا مؤثرًا في جمعية كامبريدغ أبوستلز الفكرية، وحافظ على حضور بارز في الأوساط الأكاديمية البريطانية طوال حياته المهنية

نتيجة..

جلية مكانته في مجالات علم النفس ونظرية المعرفة والميتافيزيقا. وبصفته أستاذًا في كلية ترينيتي بجامعة كامبريدغ، ساهم في ترسيخ علم النفس كتخصص أكاديمي في بريطانيا، وطوّر نظريات حول الوعي والعمليات العقلية. يُعد كتابه "المبادئ النفسية" (1918) أبرز أعماله، حيث عرض فيه منهجه المنهجي في علم النفس، وطرح نظريته حول النشاط النفسي. تميزت آراؤه الفلسفية بنوع من وحدة الوعي، التي تفترض أن الوعي سمة أساسية من سمات الواقع، كما عارض التفسيرات الآلية للظواهر العقلية. على الرغم من بداياته المتواضعة ومعاناته المالية في بداياته، ازدهرت مسيرة وارد الأكاديمية بعد حصوله على شهادته من كامبريدغ. أصبح عضوًا مؤثرًا في جمعية كامبريدغ أبوستلز الفكرية، وحافظ على حضور بارز في الأوساط الأكاديمية البريطانية طوال حياته المهنية. تأثرت أفكار وارد بدراساته على يد هيرمان لوتزه في ألمانيا، وتفاعلاته مع فلاسفة بارزين في عصره. لا يزال يُستشهد بأعماله في مناقشات الوعي والإدراك والعلاقة بين العقل والمادة.

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا
- د. متاس الصوافه – السويد
- د. جوليا سليمان – لبنان
- د. أروى عباس – سوريا
- ا.د. صبا علي –سوريا
- د. أمل مصطفى محمود – مصر

Johann Weyer يوحنا وير

يوحنا وير (1515– 1588) Johann Weyer أول طبيب يروج لتفسير نفسي المنشأ للسحر؛ ولهذا العمل وغيره، يُطلق عليه أحيانًا لقب أبو الطب النفسي. ورغم انتشار أعماله على نطاق واسع، لم يلقَ وير اهتمامًا يُذكر. وقد كتب أحد الباحثين أنه كان عديم الجدوى تمامًا كـ"رجل عاقل يتحدث إلى نزلاء مصحة عقلية ضخمة، وبنتائج مماثلة."

استخدم وير تعاطفه ونهجه الرائد في التعامل مع الأمراض العقلية لمعارضة جنون السحر في أوائل العصر الحديث في أوروبا.كان سوء فهم واضطهاد الأشخاص المضطربين نفسيًا أمرًا شائعًا في أوروبا خلال القرن السادس عشر، وقد طُورد العديد ممن عانوا من هذه المشكلة بتهمة السحر. في مواجهة هذا الظلم، وقف رجل واحد هو يوحنا وير، أول طبيب متخصص في الأمراض العقلية، أو "الكآبة" كما كانت تُسمى آنذاك. حارب وير ممارسة معاقبة أو قتل المشتبه بهم بالسحر، مؤكدًا أن هؤلاء "المصابين بالكآبة" ليسوا شياطين، بل مرضى نفسيون.

وُلد وير في غراف ، وهي بلدة صغيرة في دوقية برابانت في هولندا الهابسبورغية , التحق بالمدارس اللاتينية في Hertogenbosch–sولوفان, وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره تقريبًا، أصبح طالبًا مقيمًا لدى Heinrich Cornelius Agrippa (1486–1535)في Antwerp . اضطر أغريبا لمغادرة أنتويرب عام 1532، واستقر هو ووير في بون ، تحت حماية الأمير

يوحنا وير Johann Weyer (1515–1588) أول طبيب يروج لتفسير نفسي المنشأ للسحر؛ ولهذا العمل وغيره، يُطلق عليه أحيانًا لقب أبو الطب النفسي

استخدم وير تعاطفه ونهجه الرائد في التعامل مع الأمراض العقلية لمعارضة جنون السحر في أوائل العصر الحديث في أوروبا

الأسقف هيرمان فون فيد (أنجز أغريبا كتابًا عن الشياطين عام 1533، وتوفي بعد ذلك بعامين أثناء رحلة إلى فرنسا). منذ عام 1534، درس وير الطب في باريس، ثم في أورليان.

مارس الطب في مسقط رأسه غريف. عُيّن طبيبًا لمدينة أرنهيم عام 1545وبصفته هذه، طُلب منه تقديم المشورة بشأن السحر في قضية محكمة عام 1548 تتعلق بعرافة .

ورغم الدعم المالي الذي قدمه الإمبراطور شارل الخامس، لم تعد مدينة أرنهيم قادرة على دفع راتب وير. فانتقل إلى Clevesعام 1550، حيث أصبح طبيبًا للبلاط لدى الدوقWilhelm der Reiche ، بوساطة من الإنساني كونراد هيريسباخ نشر وير أعماله الرئيسية حول السحر، والتي طبق فيها وجهة نظر طبية متشككة على العجائب المزعومة والأمثلة المفترضة للسحر. تقاعد من منصبه عام 1578 وخلفه ابنه، جالينوس وير (1547–1619). بعد تقاعده، أنجز عملًا طبيًا في موضوع لا علاقة له بالسحر. توفي في 24 فبراير 1588 عن عمر يناهز 73 عامًا فيTecklenburg ، أثناء زيارته لشخص مريض. ودُفن في مقبرة الكنيسة المحلية، التي لم تعد موجودة.

كان يوحنا ابن أغنيس روردام وثيودوروس (ديرك) وير، تاجر الجنجل والفحم والأردواز، الذي كان عضوًا في مجلس مدينة غراف في عشرينيات القرن السادس عشر. ينحدر ديرك وأغنيس وير من ويلاند, وكانا على معرفة وثيقة بماكسيميليان فان إغموند وفرانسواز دي لانوي، اللذين أصبحا فيما بعد صهرَي ويليام الصامت .كان ليوحنا شقيقان معروفان، هما أرنولد وير والمتصوف ماتيس وير (حوالي 1520–1560). في أرنهيم ، تزوج من جوديث وينتغنس، وأنجب منها خمسة أطفال. بعد وفاة جوديث، تزوج من هنرييت هولست. أصبح ديدريك وير، الابن الأكبر ليوحنا، فقيهًا ودبلوماسيًا،

حارب وير ممارسة معاقبة أو قتل المشتبه بهم بالسحر، مؤكدًا أن هؤلاء "المصابين بالكآبة" ليسوا شياطين، بل مرضى نفسيون

مارس الطب في مسقط رأسه غريف. عُيّن طبيبًا لمدينة أرنهيم عام 1545 وبصفته هذه، طُلب منه تقديم المشورة بشأن السحر في قضية محكمة عام 1548 تتعلق بعرافة

بعد تقاعده، أنجز عملًا طبيًا في موضوع لا علاقة له بالسحر. توفي في 24 فبراير 1588 عن عمر يناهز 73 عامًا في Tecklenburg، أثناء زيارته لشخص مريض

وفي عامي 1566-1567، أثناء عمله لدى ويليم الرابع فان دن بيرغ ، شارك في "التماسات المتعلقة بقمع الهرطقة" التي قدمها النبلاء الهولنديون إلى فيليب الثاني ملك إسبانيا ، والتي أدى رفضها إلى حرب الثمانين عامًا .

كان ير يوقع جميع مراسلاته باسم "يوحناس وير" أو أحيانًا باسم "بيسيناريوس." وكان والداه وأبناؤه يحملون اسم "وير" أيضًا، وفي عام 1884 كان نصبه التذكاري في ألمانيا لا يزال يُسمى" ويرتورم " , ومع ذلك، منذ القرن العشرين، أصبح اسم "يوحنا وير" هو الاسم الشائع في الدراسات الألمانية والإنجليزية .

قام نحو أربعين شخصًا في كاسالي، غرب لومبارديا، بدهن مزاليج أبواب المدينة بمرهم لنشر الطاعون. أصيب كل من لمس الأبواب بالعدوى، وتوفي الكثيرون. وكان ورثة الموتى والمرضى قد دفعوا أموالًا لأشخاص في كاسالي لدهن الأبواب، سعيًا منهم للحصول على ميراثهم بسرعة أكبر. خداع الشياطين، 1583

انتقد وير كتاب "مطرقة الساحرات Malleus Maleficarum " وحملات witch hunt مطاردة الساحرات التي مارستها السلطات المسيحية والمدنية؛ ويُقال إنه أول من استخدم مصطلح" مريضة عقليًا" أو "مكتئبة "لوصف النساء المتهمات بممارسة السحر. في وقتٍ كانت فيه محاكمات الساحرات وإعدامهن في بداياتها، سعى إلى تقويض القانون المتعلق بمقاضاة السحرة. زعم أن أمثلة السحر لم تكن غير معقولة فحسب، بل إن جريمة السحر نفسها مستحيلة، وبالتالي فإن أي شخص يعترف بارتكابها يُرجح أن يكون مصابًا باضطراب عقلي (وخاصةً الكآبة، وهي فئة فضفاضة جدًا ذات أعراض متنوعة.)

قال بعض الباحثين إن وير قصد السخرية من مفهوم التسلسل الهرمي الجهنمي الذي أرسته كتب السحر السابقة من خلال كتابة هذين الكتابين وتسمية فهرس الشياطين الخاص به بـ "مملكة الشياطين الزائفة"

كان وير يوقع جميع مراسلاته باسم "يوحناس وير" أو أحيانًا باسم "بيسيناريوس." وكان والداه وأبناؤه يحملون اسم "وير" أيضًا، وفي عام 1884 كان نصبه التذكاري في ألمانيا لا يزال يُسمى" ويرتورم

انتقد وير كتاب "مطرقة الساحرات " Malleus Maleficarum وحملات witch hunt مطاردة الساحرات التي مارستها السلطات المسيحية والمدنية؛ ويُقال إنه أول من استخدم مصطلح" مريضة عقليًا" أو "مكتئبة "لوصف النساء المتهمات بممارسة السحر

ومع ذلك، فبينما دافع في كتابه "De Praestigiis Daemonum" عن فكرة أن قوة الشيطان لم تكن قوية كما ادعت الكنائس المسيحية الأرثوذكسية، فقد دافع أيضًا عن فكرة أن الشياطين تمتلك قوة ويمكنها الظهور أمام الأشخاص الذين يستدعونها، خالقةً أوهامًا؛ لكنه كان يشير عادةً إلى السحرة وليس إلى المشعوذات عند الحديث عن الأشخاص الذين يمكنهم خلق الأوهام، قائلاً إنهم زنادقة يستخدمون قوة الشيطان للقيام بذلك، وعند الحديث عن المشعوذات، استخدم مصطلح " مريض عقليًا."

علاوة على ذلك، لم يكتفِ وير بكتابة قائمة الشياطين "Pseudomonarchia Daemonum"، بل قدّم أيضًا وصفًا لها، بالإضافة إلى التعاويذ اللازمة لاستدعائها في الوقت المناسب وباسم الله والثالوث ، ليس لخلق أوهام، بل لإجبارها على طاعة الساحر، فضلًا عن تقديم نصائح حول كيفية تجنب بعض المخاطر والحيل إذا كان الشيطان مترددًا في تنفيذ الأوامر أو كاذبًا. كما سعى إلى إلغاء ملاحقة السحرة، وعند حديثه عن مستدعي الشياطين (الذين سماهم أرواحًا (، استخدم مصطلح" طارد الأرواح الشريرة" بحرص..

لم ينكر وير وجود الشيطان وعدد هائل من الشياطين الأخرى، رفيعة ودنيا الرتبة. وقد شكّل عمله مصدر إلهام للعديد من علماء الخوارق وعلماء الشياطين، بمن فيهم مؤلف مجهول كتب كتاب) Lemegeton " " المفتاح الأصغر لسليمان .(The Lesser Key of Solomon صدرت العديد من طبعات كتبه (المكتوبة باللاتينية)، ولا سيما كتاب"سودومونارشيا ديمونوم"، بالإضافة إلى عدة اقتباسات باللغة الإنجليزية، منها كتاب "اكتشاف السحر" لريجينالد سكوت (1584.)

وقد قوبل نداء وير للعفو عن المتهمين بجريمة السحر بمعارضة لاحقة في القرن السادس عشر من قبل الطبيب السويسري توماس إيراستوس

بينما دافع في كتابه " De Praestigiis Daemonum" عن فكرة أن قوة الشيطان لم تكن قوية كما ادعت الكنائس المسيحية الأرثوذكسية، فقد دافع أيضًا عن فكرة أن الشياطين تمتلك قوة ويمكنها الظهور أمام الأشخاص الذين يستدعونها، خالقةً أوهامًا

كان يشير عادةً إلى السحرة وليس إلى المشعوذات عند الحديث عن الأشخاص الذين يمكنهم خلق الأوهام، قائلاً إنهم زنادقة يستخدمون قوة الشيطان للقيام بذلك، وعند الحديث عن المشعوذات، استخدم مصطلح " مريض عقليًا".

(1524–1583) Thomas Erastus، والمنظر القانوني الفرنسي جان بودان (1530–1596) Jean Bodin، والملك جيمس السادس ملك اسكتلندا.(1566–1625) James VI and I

تعرض كنيسة تيكلنبورغ لوحة تذكارية لذكرى وير، وفي عام 1884 شيدت المدينة برجًا تكريمًا له، وهو برج وير في تيكلينبورغ. كما سُميت منظمة حقوق الإنسان الهولندية للعاملين في المجال الصحي باسم مؤسسة يوحناس وير .ويظهر وير، إلى جانب معلمه أغريبا.

ملخص..

يوحنا وير يعرف بأبو الطب النفسي الحديث، ويتنازعه الهولنديون والألمان، وله كتاب "عن هذاءات الشياطين De Praestiglis Demounm" (1673) ينقض فيه الخرافات الشائعة عن الأمراض النفسية وأسبابها من الشياطين والعفاريت، ...الخ، ويردها إلى اضطرابات عقلية، ويقول إن الساحرات المتهمات باستلاب العقول لسن أقل مرضاً من المصابات بالمرض العقلي وأنهم يتطلبن العلاج .

والكتاب دفاع عن الطب النفسي، يستعمل فيه وير نصوصاً من التوراة، ويعيد مناقشتها وتفسيرها تفسيراً إيتيمولوجياً، ويقدم تجارب على المخدرات ثبت أنه من الممكن أن تكون الهذاءات التي تنطق بها الساحرات نتيجة تعاطيهن لعقاقير تستحدث هذه الحالة فيهن .

وكان وير تلميذاً للطبيب المشهور أغريبا Heinrich Cornelius Agrippa (1486–1535)، ودرس في باريس، وكان كثير القراءة، وله تجارب طبية عديدة، إلا أن اهتمامه انصبّ على الأمراض النفسية، وكان يرد المرض النفسي إلى أسباب عضوية، ووصف الفصام وصفاً دقيقاً، كما وصف الهلاوس، وكان أول من قال بأن البارانويا والهلاوس السمعية لها اتصال بالشذوذ الجنسي، وفسر انتشار بعض الاضطرابات النفسية على

لم ينكر وير وجود الشيطان وعدد هائل من الشياطين الأخرى، رفيعة ودنيا الرتبة. وقد شكّل عمله مصدر إلهام للعديد من علماء الخوارق وعلماء الشياطين

قوبل نداء وير للعفو عن المتهمين بجريمة السحر بمعارضة لاحقة في القرن السادس عشر

يوحنا وير يعرف بأبو الطب النفسي الحديث، ويتنازعه الهولنديون والألمان، وله كتاب "عن هذاءات الشياطين De Praestiglis Demounm" (1673) ينقض فيه الخرافات الشائعة عن الأمراض النفسية وأسبابها من الشياطين والعفاريت، ...الخ

نطاق واسع بأنها نتيجة استهواء جماعي يتداعى له الناس بالجملة بالأعراض المرضية النفسية المؤقتة.

وذكر أن بعض الناس يكونون أكثر قابلية للإيحاء من غيرهم، وأنهم لذلك قد يمرضون بالتقليد وتأتيهم الأعراض المرضية النفسية. وقال إن المريض النفسي يتشوه عنده الواقع ويراه على غير الحقيقة وبالطريقة التي تناسب نوع المرض النفسي المصاب به، وإن الخيالات التي تأتيه هي من النوع الذي قد يأتي الأسوياء أيضاً في حالة الأحلام والكوابيس. وكان من الممكن أن تكون ملاحظات وير عن المرض النفسي مقدمة لعلم نفس مرضي ولكن الذين أتوا بعده لم يتبينوا أهميتها ولم يطوروها حتى مطلع القرن التاسع عشر .

ومن أمثلة المنهج الذي اتبعه وير أنه جرت الشائعات في بلده أن طفلة عمرها عشر سنوات قد أضربت عن الطعام وظلت هكذا لأسابيع وشهور، واعتبر الناس ذلك نوعاً من المعجزات، فما كان من وير إلا أن طلب استحضار البنت، وحضرت معها أمها وأختها، وأبقاهن تحت المراقبة في بيته، وتبين أن الأخت تجيء بطعام لأختها وتؤكله لها خفية، وكانت هذه أول مرة يشترك فيها عالم كبير وأسرته في الكشف عن حالة من حالات التمارض .

كان وير تلميذاً للطبيب المشهور أغريبا Heinrich Cornelius Agrippa (1486-1535)، ودرس في باريس، وكان كثير القراءة، وله تجارب طبية عديدة

اهتمامه انصبّ على الأمراض النفسية، وكان يرد المرض النفسي إلى أسباب عضوية، ووصف الفصام وصفاً دقيقاً، كما وصف الهلاوس، وكان أول من قال بأن البارانويا والهلاوس السمعية لها اتصال بالشذوذ الجنسي

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا
- د. متاس الصوافه – السويد
- د. جوليا سليمان – لبنان
- د. أروى عباس – سوريا
- ا.د. صبا علي –سوريا
- د. أمل مصطفى محمود – مصر

David Wechsler دافيد ويكسلر

دافيد ويكسلر (1896– 1981) David Wechsler عالم نفس أميركي من أصول رومانية، اشتهر بقياساته للذكاء، وفيها دمج لأول مرة الاختبارات اللفظية وغير اللفظية باعتبارهما مقياساً واحداً مركباً، وأدخل مفهوم العوامل غير المعرفية في الذكاء..

طوّر مقاييس ذكاء شهيرة، كمقياس ويكسلر لذكاء البالغين (WAIS) ومقياس ويكسلر لذكاء الأطفال .(WISC)عمل في مشفى بيلفيو.. صنّف استطلاعٌ نُشر عام 2002 في مجلة "مراجعة علم النفس العام" ويكسلر في المرتبة 51 بين أكثر علماء النفس شهرة في القرن العشرين.

يعتبر ويكسلر هو عالم النفس الذي أعاد تعريف اختبارات الذكاء.. عندما يُذكر اختبار الذكاء، قد يتبادر إلى الذهن آينشتاين، أو الأطفال العباقرة، ولكن وراء كل اختبار ذكاء حديث تقريباً، يوجد اسم ربما لم تسمع عنه بما فيه الكفاية انه ديفيد ويكسلر.

ليس مشهورًا كفرويد أو بافلوف في الثقافة الشعبية، لكن في عالم علم النفس؟.. يُعدّ ويكسلر أسطورة. لم يكتفِ هذا العالم النفسي الروماني الأمريكي بوضع بضعة اختبارات والاكتفاء بذلك، بل أحدث ثورةً في فهمنا وقياسنا للذكاء ، وطوّر أدوات ...ومقياس وكسلر لذكاء الأطفال (WISC) الذي لا يزال يعتبر المعيار الذهبي بعد مرور قرن تقريبًا.

دافيد ويكسلر David Wechsler ((1896- 1981 عالم نفس أميركي من أصول رومانية، اشتهر بقياساته للذكاء، وفيها دمج لأول مرة الاختبارات اللفظية وغير اللفظية باعتبارهما مقياساً واحداً مركباً، وأدخل مفهوم العوامل غير المعرفية في الذكاء..

طوّر مقاييس ذكاء شهيرة، كمقياس ويكسلر لذكاء البالغين (WAIS) ومقياس ويكسلر لذكاء الأطفال (WISC). عمل في مشفى بيلفيو..

صنّفه استطلاعٌ نُشر عام 2002 في مجلة "مراجعة علم النفس العام" ويكسلر في المرتبة 51 بين أكثر علماء النفس شهرة في القرن العشرين

ليس مشهورًا كفرويد أو بافلوف في الثقافة الشعبية، لكن في عالم علم النفس؟.. يُعدّ ويكسلر أسطورة. لم يكتفِ هذا العالم النفسي الروماني الأمريكي بوضع بضعة اختبارات والاكتفاء بذلك، بل أحدث ثورةً في فهمنا وقياسنا للذكاء

وُلد ويكسلر لعائلة يهودية في 12 يناير عام 1896 في ليسبيزي، رومانيا ، عائلته لم تمكث في رومانيا طويلًا. فمثل العديد من العائلات المهاجرة الأخرى في مطلع القرن العشرين، حزمت عائلته أمتعتها وتوجهت إلى الولايات المتحدة ، بحثًا عن الفرص والحياة الأفضل التي وعدت بها أمريكا.

لم تكن حياة طفل مهاجر في أوائل القرن العشرين في أمريكا سهلة على الإطلاق. لم يكن النظام التعليمي مُرحِّباً بالغرباء، وكانت حواجز اللغة حقيقية، والاختلافات الثقافية تُشكِّل تحديات في كل منعطف. ولكن إن كان هناك شيء واحد نعرفه عن ويكسلر، فهو أن العقبات لم تكن لتثنيه عن تحقيق طموحاته.

بدأت رحلة ويكسلر الأكاديمية في كلية مدينة نيويورك (CCNY) ، وهي مؤسسة اكتسبت سمعة طيبة في منح طلاب الجيل الأول والمهاجرين فرصة حقيقية للنجاح. اشتهرت كلية مدينة نيويورك بتخريج عقول لامعة، لا سيما من مجتمعات المهاجرين، وشعر ويكسلر بالراحة التامة بين هؤلاء الطلاب الطموحين والمثابرين.

لكن كلية مدينة نيويورك لم تكن سوى البداية. كان لدى ويكسلر طموحات أكبر، وكانت محطته التالية جامعة كولومبيا ، إحدى أعرق برامج علم النفس في البلاد. حصل على درجة الماجستير عام 1917 ، ثم واصل مسيرته ليحصل على درجة الدكتوراه في علم النفس عام 1925.

وهنا تكمن المفارقة: كان مشرف أطروحته للدكتوراه روبرت س. وودوورث Robert Sessions Woodworth (1896–1962)، وجود وودوورث كمرشد بمثابة التدرب على يد مايكل جوردان في علم النفس – فقد كان ذلك مصدر ثقة كبير وفرصة تعليمية لا تُصدق.

خلال فترة وجوده في جامعة كولومبيا، وجد ويكسلر نفسه محاطًا ببعض ألمع العقول في مجال البحث النفسي. درس جنبًا إلى جنب مع أساطير مثل تشارلز سبيرمان Charles Edward Spearman (1863–1945)وكارل بيرسون Karl Pearson (1857–1936).وتعلم منهم، وهم رواد أحدثوا ثورة في التحليل الإحصائي ووضعوا أسس اختبارات الذكاء.

كان سبيرمان، على وجه الخصوص، يعمل على نظريته حول الذكاء العام (عامل الذكاء العام (، بينما كان بيرسون يطور أساليب إحصائية ستصبح أساسية في البحث النفسي. وقد أثر اطلاعه على هذه الأفكار الرائدة خلال سنوات تكوينه بشكل عميق على كيفية تعامل ويكسلر لاحقًا مع قياس الذكاء.

بحلول الوقت الذي أنهى فيه تعليمه، لم يكن ويكسلر مجرد خريج علم نفس آخر – بل كان مسلحًا بمعرفة من أفضل الخبراء في هذا المجال ، مما مهد الطريق لعمل من شأنه أن يغير اختبارات الذكاء إلى الأبد.

أحيانًا ترميك الحياة مباشرة في أعماقها، وبالنسبة لويكسلر، جاءت تلك اللحظة خلال الحرب العالمية الأولى . واجه الجيش الأمريكي تحديًا هائلاً, اذ احتاجوا إلى تقييم آلاف من المجندين الجدد بسرعة، وتحديد من يمتلك المهارات المعرفية اللازمة للمناصب القيادية ، ومن سيتفوق في الأدوار المتخصصة، ومن قد يواجه صعوبة في ظل متطلبات الخدمة العسكرية.

انضم ويكسلر إلى الفريق المسؤول عن إدارة اختبارات الذكاء ألفا وبيتا للجيش ، المصممة لقياس الذكاء اللفظي وغير اللفظي . قيّم اختبار ألفا القدرات اللفظية، بينما صُمم اختبار بيتا للمجندين الذين لا يجيدون قراءة اللغة الإنجليزية أو ذوي التعليم المحدود، مما يجعله نظرياً أكثر شمولاً.

في ذاك الوقت، كان هذا الأمر ثورياً. فكرة أنه يمكنك قياس الذكاء بشكل منهجي لدى آلاف الأشخاص واستخدام تلك القياسات لاتخاذ قرارات عملية؟ أمرٌ مذهل.

وُلد ويكسلر لعائلة يهودية في 12 يناير عام 1896 في ليسبيزي، رومانيا ، عائلته لم تمكث في رومانيا طويلًا

بدأت رحلة ويكسلر الأكاديمية في كلية مدينة نيويورك (CCNY) ، وهي مؤسسة اكتسبت سمعة طيبة في منح طلاب الجيل الأول والمهاجرين فرصة حقيقية للنجاح

كلية مدينة نيويورك لم تكن سوى البداية. كان لدى ويكسلر طموحات أكبر، وكانت محطته التالية جامعة كولومبيا ، إحدى أعرق برامج علم النفس في البلاد

صُممت الاختبارات مع وضع فئة سكانية محددة في الاعتبار، وهم الناطقون الأصليون باللغة الإنجليزية الحاصلون على تعليم رسمي . هذا يعني أن المهاجرين، والأشخاص من خلفيات اجتماعية واقتصادية متدنية، والذين لا يتقنون اللغة الإنجليزية، كانوا في وضع غير مواتٍ تلقائيًا. قد تُظهر نتائجهم أنهم أقل ذكاءً مما هم عليه في الواقع، ليس بسبب نقص في قدراتهم المعرفية، بل لأن معيار القياس نفسه كان متحيزًا.

بالنسبة لويكسلر، الذي خاض تجربة الهجرة بنفسه، لم يكن هذا مجرد ملاحظة أكاديمية، بل كان أمراً شخصياً. فقد شهد بنفسه كيف يمكن لاختبارات الذكاء أن تُلحق الضرر بشكل منهجي بمجموعات كاملة من الناس، ليس بسبب أي نقص حقيقي في الذكاء، ولكن لأن الاختبارات نفسها لم تُصمم مع مراعاة التنوع.

شكّلت هذه التجربة نقطة تحوّل في مسيرته المهنية. فبدلاً من قبول الوضع الراهن، بدأ ويكسلر بالتفكير النقدي في كيفية جعل تقييم الذكاء أكثر عدلاً ودقة، وأكثر انعكاساً لأنواع القدرات المعرفية المختلفة . هذه الفكرة البسيطة ستتطور لاحقاً إلى نهجه الثوري في اختبار الذكاء.

بعد العمل في عيادة خاصة لعدة سنوات، حصل ديفيد ويكسلر على المنصب الذي سيحدد مسيرته المهنية: كبير علماء النفس في مستشفى بيلفيو للأمراض النفسية في مدينة نيويورك ، حيث عمل من عام 1932 إلى عام 1967.

كان مستشفى بيلفيو من أشهر المؤسسات النفسية في البلاد . كان المرضى هناك يمثلون بعضًا من أكثر الحالات النفسية تعقيدًا، وكان ويكسلر بحاجة إلى أدوات موثوقة لتقييم وظائفهم الإدراكية.

كان اختبار الذكاء المعتمد آنذاك هو اختبار ستانفورد– بينيه ، الذي كان يُفترض أنه المعيار الذهبي لقياس الذكاء. ولكن كلما زاد استخدام ويكسلر له في عمله السريري، كلما أدرك وجود قيود خطيرة عليه.

حصل على درجة الماجستير عام 1917 ، ثم واصل مسيرته ليحصل على درجة الدكتوراه في علم النفس عام 1925 .

خلال فترة وجوده في جامعة كولومبيا، وجد ويكسلر نفسه محاطًا ببعض ألمع العقول في مجال البحث النفسي

بحلول الوقت الذي أنهى فيه تعليمه، لم يكن ويكسلر مجرد خريج علم نفس آخر – بل كان مسلحًا بمعرفة من أفضل الخبراء في هذا المجال ، مما مهد الطريق لعمل من شأنه أن يغير اختبارات الذكاء إلى الأبد.

المشكلة رقم 1: مشكلة النتيجة الواحدة..

اختُزل كل شيء إلى رقم واحد. الذكاء معقد للغاية ومتعدد الجوانب، ويشمل أنواعًا مختلفة من التفكير والذاكرة وحل المشكلات ومهارات المعالجة. إن اختزال كل ذلك إلى درجة ذكاء واحدة يبدو تبسيطًا مفرطًا وغير مكتمل، تمامًا كمحاولة وصف سيمفونية بإعطائها رقمًا من 1 إلى 10.

انضم ويكسلر إلى الفريق المسؤول عن إدارة اختبارات الذكاء ألفا وبيتا للجيش ، المصممة لقياس الذكاء اللفظي وغير اللفظي

المشكلة رقم 2: التركيز المفرط على المهارات اللفظية..

كان اختبار ستانفورد– بينيه يركز بشكل كبير على القدرات اللفظية . فإذا كنتَ بارعًا في التفكير البصري المكاني، أو تمييز الأنماط ، أو حل المشكلات العملية، ولكنك تواجه صعوبة في المهام اللفظية، فلن يُظهر الاختبار قدراتك الفكرية الحقيقية. وقد شكّل هذا الأمر إشكالية خاصة للأشخاص الذين يعانون من حواجز لغوية، أو خلفيات تعليمية مختلفة، أو الذين يميلون إلى التفكير البصري.

شهد بنفسه كيف يمكن لاختبارات الذكاء أن تُلحق الضرر بشكل منهجي بمجموعات كاملة من الناس، ليس بسبب أي نقص حقيقي في الذكاء، ولكن لأن الاختبارات نفسها لم تُصمم مع مراعاة التنوع .

المشكلة رقم 3: تجاهل سياق العالم الحقيقي

كان ويكسلر يعتقد أن الذكاء لا يوجد بمعزل عن غيره .فالبيئة، والحالة النفسية، والشخصية، والدافعية ، وظروف الحياة، كلها عوامل تلعب أدوارًا حاسمة في كيفية ظهور الذكاء ووظائفه . لم يأخذ نموذج ستانفورد–بينيه أيًا من هذه العوامل في الحسبان، مما جعله يبدو جامدًا ومنفصلًا عن كيفية عمل الذكاء في الواقع.

من الإحباط إلى الابتكار

بدلاً من مجرد التذمر من هذه القيود، قرر ويكسلر أن يفعل شيئاً حيال ذلك. أصبح إحباطه من اختبارات الذكاء الحالية حافزاً لابتكار شيء جديد تماماً – اختبارات ستكون أكثر شمولاً، وأكثر عدلاً ومنطقية، وأكثر فائدة في البيئات السريرية والتعليمية الفعلية .وكانت هذه هي اللحظة المحورية التي تحول فيها التفكير النقدي لدى ويكسلر إلى ابتكار رائد، مما مهد الطريق لمقاييس الذكاء التي ستحدث ثورة في هذا المجال.

ثورة وكسلر:.. طريقة جديدة لقياس الذكاء

لم يكن ويكسلر مهتمًا بإجراء تعديلات طفيفة على اختبارات الذكاء الموجودة، بل أراد إعادة تصور كيفية تقييم القدرات المعرفية بشكل جذري . فقد شعر أن الاختبارات المتاحة قديمة ومحدودة، لذلك في عام 1939 ، قدم اختبار ويكسلر – بيلفيو للذكاء ، والذي تطور لاحقًا إلى مقياس ويكسلر لذكاء البالغين. (WAIS)

والأمر المثير للدهشة هو أن اختبار وكسلر لذكاء البالغين لا يزال يُعتبر المعيار الذهبي في اختبارات ذكاء البالغين حتى اليوم ، بعد مرور قرابة قرن من الزمن. وهذا ليس مثيرًا للإعجاب فحسب، بل هو دليل على مدى ثورية منهج وكسلر.

ما الذي جعل اختبار WAIS مختلفًا؟

أدخل ويكسلر العديد من الابتكارات الثورية في مجال اختبارات الذكاء، والتي أحدثت تحولاً جذرياً في هذا المجال:

الابتكار الاول: الدرجات المعيارية بدلاً من "معدلات الذكاء.."

استخدمت اختبارات الذكاء القديمة معادلة معقدة تقارن "العمر العقلي" للشخص بعمره الزمني، مما أدى إلى ظهور العديد من المشاكل والتناقضات. وقد تخلى ويكسلر عن هذا النظام تمامًا.

بدلاً من ذلك، أدخل نظام التقييم الموحد حيث يمثل 100 متوسط الدرجات، وتمثل كل زيادة قدرها 15 نقطة انحرافًا معياريًا واحدًا عن المتوسط. وقد جعل هذا الدرجات أكثر موثوقية، وأكثر قابلية للمقارنة بين مختلف الأعمار، وأكثر فائدة بكثير للأغراض السريرية والبحثية على حد سواء.

الابتكار الثاني: الذكاء اللفظي مقابل ذكاء الأداء..

كانت هذه هي الضربة القاضية لويكسلر. فقد أدرك أن الذكاء لا يقتصر فقط على مدى قدرتك على الإجابة على الأسئلة بالكلمات والأرقام. لذلك قسم تقييم الذكاء إلى مجالين رئيسيين:

كان اختبار ستانفورد- بينيه يركز بشكل كبير على القدرات اللفظية . فإذا كنتَ بارعًا في التفكير البصري المكاني، أو تمييز الأنماط ، أو حل المشكلات العملية، ولكنك تواجه صعوبة في المهام اللفظية، فلن يُظهر الاختبار قدراتك الفكرية الحقيقية

كان ويكسلر يعتقد أن الذكاء لا يوجد بمعزل عن غيره. فالبيئة، والحالة النفسية، والشخصية، والدافعية ، وظروف الحياة، كلها عوامل تلعب أدوارًا حاسمة في كيفية ظهور الذكاء ووظائفه

يقيس الذكاء اللفظي مهارات مثل:

المفردات وفهم اللغة

•الاستدلال الحسابي والرياضي

•المعرفة العامة والمعلومات

•الاستدلال المجرد اللفظي

قامت شركة Performance Intelligence بتقييم القدرات مثل:

•تصميم الكتل والتفكير المكاني

•ترتيب الصور والتسلسل البصري

•تجميع الأشياء والتنسيق البصري الحركي

•حل المشكلات غير اللفظي

من خلال فصل هذين النوعين من الذكاء، رسم وكسلر صورة أكثر شمولاً للقدرة المعرفية. قد يتفوق شخص ما في المهام البصرية المكانية ولكنه يواجه صعوبة في الاستدلال اللفظي ، أو العكس – والآن أصبح من الممكن تحديد هذه الاختلافات وفهمها.

الابتكار الثالث: الصلة بالواقع..

لم يكن ويكسلر مهتماً بإنشاء اختبارات لمجرد الاختبار. لقد أراد أن يقيس مقياس الذكاء الخاص به المهارات التي تهم بالفعل في الحياة اليومية – القدرة على معالجة المعلومات بكفاءة، وحل المشكلات العملية، والتغلب على تحديات العالم الحقيقي.

تضمنت اختباراته الفرعية مهامًا تعكس كيفية استخدام الناس لذكائهم في الواقع: تجميع الألغاز، وفهم المواقف الاجتماعية من الصور، والتعامل مع الأشياء، وفهم المعلومات المعقدة تحت ضغط الوقت.

تتولى WAIS زمام الأمور..

بفضل هذه التحسينات الكبيرة، بدأ اختبار وكسلر لذكاء البالغين

لم يكن ويكسلر مهتمًا بإجراء تعديلات طفيفة على اختبارات الذكاء الموجودة، بل أراد إعادة تصور كيفية تقييم القدرات المعرفية بشكل جذري

أن اختبار وكسلر لذكاء البالغين لا يزال يُعتبر المعيار الذهبي في اختبارات ذكاء البالغين حتى اليوم ، بعد مرور قرابة قرن من الزمن. وهذا ليس مثيرًا للإعجاب فحسب، بل هو دليل على مدى ثورية منهج وكسلر

استخدمت اختبارات الذكاء القديمة معادلة معقدة تقارن "العمر العقلي" للشخص بعمره الزمني، مما أدى إلى ظهور العديد من المشاكل والتناقضات. وقد تخلى ويكسلر عن هذا النظام تمامًا.

(WAIS)يكتسب شعبية سريعة في الأوساط النفسية. وبحلول ستينيات القرن العشرين، تفوق على اختبار ستانفورد– بينيه ليصبح اختبار الذكاء الأكثر استخدامًا للبالغين.

لم يكن الأمر مجرد مسألة تفضيل شخصي، فقد أثبت مقياس وكسلر للذكاء الاصطناعي (WAIS) أنه أكثر دقة وشمولية وفائدة في نطاق أوسع من التطبيقات. لم يكن نهج وكسلر أفضل نظريًا فحسب، بل حقق نتائج أفضل عمليًا.

توسيع نطاق الوصول: اختبارات الذكاء للأطفال..

بعد أن رأى ويكسلر نجاح اختباره لذكاء البالغين، أدرك أمراً هاماً : الأطفال بحاجة إلى نسخة خاصة بهم . ففي النهاية، لا يعالج طفل في العاشرة من عمره المعلومات بالطريقة نفسها التي يعالجها بها شخص في الخامسة والثلاثين، واستخدام أساليب تقييم متطابقة لكليهما؟ هذا غير منطقي.

مقياس وكسلر لذكاء الأطفال ..(WISC)

في عام 1949 ، قدم وكسلر مقياس وكسلر لذكاء الأطفال (WISC) ، المصمم خصيصًا للذين تتراوح أعمارهم بين 6 و 16 عامًا . لم يكن هذا مجرد اختبار تم تبسيطه – بل تم تصميمه بعناية ليعكس مراحل النمو المعرفي وقدرات الأطفال والمراهقين.

اتبع اختبار وكسلر لذكاء الأطفال (WISC) نفس البنية الأساسية لاختبار وكسلر لذكاء البالغين (WAIS)، حيث يقيس الذكاء اللفظي والذكاء العملي، ولكن باستخدام مهام ومعايير مناسبة للفئة العمرية. وهذا ما جعله طريقة أكثر توازناً ودقة لتقييم القدرات المعرفية لدى الأطفال الصغار.

كان الأثر فورياً.. سرعان ما أصبح اختبار وكسلر لذكاء الأطفال (WISC)الاختبار الأكثر استخداماً لذكاء الأطفال ، ولا يزال كذلك حتى

أدرك أن الذكاء لا يقتصر فقط على مدى قدرتك على الإجابة على الأسئلة بالكلمات والأرقام

رسم وكسلر صورة أكثر شمولاً للقدرة المعرفية. قد يتفوق شخص ما في المهام البصرية المكانية ولكنه يواجه صعوبة في الاستدلال اللفظي ، أو العكس – والآن أصبح من الممكن تحديد هذه الاختلافات وفهمها

تضمنت اختباراته الفرعية مهامًا تعكس كيفية استخدام الناس لذكائهم في الواقع: تجميع الألغاز، وفهم المواقف الاجتماعية من الصور، والتعامل مع الأشياء، وفهم المعلومات المعقدة تحت ضغط الوقت.

اليوم. أصبح لدى التربويين وعلماء النفس المدرسيين والأطباء أخيراً أداة موثوقة وشاملة لفهم نقاط القوة والتحديات المعرفية لدى الأطفال.

مقياس وكسلر لذكاء ما قبل المدرسة والابتدائية ..(WPPSI)

لكن ويكسلر لم يتوقف عند هذا الحد. ماذا عن الأطفال الأصغر سناً – تلك السنوات المبكرة التي يحدث فيها التطور المعرفي بسرعة فائقة؟

في عام 1967 ، أطلق مقياس وكسلر لذكاء ما قبل المدرسة والابتدائية (WPPSI)، المصمم للأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم سنتين ونصف . لم يكن الهدف من ذلك تحديد "الأطفال الصغار الموهوبين" أو تصنيف أطفال ما قبل المدرسة، بل كان له غرض أهم بكثير.

أصبح مقياس WPPSI أداة لا تقدر بثمن لتقييم النمو المعرفي المبكر . وقد ساعد هذا المقياس المعلمين وعلماء النفس على ما يلي:

•تحديد التحديات التعليمية المحتملة مبكراً، عندما يكون التدخل أكثر فعالية.

•التعرف على نقاط القوة المعرفية التي يمكن رعايتها وتطويرها

•تزويد الآباء والمعلمين بمعلومات قيّمة حول أسلوب تعلم الطفل

•اتخذ قرارات مدروسة بشأن الالتحاق بالبرامج التعليمية وخدمات الدعم.

نظام متكامل طوال العمر..

بفضل اختبارات WAIS و WISCوWPPSI ، ابتكر وكسلر شيئاً رائعاً: نظاماً شاملاً لتقييم الذكاء في كل مرحلة تقريباً من مراحل النمو البشري . من الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة إلى كبار السن، أصبح هناك الآن أداة موثوقة ومدروسة جيداً متاحة.

لم يقتصر الأمر على قياس معدل الذكاء فحسب، بل شمل فهم كيفية عمل الذكاء وتطوره وتجلياته عبر مختلف الأعمار والقدرات . ولا يزال هذا الفهم يشكل كيفية تعاملنا مع التقييم المعرفي اليوم.

بعد أن رأى ويكسلر نجاح اختباره لذكاء البالغين، أدرك أمراً هاماً: الأطفال بحاجة إلى نسخة خاصة بهم . ففي النهاية، لا يعالج طفل في العاشرة من عمره المعلومات بالطريقة نفسها التي يعالجها بها شخص في الخامسة والثلاثين، واستخدام أساليب تقييم متطابقة لكليهما؟ هذا غير منطقي

في عام 1949، قدم وكسلر مقياس وكسلر لذكاء الأطفال (WISC)، المصمم خصيصًا للذين تتراوح أعمارهم بين 6 و 16 عامًا

فلسفة وكسلر: الذكاء أكثر من مجرد رقم..

بينما تعامل العديد من علماء النفس في عصره مع الذكاء كصفة ثابتة ومفردة يمكن قياسها برقم واحد ، كان لدى ديفيد ويكسلر منظور مختلف تمامًا. لم يكن مقتنعًا بالرؤية المبسطة للذكاء التي سادت هذا المجال.

إعادة تعريف الذكاء..

عرّف وكسلر الذكاء على النحو التالي: "القدرة العالمية على التصرف بهدف، والتفكير بعقلانية، والتعامل بفعالية مع البيئة المحيطة." قد يبدو هذا واضحاً للوهلة الأولى. لكن في ذلك الوقت، مثّل هذا التعريف تحولاً جذرياً في كيفية تصور علماء النفس للذكاء.

لاحظ ما يتضمنه هذا التعريف:

" •التصرف بوعي – "ينطوي الذكاء على سلوك موجه نحو تحقيق هدف وقصدية

" •فكّر بعقلانية" – يُعدّ التفكير المنطقي والحكم السليم عنصرين أساسيين.

" •التعامل الفعال مع البيئة – "التكيف مع الواقع وحل المشكلات أمران مهمان

بدلاً من النظر إلى الذكاء على أنه شيء أكاديمي أو مجرد بحت ، رأى ويكسلر أنه شيء وظيفي وقابل للتكيف ومرتبط بشكل أساسي بكيفية تعاملنا مع الحياة الواقعية.

ما وراء نتيجة الاختبار..

أدرك ويكسلر أيضاً شيئاً أغفله العديد من الباحثين الأوائل في مجال الذكاء: الذكاء لا يوجد في فراغ . إنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بجوانب أخرى من الأداء البشري. وأدرك أن عوامل مثل الدافعية، والحالة العاطفية، وسمات الشخصية، والظروف البيئية، تؤثر جميعها على كيفية ظهور الذكاء وكيفية

لم يكن هذا مجرد اختبار تم تبسيطه – بل تم تصميمه بعناية ليعكس مراحل النمو المعرفي وقدرات الأطفال والمراهقين.

اتبع اختبار وكسلر لذكاء الأطفال (WISC) نفس البنية الأساسية لاختبار وكسلر لذكاء البالغين (WAIS)، حيث يقيس الذكاء اللفظي والذكاء العملي، ولكن باستخدام مهام ومعايير مناسبة للفئة العمرية.

قد ساعد هذا المقياس المعلمين وعلماء النفس على ما يلي:

- تحديد التحديات التعليمية المحتملة مبكراً، عندما يكون التدخل أكثر فعالية.
- التعرف على نقاط القوة المعرفية التي يمكن رعايتها وتطويرها

أداء الأفراد في المهام المعرفية. تجاهلت اختبارات الذكاء التقليدية هذه العوامل السياقية إلى حد كبير، لكن ويكسلر اعتبرها أساسية لفهم القدرة المعرفية.

ساهم هذا النهج الأوسع والأكثر إنسانية في تمهيد الطريق لتطورات لاحقة في علم النفس، بما في ذلك مفاهيم مثل الذكاء العاطفي والذكاءات المتعددة. لم يكن ويكسلر يسأل فقط "ما مدى ذكاء هذا الشخص نظريًا؟" ، بل كان يسأل "كيف يفكر هذا الشخص، وكيف يتكيف، وكيف يعمل في العالم الحقيقي؟"

إرثٌ راسخٌ يُشكّل مفهوم الاختبار اليوم..

تقاعد ديفيد ويكسلر من مستشفى بيلفيو عام 1967 بعد 35 عامًا من العمل الرائد، وتوفي عام 1981 ولكن تأثيره لم يتلاشى الى الان.. لا تزال مقاييس الذكاء التي وضعها تُعتبر المعيار الذهبي في اختبارات الذكاء على مستوى العالم ، وتُستخدم على نطاق واسع في المدارس والمستشفيات والعيادات ومراكز الأبحاث وغيرها. ادخل إلى أي مكتب لأخصائي نفسي تربوي اليوم، وستجد على الأرجح أنهم يستخدمون نسخة حديثة من اختبار وكسلر.

كان منهج وكسلر أكثر دقة وشمولية وفائدة من أي منهج سبقه. فمن خلال تجاوزه مجرد درجة الذكاء الواحدة واعترافه بأنواع الذكاء المختلفة، جعل التقييم المعرفي ذا قيمة حقيقية لفهم نقاط القوة والضعف لدى الأفراد.

تم تحديث مقياسي وكسلر لذكاء البالغين (WAIS) ووكسلر لذكاء الأطفال (WISC) عدة مرات منذ إصدارهما الأصلي، وصدر من فترة بسيطة الإصدارين المحدثين الرابع والخامس من .WAIS تتضمن هذه التحديثات نتائج أبحاث جديدة، ومعايير محدثة، واختبارات فرعية مُحسّنة، لكن الإطار الأساسي يبقى إطار وكسلر. لانه متين للغاية.

بفضل اختبارات WAIS وWISC و WPPSI، ابتكر وكسلر شيئاً رائعاً: نظاماً شاملاً لتقييم الذكاء في كل مرحلة تقريباً من مراحل النمو البشري . من الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة إلى كبار السن، أصبح هناك الآن أداة موثوقة ومدروسة جيداً متاحة

بينما تعامل العديد من علماء النفس في عصره مع الذكاء كصفة ثابتة ومفردة يمكن قياسها برقم واحد ، كان لدى ديفيد ويكسلر منظور مختلف تمامًا

ساهم اعتقاد ويكسلر بأن الذكاء ليس شيئًا واحدًا فقط في وضع الأساس لنظريات لاحقة وسّعت فهمنا بشكل أكبر. فعلى سبيل المثال، استندت نظرية هوارد غاردنر عن الذكاءات المتعددة إلى فكرة أن القدرة المعرفية تتجلى بطرق مختلفة، وهي فكرة دافع عنها ويكسلر قبل عقود.

كان لاختبارات ويكسلر آثار ملموسة على حياة الملايين:

•يتم التعرف على الأطفال ذوي صعوبات التعلم في وقت مبكر ويتلقون الدعم المناسب.

•يتم تقدير الطلاب الموهوبين ومنحهم فرصًا للنجاح

•يتم وضع التشخيصات السريرية بدقة أكبر بناءً على الملفات المعرفية الشاملة.

•يتم تصميم التدخلات التعليمية بما يتناسب مع نقاط القوة والضعف المعرفية لكل فرد.

لم يقتصر تأثير ويكسلر على تغيير اختبارات الذكاء فحسب، بل غيّر أيضاً طريقة تفكيرنا في الذكاء والتقييم المعرفي والإمكانات البشرية . لقد أثر عمله بشكل عميق على علم النفس والتعليم والممارسة السريرية وعلم الأعصاب، مما يضمن أن قياس الذكاء لا يقتصر على مجرد إعطاء أرقام للأفراد، بل يتعلق بفهمهم فهماً حقيقياً.

إن استمرار علماء النفس المعاصرين في استخدام نسخ محدثة من اختبارات وكسلر – بدلاً من استبدالها بأخرى مختلفة تماماً – له دلالة بالغة. فالإطار الذي وضعه كان متيناً ومتقناً لدرجة أنه صمد أمام عقود من البحث والنقد والتطوير.

إن إرث ويكسلر ليس مجرد إرث نظري، بل له آثار حقيقية وملموسة:

•يحصل الطلاب على الدعم التعليمي الذي يحتاجونه بناءً على ملفات تعريف معرفية شاملة

عرّف ويكسلر الذكاء على النحو التالي: "القدرة العالمية على التصرف بهدف، والتفكير بعقلانية، والتعامل بفعالية مع البيئة المحيطة

بدلاً من النظر إلى الذكاء على أنه شيء أكاديمي أو مجرد بحت ، رأى ويكسلر أنه شيء وظيفي وقابل للتكيف ومرتبط بشكل أساسي بكيفية تعاملنا مع الحياة الواقعية

أدرك ويكسلر أيضاً شيئاً أغفله العديد من الباحثين الأوائل في مجال الذكاء: الذكاء لا يوجد في فراغ . إنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بجوانب أخرى من الأداء البشري

•تصبح التشخيصات السريرية أكثر دقة وتفصيلاً.

•تعتمد الأبحاث المتعلقة بالتطور المعرفي والشيخوخة على مقاييسه المعيارية

•تستخدم القرارات القانونية وقرارات الإعاقة اختباراته كأدوات تقييم موضوعية

خلاصة..

دافيد ويكسلر (1896– 1981) عالم نفس أميركي من أصول رومانية، اشتهر بقياساته للذكاء، وفيها أدمج لأول مرة الاختبارات اللفظية وغير اللفظية باعتبارهما مقياساً واحداً مركباً، وأدخل مفهوم العوامل غير المعرفية في الذكاء، وذاعت عنه وجهة النظر التي تذهب إلى أن أغلب القدرات العقلية تبدأ في التدهور في سن مبكرة نحو الخامسة والعشرين، واشتملت مجالات دراساته الرئيسية الذكاء واستخدام الاختبارات العقلية التشخيصية، وله مقياس ويكسلر بيلفي وضعه سنة 1939 لقياس ذكاء الأفراد بين 7 إلى 69، ويتكون من 11 اختباراً، ستة منها لفظية للمعلومات والاستيعاب واستعادة الأرقام والحساب والمتمائلات والمفردات، وخمسة أدائية تشتمل على ترتيب الصور وإكمالها والرسم بالمكعبات والتجميع ورموز الأرقام. وتقيس هذه الاختبارات جميعها القدرات اللفظية والعددية والاجتماعية والإدراكية الحركية. وفي سنة 1955 توفر على تعديل المقياس السابق ليناسب الظروف الأميركية خاصة، وأطلق عليه مقياس ويكسلر لذكاء الراشدين WAISفي السن بين 16 و 64، ويتكون من 11 اختباراً كالسابق، وكذلك صمم سنة 1949 مقياس ويكسلر لذكاء الأطفال WISC لاختبار ذكائهم في السن بين 5 و 16 سنة، ويتكون من 11 اختباراً، ستة منها لفظية للمعلومات والاستيعاب والحساب والمتشابهات والمفردات وإعادة الأرقام، وخمسة أدائية لاستكمال الصور وترتيبها والرسم بالمكعبات والتجميع وحل الشفرة

أن عوامل مثل الدافعية، والحالة العاطفية، وسمات الشخصية، والظروف البيئية، تؤثر جميعها على كيفية ظهور الذكاء وكيفية أداء الأفراد في المهام المعرفية

لم يكن ويكسلر يسأل فقط "ما مدى ذكاء هذا الشخص نظريًا؟" ، بل كان يسأل "كيف يفكر هذا الشخص، وكيف يتكيف، وكيف يعمل في العالم الحقيقي؟"

تقاعد ديفيد ويكسلر من مستشفى بيلفيو عام 1967 بعد 35 عامًا من العمل الرائد، وتوفي عام 1981 ولكن تأثيره لم يتلاشى الى الان

والاستجابات المتبادلة والمتاهات. وتقيس هذه الاختبارات الاستعدادات اللفظية والعددية والاجتماعية والقدرة على التكيف الاجتماعي. وفي عام 1967 وضع مقياس ويكسلر لذكاء الأطفال في السن قبل المدرسة وللمرحلة الابتدائية لاختبار ذكاء الأطفال في السن بين الرابعة والسادسة والنصف، ويشتمل أيضاً على 11 اختباراً، ستة منها لفظية للمعلومات والمفردات والحساب والمتشابهات والاستيعاب والإجابات المتبادلة والعبارات، وخمسة أدائية هي اختبارات بيت الحيوان واستكمال الصور والمتاهات والرسم الهندسي والرسم بالمكعبات. وتقيس هذه الاختبارات القدرات اللفظية والعددية والاجتماعية والبصرية الحركية .

كان منهج ويكسلر أكثر دقة وشمولية وفائدة من أي منهج سبقه. فمن خلال تجاوزه مجرد درجة الذكاء الواحدة واعترافه بأنواع الذكاء المختلفة، جعل التقييم المعرفي ذا قيمة حقيقية لفهم نقاط القوة والضعف لدى الأفراد

لم يقتصر تأثير ويكسلر على تغيير اختبارات الذكاء فحسب، بل غيّر أيضاً طريقة تفكيرنا في الذكاء والتقييم المعرفي والإمكانات البشرية .

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا
- د. متاس الصوافه – السويد
- د. جوليا سليمان – لبنان
- د. أروى عباس – سوريا
- ا.د. صبا علي –سوريا
- د. أمل مصطفى محمود – مصر

حـــــرف "اليـــــاء"

Karl Jespers كارل ياسبرز

كارل ياسبرز Karl Jespers (1883-1969) من أقطاب علم النفس الوجودي، ويعد من أغزر الوجوديين إنتاجاً، ويمتاز عنهم بالوضوح، وليس فيه غموض وجفاف هايدجر Martin Heidegger (1889-1976)، ولا عبثية سارتر Jean-Paul Charles Aymard Sartre (1905-1980)، ولا تحليلية مارسيل Gabriel Marcel (1889-1973) المتهافتة

الجـــــــــزء (1)

كارل ياسبرز (1883- 1969) Karl Jespers من أقطاب علم النفس الوجودي، ويعد من أغزر الوجوديين إنتاجاً، ويمتاز عنهم بالوضوح، وليس فيه غموض وجفاف هايدجر (1889-1976) Martin Heidegger ، ولا عبثية سارتر (1905-1980) Jean-Paul Charles Aymard Sartre، ولا تحليلية مارسيل (1889-1973) Gabriel Marcel المتهافتة. وياسبرز تعلم بهايدلبرغ، وحصل منها على الدكتوراه في الطب العقلي (1909) ثم دكتوراه التأهيل لتدريس علم النفس (1913). ولم يكن يهتم كالوجوديين بالسياسة، وأخلص للبحث في مجال العلوم النفسية والأمراض العقلية، وتتميز مؤلفاته بالفخامة، وبعضها يربو على الألف صفحة، وأهمها في مجالنا "علم النفس المرضي العام Allgemeine Psychopathologie" (1913)، و"سيكولوجية النظرية في العالم Psychologie der Weltanchaungen" (1919). وعيّن أستاذاً لعلم النفس ثم للفلسفة، وأقصته الحكومة النازية بدعوى أن زوجته يهودية، وكتب في ذلك تحليلاً نفسياً بعنوان "مسألة إحساس الألمان بالذنب" (1946).

وُلد كارل تيودور ياسبرز في 23 فبراير 1883 في مدينة أولدنبورغ بشمال ألمانيا، بالقرب من بحر الشمال، حيث عاش أسلافه لأجيال. كان والده مصرفيًا وعضوًا في البرلمان (Landtagesabgeordneten)، كارل

فيلهلم ياسبرز (1850–1940)، ووالدته هنرييت تانتزن (1862–1941)، التي تنتمي أيضًا إلى عائلة لها دور في البرلمان المحلي. تأثرت بيئة عائلة ياسبرز بشدة بالثقافة السياسية لليبرالية في شمال ألمانيا، وكثيرًا ما أشار إلى مناخ الفكر الديمقراطي الليبرالي المبكر باعتباره جانبًا أساسيًا في تكوينه. علاوة على ذلك، ورغم أنه ادعى عدم تأثره بأي عقيدة دينية محددة، فقد تشكل فكره أيضًا بروح البروتستانتية في شمال ألمانيا، ويمكن وضع رؤيته الفلسفية، من نواحٍ عديدة، ضمن التقاليد الدينية لكانت وكيركغارد.

كان ياسبرز تلميذًا في مدرسة ألتس جيمنازيوم في أولدنبورغ. منذ طفولته المبكرة، عانى ياسبرز من توسع القصبات المزمن الذي أضعف قدراته البدنية، وأثر إدراكه لإعاقته الجسدية على روتينه طوال حياته البالغة، وشكّل حساسيته تجاه القضايا النفسية، بما في ذلك المعاناة الإنسانية. ويعزو ياسبرز قدرته على الالتزام بروتين يومي طبيعي وتكريس حياته لعمله الإبداعي إلى انضباطه الصارم فيما يتعلق بصحته.

في عام 1910، تزوج من جيرترود ماير (1879–1974)، التي تنتمي إلى عائلة تجارية يهودية ألمانية متدينة. في ذلك الوقت، كانت تعمل مساعدةً في مصحة الطبيب النفسي وأخصائي الأعصاب أوسكار كونشتامز (1871–1917)، وكانت شقيقة صديقيه المقربين غوستاف ماير والفيلسوف إرنست ماير. وبفضل زواجها من الفيلسوف المعروف آنذاك كارل ياسبرز، تمكنت جيرترود ماير من البقاء في ألمانيا خلال الحقبة النازية.

تلقى ياسبرز تعليمًا متنوعًا وواسع النطاق. التحق في البداية بكلية الحقوق في جامعة هايدلبرغ لثلاثة فصول دراسية (1901–1902). ورغم اهتمامه الشديد بالفلسفة، الذي استكشفه من خلال كتاب سبينوزا " الأخلاق" (1677) و كتاب كانت " نقد العقل الخالص" (1781)، فقد اختار الطب انطلاقًا من إيمانه بأنه يُلقي الضوء على الحياة نفسها وتحديات الوجود

تعلم بهايدلبرغ، وحصل منها على الدكتوراه في الطب العقلي (1909) ثم دكتوراه التأهيل لتدريس علم النفس (1913). ولم يكن يهتم كالوجوديين بالسياسة، وأخلص للبحث في مجال العلوم النفسية والأمراض العقلية

تتميز مؤلفاته بالفخامة، وبعضها يربو على الألف صفحة، وأهمها في مجالنا "علم النفس المرضي العام Allgemeine Psychopathologie" (1913) و"سيكولوجية النظرية في العالم Psychologie der Weltanchaunge" (1919). وعيّن أستاذاً لعلم النفس ثم للفلسفة

الإنساني. بدأ ياسبرز دراسته للطب في برلين (1903/1902)، ثم انتقل إلى غوتينغن (1903–1906)، وأنهى دراسته في هايدلبرغ (1906–1908). قدّم أطروحته بعنوان " الخوف والشقاء" عام 1908، وحصل على شهادة الطب عام 1909. عمل مساعدًا باحثًا في عيادة الطب النفسي بجامعة هايدلبرغ بين عامي 1909 و1915، حيث تعاون مع نخبة من أشهر أطباء النفس في ألمانيا، من بينهم نيسل، وويلمانيد، وغروهل، وماير–غروس. ونظرًا لإصابته بتوسع القصبات، لم يكن قادرًا على أداء مهامه الشاقة في العيادة. لذا، سمح له مدير عيادة الطب النفسي بجامعة هايدلبرغ، فرانز نيسل، بقضاء معظم وقته في المكتبة بدلًا من العيادة والمختبر. وبالفعل، كانت مهاراته الاستثنائية في التفكير النقدي والملاحظة المجردة للمواقف الإنسانية واضحةً منذ ذلك الحين. وابتداءً من عام 1913، انكبّ ياسبرز على دراسة الفلسفة بشكل منهجي. في عام 1913، نشر كتابه "علم الأمراض النفسية العام(Allgemeine Psychopathologie) " ، الذي وضح فيه وجهات النظر والأساليب التي تنتمي إلى عالم العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي اعتبرها متقاربة مع علم الأمراض النفسية .

وفي العام نفسه، حصل على درجة الدكتوراه الثانية (التأهيل) في علم النفس من كلية الفلسفة بجامعة هايدلبرغ، تحت إشراف فيلهلم فيندلباند. عمل محاضرًا، ثم أستاذًا مشاركًا في علم النفس (Privatdozent) من عام 1913 إلى عام 1921. وخلال هذه الفترة، في عام 1919، نشر كتابه " علم نفس الرؤى العالمية Psychologie der (" Weltanschauungen).يُعتبر هذا العمل عملاً انتقالياً، حيث تأثرت منهجيته النفسية بشكل واضح بالتأثيرات والأهداف الفلسفية، وبدأت تتطور إلى مذهب فلسفي متسق، مكتسبةً بعض القضايا الرئيسية التي سيتناولها لاحقاً في فلسفته عن الوجود .

وُلد كارل تيودور ياسبرز في 23 فبراير 1883 في مدينة أولدنبورغ بشمال ألمانيا، بالقرب من بحر الشمال، حيث عاش أسلافه لأجيال

تأثرت بيئة عائلة ياسبرز بشدة بالثقافة السياسية الليبرالية في شمال ألمانيا، وكثيرًا ما أشار إلى مناخ الفكر الديمقراطي الليبرالي المبكر باعتباره جانبًا أساسيًا في تكوينه

رغم أنه ادعى عدم تأثره بأي عقيدة دينية محددة، فقد تشكل فكره أيضًا بروح البروتستانتية في شمال ألمانيا، ويمكن وضع رؤيته الفلسفية، من نواح عديدة، ضمن التقاليد الدينية لكانت وكيركغارد.

ثم، في عام 1922، تولى منصب أستاذ الفلسفة في جامعة هايدلبرغ (خلفاً لهينريش ماير)، وهو المنصب الذي أُقيل منه عام 1937 على يد النازيين. وإلى حد كبير، كان أول منشورين رئيسيين له في علم النفس، يحتويان على العديد من عناصر فلسفته اللاحقة، وإن كانت في صورتها الأولية. بعد تعيينه أستاذاً، لم يكتب شيئاً لمدة عشر سنوات، باستثناء عملين صغيرين: دراسة في علم الأمراض بعنوان " ستيرنبرغ وفان جوخ" عام 1922، وكتاب " فكرة الجامعة" عام 1923.

أثناء عمله كطبيب نفسي في هايدلبرغ، التقى ياسبرز بماكس فيبر، وكذلك بالمفكرين الآخرين الذين كانوا يحيطون به، بمن فيهم إرنست بلوخ، وإميل لاسك، وجورج زيمل، ولوكاش. وقد تأثر تكوينه الفكري بهذا الوسط الفكري من جوانب عديدة. فعلى الصعيد السياسي، دمج ياسبرز جوانب من حماس فيبر لليبرالية البطولية، والقومية المسؤولة، والديمقراطية النخبوية في فكره ومواقفه. أما على الصعيد النظري، فقد تأثرت أفكاره بالردود النقدية المتزايدة على الفلسفة الكانتية الجديدة، التي هيمنت على النقاشات المنهجية حول فيبر ولوكاش، والتي بدورها أثرت على المشهد الفكري خلال الحرب العالمية الأولى وطوال فترة جمهورية فايمار. شهدت هذه الفترة تراجع الكانتية الجديدة عن مكانتها كعقيدة فلسفية سائدة في الأوساط الأكاديمية الألمانية، وتميزت بانتشار نماذج فلسفية رفضت الشكلية الكانتية وسعت إلى دمج عناصر تجريبية وتاريخية، بل واجتماعية، في الخطاب الفلسفي. وأصبحت محاولة إنقاذ الفلسفة الكانتية من الشكلية القانونية لمدرسة جنوب غرب ألمانيا للفلسفة الكانتية الجديدة، التي تمحورت حول هاينريش ريكرت وويلهلم فيندلباند، إحدى السمات الرئيسية لأعمال ياسبرز، وكان تطوره الفلسفي برمته مدفوعًا، من نواحٍ عديدة، بالرغبة في إعادة بناء الفكر الكانتي، لا كمذهب شكلي للتشريع الذاتي، بل كتفسير للتجربة الميتافيزيقية، والحرية الحاسمة

يعزو ياسبرز قدرته على الالتزام بروتين يومي طبيعي وتكريس حياته لعمله الإبداعي إلى انضباطه الصارم فيما يتعلق بصحته

في عام 1910، تزوج من جيرترود ماير (1879-1974)، التي تنتمي إلى عائلة تجارية يهودية ألمانية متدينة. في ذلك الوقت، كانت تعمل مساعدةً في عيادة الطبيب النفسي وأخصائي الأعصاب أوسكار كرونشتامز (1871-1917)

التلقائية، والحياة الداخلية الأصيلة. كما تأثرت مسيرته المبكرة كأستاذ للفلسفة تأثرًا عميقًا (وسلبيًا) بالعداء الكانتي الجديد لأعماله. في الواقع، قام كل من الفلاسفة الكانتيين الجدد والفلاسفة الظاهريين بإخضاع عمله لنقد لاذع في المراحل المبكرة من مساره الفلسفي، واتهمه أعضاء كلا المعسكرين، وخاصة ريكرت وإدموند هوسرل، باستيراد أسئلة أنثروبولوجية وتجريبية إلى الفلسفة، وبالتالي تلويث التحليل الفلسفي بمضامين تنتمي بشكل صحيح إلى تخصصات أخرى.

إذا كان فيبر أول مؤثر شخصي حاسم، وكان كانت أول مؤثر فلسفي حاسم على ياسبرز، فقد التقى في أوائل عشرينيات القرن العشرين بشخصية أخرى لعبت دورًا حاسمًا في تكوينه الفكري، ألا وهي مارتن هايدغر. لا يمكن الجزم بأن هايدغر هو من حدد بشكل مباشر البنية المفاهيمية أو الشروط المسبقة الكامنة وراء أعمال ياسبرز، ولا أنه استوعب جوانب من فكر ياسبرز في فلسفته. فعلى امتداد مساريهما النظريين، كانت الاختلافات بين هايدغر وياسبرز، في كثير من النواحي، أكبر من أوجه التشابه. في الواقع، بلغت الخلافات النظرية بينهما ذروتها في نهاية المطاف بمشادة شخصية وسياسية مريرة، نجمت عن إعلان هايدغر تعاطفه مع الاشتراكيين الوطنيين عام 1933. شعر ياسبرز بتهديد شخصي من قرار هايدغر المشين بدعم النازيين، كونه متزوجًا من امرأة يهودية، ولأنه كان قد ارتبط سابقًا بسياسيين وفلاسفة ليبراليين بارزين، وعلى رأسهم فيبر، الذين تعرضوا الآن لهجوم من هايدغر ومثقفين آخرين مرتبطين بالحزب النازي .

في عام 1933، انجرف ياسبرز نفسه لفترة وجيزة إلى الإدلاء بتصريحات متفائلة بشكل متهور حول نظام هتلر. في الواقع، لم تكن هذه التصريحات غريبة تمامًا عن منشوراته الأخرى في أوائل الثلاثينيات. في السنوات الأخيرة من جمهورية فايمار، نشر عملاً سياسياً مثيراً للجدل بعنوان " الحالة الروحية

تلقى ياسبرز تعليمًا متنوعًا وواسع النطاق. التحق في البداية بكلية الحقوق في جامعة هايدلبرغ لثلاثة فصول دراسية (1901-1902). ورغم اهتمامه الشديد بالفلسفة، الذي استكشفه من خلال كتاب سبينوزا " الأخلاق" (1677) و كتاب كانت " نقد العقل الخالص" (1781)، فقد اختار الطب انطلاقًا من إيمانه بأنه يُلقي الضوء على الحياة نفسها وتحديات الوجود الإنساني

عمل مساعدًا باحثًا في عيادة الطب النفسي بجامعة هايدلبرغ بين عامي 1909 و1915، حيث تعاون مع نخبة من أشهر أطباء النفس في ألمانيا

للعصر " (1931)، والذي تضمن – مما سبب له إحراجاً شديداً لاحقاً– نقداً دقيقاً للديمقراطية البرلمانية. وخلال هذه الفترة، أكد أيضاً على أهمية أفكار فيبر حول القيادة القوية في الحفاظ على النظام السياسي في ألمانيا. إلا أن تدهور علاقته مع هايدغر، على ما يبدو، قد رسّخ لديه موقفاً معارضاً بشدة ومستداماً للاشتراكية القومية، وعلى عكس هايدغر، تجنبت أعماله في ثلاثينيات القرن العشرين الخوض في المواضيع السياسية، وركزت في معظمها على شرح الجوانب الباطنية أو الدينية لفلسفته .

في عام 1932، نشر ثلاثيته "الفلسفة" ، المؤلفة من ثلاثة مجلدات منفصلة، يستند كل منها إلى موضوعه الخاص في التجاوز" :توجيه العالم"، و"إضاءة الوجود"، و" الميتافيزيقا ". يُعتبر هذا الكتاب عمومًا عمله الأبرز ، وقد شهد لاحقًا بأنه كان أقرب الأعمال إلى قلبه. إن اختياره عدم منح الكتاب العنوان المتوقع "الفلسفة الوجودية"، على الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلح" فلسفة الوجود"، يعكس استياءه من أنه يُضيّق نطاق مثاله الأعلى في الفلسفة الخالدة . لاحقًا في Vernunft und Widervernunft in unserer Zeit)العقل واللاعقل في عصرنا)، ومنذ عام 1950 سيعبر عن تفضيله لعبارة "فلسفة العقل."

على الرغم من العلاقات المتوترة التي جمعت بينهما أحيانًا، يُربط هايدغر وياسبرز عادةً ببعضهما البعض باعتبارهما الأبوين المؤسسين للفلسفة الوجودية في ألمانيا. إلا أن هذا التفسير لوضعهما الفلسفي وعلاقتهما محل شك. فقد استاء هايدغر من وصفه بالوجودي، واستاء ياسبرز، على الأقل بعد عام 1933، من ربطه بهايدغر. حتى في بداية صداقتهما، كان هايدغر شديد الانتقاد لفلسفة ياسبرز؛ فقد كتب تعليقًا على كتاب " سيكولوجية النظرات العالمية" ، زعم فيه أن منهج ياسبرز المنهجي ظل أسيرًا لمغالطات الميتافيزيقا الذاتية والوجودية الديكارتية، وأنه أدخل بشكل غير مشروع مفاهيم

انكبّ ياسبرز على دراسة الفلسفة بشكل منهجي. في عام 1913، نشر كتابه "علم الأمراض النفسية العام (Allgemeine Psychopathologie)"، الذي وضع فيه وجهات النظر والأساليب التي تنتمي إلى عالم العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي اعتبرها متقاربة مع علم الأمراض النفسية .

نشر كتابه " علم نفس الرؤى العالمية (Psychologie der Weltanschauungen). يُعتبر هذا العمل عملاً انتقالياً، حيث تأثرت منهجيته النفسية بشكل واضح بالتأثيرات والأهداف الفلسفية، وبدأت تتطور إلى مذهب فلسفي متسق، مكتسبةً بعض القضايا الرئيسية التي سيتناولها لاحقاً في فلسفته عن الوجود

في عام 1922، تولى منصب أستاذ الفلسفة في جامعة هايدلبرغ (خلفاً لهينريش ماير)، وهو المنصب الذي أُقيل منه عام 1937 على يد النازيين

على الصعيد السياسي، دمج ياسبرز جوانب من حماس فيبر لليبرالية البطولية، والقومية المسؤولة، والديمقراطية النخبوية في فكره ومواقفه.

على الصعيد النظري، فقد تأثرت أفكاره بالردود النقدية المتزايدة على الفلسفة الكانتية الجديدة، التي هيمنت على النقاشات المنهجية حول فيبر ولوكاش، والتي بدورها أثرت على المشهد الفكري خلال الحرب العالمية الأولى وطوال فترة جمهورية فايمار

علم الاجتماع الفيبري في التحليل الفلسفي. وبالمثل، احتفظ ياسبرز طوال حياته بدفتر ملاحظات نقدية حول هايدغر، وكان يصف بشكل روتيني أنطولوجيا هايدغر الأساسية بنبرة استنكار أخلاقي إنساني. ومع ذلك، لا يزال هناك قدر من الصحة في الربط الشائع بين هايدغر وياسبرز، وعلى الرغم من أنه يتطلب توضيحًا، إلا أن هذا الربط ليس مضللًا من جميع النواحي. كانت الوجودية، ولا تزال، حركة نظرية شديدة الانتشار، ولا يمكن توقع أن يحمل فيلسوفان مرتبطان بهذه الحركة آراءً متشابهة في جميع الجوانب. ومع ذلك، كان للوجودية سمات موحدة معينة، وكان العديد منها مشتركًا بين ياسبرز وهايدغر. لذلك، في المراحل المبكرة من تطورها، يمكن وصف الوجودية بأنها موقف نظري: أ) نقل الخطاب الفلسفي بعيدًا عن الشكلية الكانتية، وأكد على الاعتقاد بأن محتوى الفكر يجب أن يكمن في تجارب وقرارات محددة؛ ب) اتبع كيركغارد في تعريف الفلسفة بأنها نشاط شغوف ومنخرط بعمق، تتداخل فيه سلامة الإنسان وأصالته بشكل حاسم؛ ج) سعى إلى تجاوز التناقضات (العقل/التجربة؛ النظرية/التطبيق؛ التجاوز/الحلول؛ العقل المجرد/العقل العملي) التي تحدد التقاليد الميتافيزيقية الكلاسيكية، وذلك من خلال دمج جميع جوانب الحياة البشرية (المعرفية والعملية والحسية) في رؤية شاملة للوجود العقلاني والتجريبي. إذا قُبل هذا التعريف للوجودية، فلا يمكن رفض فكرة وجود صلة قرابة بين ياسبرز وهايدغر بشكل كامل، إذ أسهم كلاهما في إعادة تنظيم التساؤل الفلسفي في عشرينيات القرن العشرين بطريقة تتوافق مع هذا التعريف. لكن في نهاية المطاف، تدهورت العلاقات بين هايدغر وياسبرز إلى طريق مسدود، وبعد الحرب العالمية الثانية رفض ياسبرز شرح أو تبرئة تصرفات هايدغر السياسية خلال السنوات النازية، بل إنه أوصى لجنة اجتثاث النازية بتعليق هايدغر عن مسؤولياته التدريسية الجامعية.

خلال الحقبة النازية، بدءًا من عام 1933، مُنع ياسبرز من أي تعاون في إدارة الجامعة حتى فُصل من منصبه كأستاذ عام 1937، وخضع لحظر النشر . خلال الحرب، لم يكن هو وزوجته في خطر جسدي، لكنه شعر بأنه مُستهدف حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. سمع ياسبرز ذات مرة، بشكل غير مباشر، عن خطة لترحيله هو وزوجته إلى معسكر اعتقال في منتصف أبريل 1945. لحسن حظه، وصلت القوات الأمريكية إلى هايدلبرغ قبل أسبوعين، في الأول من أبريل 1945. بعد عام 1945، انقلبت حياته رأسًا على عقب، وبرز اسمه في القائمة البيضاء لقوات الاحتلال الأمريكية: أي قائمة السياسيين والمثقفين الذين لم يُلطخوا بأي صلة بالحزب النازي، والذين سُمح لهم بلعب دور عام في عملية إعادة بناء ألمانيا سياسيًا. منذ ذلك الحين، عرّف ياسبرز نفسه في المقام الأول كفيلسوف ومُعلّم شعبي. في دوره الأول، قدّم تعليقاتٍ مُستفيضة ومُفيدة حول مسائل التوجه السياسي والأخلاق المدنية، أولًا خلال الفترة الانتقالية بين عامي 1945 و1949، ثم بعد عام 1949، في السنوات الأولى لجمهورية ألمانيا الاتحادية. وفي دوره الثاني، كأحد الأساتذة المسؤولين عن إعادة افتتاح جامعة هايدلبرغ، التي عُيّن فيها رئيسًا لها من قِبل جيش الاحتلال الأمريكي، كتب بإسهاب عن ضرورة إصلاح الجامعات، وشدّد على دور التعليم الإنساني الليبرالي كوسيلة لنشر الأفكار الديمقراطية في جميع أنحاء ألمانيا، واتخذ موقفًا حازمًا ضد إعادة تأهيل الأساتذة ذوي التاريخ النازي. في عام 1946، نُشر كتاب "فكرة الجامعة" بصيغة مختلفة جوهريًا عن الكتاب الذي يحمل نفس العنوان والصادر عام 1923. يُقدّم العمل الأخير الجامعة كمجتمع حر من العلماء والطلاب المنخرطين في مهمة البحث عن الحقيقة. وبناءً على ذلك، تستطيع الجامعة والعلماء الذين ينتمون إليها، بل ويجب عليهم، أن يلعبوا دورًا حاسمًا في إعادة بناء أوروبا استنادًا إلى أنبل أفكار عصر التنوير. في ذلك الوقت،

إذا كان فيبر أول مؤثر شخصي حاسم، وكان كانت أول مؤثر فلسفي حاسم على ياسبرز، فقد التقى في أوائل عشرينيات القرن العشرين بشخصية أخرى لعبت دورًا حاسمًا في تكوينه الفكري، ألا وهي مارتن هايدغر

في السنوات الأخيرة من جمهورية فايمار، نشر عملاً سياسياً مثيراً للجدل بعنوان " الحالة الروحية للعصر " (1931)، والذي تضمن – مما سبب له إحراجاً شديداً لاحقاً– نقداً دقيقاً للديمقراطية البرلمانية

ولا يزال، يُعدّ ياسبرز من القلائل الذين يُمكنهم بحقّ التحدث عن القيم وضرورة اتخاذ موقف كهذا في مواجهة التهديدات التي تُحدق بالحرية والإنسانية. ويتجلى تقدير إنسانية ياسبرز النبيلة في السنوات الأولى التي أعقبت الحرب في التكريمات العديدة التي مُنحت له، بما في ذلك جائزة غوته عام 1947، وجائزة السلام من نقابة تجار الكتب الألمانية عام 1958، وجائزة إيراسموس عام 1959، وجائزة مؤسسة أولدنبورغ للمواطنين الفخريين.

من بين منشوراته التي صدرت بعد عام 1945، تُعدّ إسهامات ياسبرز السياسية ربما الأهم. فقد كان لإسهامه في تعزيز ثقافة مدنية ديمقراطية في ألمانيا الغربية آنذاك أهمية بالغة، وساهمت كتاباته وبرامجه الإذاعية، جزئيًا، في تشكيل التوافق الديمقراطي الذي كان يتطور تدريجيًا في جمهورية ألمانيا الاتحادية الناشئة. في كتابه " مسألة الذنب الألماني Die Schuldfrage "، 1946الذي نُشر إبان محاكمات نورمبرغ، جادل بأنه على الرغم من عدم إمكانية محاكمة جميع الألمان بشكل قانوني بتهمة ارتكاب جرائم حرب، إلا أنه ينبغي على جميع الألمان الاعتراف بتواطئهم الضمني في المحرقة، وأنّ التأمل الذاتي النقدي لجميع الألمان هو السبيل الوحيد لتحقيق التجديد الثقافي والسياسي. في خمسينيات القرن العشرين، أيّد ياسبرز السياسات الرئيسية للحكومات الليبرالية المحافظة بقيادة كونراد أديناور (1949–1963)، ودعم بشكل خاص تشكيل التحالف الغربي، الذي اعتبره وسيلة لحماية الموارد الثقافية لأوروبا الغربية من استعمار الاتحاد السوفيتي. ومع ذلك، وخلال هذه الفترة، تغيّر الطابع المحافظ الحذر لفكر ياسبرز السياسي تدريجيًا بفعل حواراته الفكرية المتكررة، والتي كانت أحيانًا مكثفة، مع حنة أرندت، التي يُمكن اعتبارها المؤثر الرابع الكبير على أعماله. كان ياسبرز مُعلّمًا ومُشرفًا على أرندت قبل هجرتها من ألمانيا في ثلاثينيات القرن العشرين، لكن الفترة التي تلت عام 1945 شهدت نوعًا من تبادل الأدوار في هذه العلاقة، وهو ما

في عام 1932، نشر ثلاثيته "الفلسفة" ، المؤلفة من ثلاثة مجلدات منفصلة، يستند كل منها إلى موضوعه الخاص في التجاوز: "توجيه العالم"، و"إضاءة الوجود"، و" الميتافيزيقا

كان هايدغر شديد الانتقاد لفلسفة ياسبرز؛ فقد كتب تعليقًا على كتاب " سيكولوجية النظرات العالمية" ، زعم فيه أن منهج ياسبرز المنهجي ظل أسيرًا لمغالطات الميتافيزيقا الذاتية والوجودية الديكارتية، وأنه أدخل بشكل غير مشروع مفاهيم علم الاجتماع الفيبري في التحليل الفلسفي

يبدو أن ياسبرز قد تقبّله برحابة صدر. تأثرًا بنزعة آرندت الجمهورية التنافسية، انقلب تدريجيًا على روح الرضا النسبي السائدة في الإصلاح السياسي والفكري في بدايات الجمهورية الاتحادية، وكرّس نفسه في نهاية المطاف لوضع نماذج للمواطنة قائمة على الحقوق الدستورية والهويات المكفولة قانونًا. وبهذا المعنى، يمكن اعتباره رائدًا مهمًا ليورغن هابرماس، وتتضمن أعماله تصورًا مبكرًا للمذهب الذي عُرف لاحقًا بالوطنية الدستورية.كانت آراؤه حول إعادة توحيد ألمانيا مؤثرة للغاية؛ فقد عارض التوجهات السائدة آنذاك، زاعمًا أن المطالبة بإعادة التوحيد تعني أن السياسة الألمانية لا تزال متأثرة بآثار الأفكار والطموحات الجيوسياسية القديمة، وأنها تحول دون إعادة توجيه الحياة السياسية الألمانية بشكل جذري. وفي نهاية المطاف، وفي تعبير رمزي عن اشمئزازه من استمرار المواقف السياسية الضارة في ألمانيا، تخلى عن جنسيته الألمانية، وبعد أن انتقل إلى جامعة بازل عام 1948، أصبح مواطنًا سويسريًا. وفي أعماله الأخيرة، مال إلى اليسار السياسي، بل ذهب إلى حد القول بأن ثورة قانونية هي وحدها الكفيلة بضمان تنظيم الدولة الألمانية على أساس دستور حاسم أخلاقيًا. توفي إثر سكتة دماغية في بازل، سويسرا، في 26 فبراير 1969 عن عمر ناهز 86 عامًا. أما زوجته، جيرترود ياسبرز، التي عملت ككاتبة له طوال حياته كباحث، فقد توفيت في بازل في 25 مايو 1974 عن عمر ناهز 95 عامًا.

في نهاية المطاف، تدهورت العلاقات بين هايدغر وياسبرز إلى طريق مسدود، وبعد الحرب العالمية الثانية رفض ياسبرز شرح أو تبرئة تصرفات هايدغر السياسية خلال السنوات النازية، بل إنه أوصى لجنة اجتثاث النازية بتعليق هايدغر عن مسؤولياته التدريسية الجامعية.

خلال الحقبة النازية، بدءًا من عام 1933، مُنع ياسبرز من أي تعاون في إدارة الجامعة حتى فُصل من منصبه كأستاذ عام 1937، ووضع لحظر النشر

كتابات الطب النفسي

أقل شهرة، على الأقل في أوساط الطب النفسي الناطق بالإنكليزية، هو إسهام ياسبرز الدائم في مجال الطب النفسي الذي سبق أعماله الفلسفية، والذي يتضح عند النظر إليه اليوم أنه لم يكن منفصلاً عنها تماماً، على الأقل من حيث روحه التوجيهية المشتركة. خلال مسيرته المهنية المتميزة كطبيب نفسي، حقق ياسبرز إسهاماً بارزاً في الفكر النفسي، الذي عُرف

لاحقاً باسم "مدرسة هايدلبرغ" بقيادة كورت شنايدر. في شبابه، ألّف عدداً من المقالات العلمية حول الحنين إلى الوطن والجريمة، واختبارات الذكاء، والهلوسة – وكلها مدعومة بدراسات حالة مفصلة. كما نشر ياسبرز تقارير عن الأمراض النفسية التي عانى منها فان جوخ وستيرنبرغ. من بين هذه الأعمال، تبرز أهمية خاصة لمقالته المتميزة من عام 1910، التي قدم فيها منهجه ومبادئه الأساسية المتعلقة بـ"العمليات العقلية" و"تطور الشخصية"، ومقال آخر عن المنهج الظاهراتي في الطب النفسي من عام 1912، والذي رسخ مكانته الرائدة كأول معلق على الدراسة الظاهراتية للتجارب الذاتية على مستوى الوعي. وفي عام 1913، وهو في الثلاثين من عمره تقريبًا، بينما كان يعمل طبيبًا في مستشفى الأمراض النفسية في هايدلبرغ، نشر ياسبرز كتابه " علم الأمراض النفسية العام: دليل للطلاب والأطباء وعلماء النفس".(علم الأمراض النفسية العام: دليل للطلاب والأطباء وعلماء النفس). هدفت هذه الدراسة إلى توفير إطار عمل للمجال العلمي لعلم الأمراض النفسية، وما يرتبط به من حقائق ومناهج، ليس فقط للممارسين في هذا المجال، بل أيضًا للمفكرين المهتمين. يغطي هذا الإطار المشكلات والأساليب التي تُشكّل مجمل معارف هذا المجال، بدلاً من الاعتماد على الأدلة التجريبية أو نظام قائم على نظرية. وبدلاً من الحسم بين المناهج المختلفة السائدة في عصره، شدد على خصوصيتها التي تنطوي على مبرراتها الجوهرية، وكيف يمكن لهذه المناهج أن تُكمّل بعضها بعضًا، وأن تُصوّر معًا جوانب متعددة من علم الأمراض النفسية. ويتجلى تلميح إلى روح فلسفته الوجودية، التي لم تتبلور بعد، في تصريحه في مقدمة الكتاب، والذي ينص على أنه "في علم الأمراض النفسية، من الخطورة بمكان مجرد تعلم المادة، فمهمتنا ليست 'تعلم علم الأمراض النفسية'، بل تعلم الملاحظة، وطرح الأسئلة، والتحليل، والتفكير بمفاهيم علم الأمراض النفسية". مع ذلك، ورغم الإنجاز الباهر للكتاب

كتب ياسبرز عن ضرورة إصلاح الجامعات، وشدّد على دور التعليم الإنساني الليبرالي كوسيلة لنشر الأفكار الديمقراطية في جميع أنحاء ألمانيا، واتخذ موقفًا حازمًا ضد إعادة تأهيل الأساتذة ذوي التاريخ النازي

يُعدّ ياسبرز من القلائل الذين يُمكنهم بحقّ التحدث عن القيم وضرورة اتخاذ موقف كهذا في مواجهة التهديدات التي تُحدق بالحرية والإنسانية

المذكور، الذي حظي بتقدير كبير من كبار الأطباء النفسيين في العالم الناطق بالألمانية باعتباره إنجازًا عظيمًا في هذا المجال، إلا أنه مثّل ذروة إنتاجية ياسبرز في الطب النفسي. فبعد عامين فقط، ابتعد ياسبرز نهائيًا عن ممارسة الطب النفسي والطب عمومًا، متجهًا أولًا نحو علم النفس ثم الفلسفة. ومن المثير للاهتمام أن ياسبرز رأى من المناسب تنقيح النص وتوسيعه في بعض طبعاته المتعددة. الطبعة الأولى هي الأقصر، بينما شهدت الطبعتان الثانية والثالثة تغييرات طفيفة. أما الطبعة الرابعة، التي صدرت عام 1942، فهي الأكثر تنقيحًا وتوسيعًا. وإلى حد كبير، فإن دمج العديد من الأفكار من فلسفته الوجودية الناضجة آنذاك، والتي بدأها في ثلاثينيات القرن العشرين وما بعدها، ما ضاعف نطاق النص، يُعد في الواقع بمثابة نسخة جديدة من الكتاب. الآن، تم حذف العنوان الفرعي الذي ظهر في النسخ السابقة، ويشير ياسبرز في المقدمة إلى هدفها السامي المتمثل في تلبية الطلب على المعرفة، ليس فقط للأطباء، بل لكل من يجعل من الإنسانية موضوعًا لاهتماماته. في هذه النسخة الموسعة من الكتاب، يظهر أثر علم النفس الوصفي لهوسرل جليًا في محاولة تناول التجارب العقلية الداخلية للمرضى النفسيين (وخاصة مرضى الفصام) واعتبارها مؤشرًا على الظواهر العامة للوعي البشري، أي: الأوهام، وأنماط وعي الذات، وأنماط الانفعالات. في الوقت نفسه، كان أثر فيلهلم دلتاي (1833–1911) واضحًا في الأهمية المركزية التي أُعطيت للتمييز بين "فهم علم النفس(Verstehende Psychologie) " ، الذي يتعلق بالروابط ذات المعنى والمفهومة المتأصلة في شخصية الفرد وسيرته الذاتية، و"تفسير علم النفس (Erklärende Psychologie) "، والتي تركز على العلاقات السببية المتجذرة أساسًا في علم الأحياء .

كان إيمان ياسبرز الراسخ بأن المبادئ المنهجية لم تتأثر إلى حد كبير بالمواد الإضافية، دافعًا له لإضافة أقسام كاملة إلى النسخ الجديدة من

يتجلى تقدير إنسانية ياسبرز النبيلة في السنوات الأولى التي أعقبت الحرب في التكريمات العديدة التي مُنحت له، بما في ذلك جائزة غوته عام 1947، وجائزة السلام من نقابة تجار الكتب الألمانية عام 1958، وجائزة إيراسموس عام 1959، وجائزة مؤسسة أولدنبورغ للمواطنين الفخريين

كرّس نفسه في نهاية المطاف لوضع نماذج للمواطنة قائمة على الحقوق الدستورية والهويات المكفولة قانونًا

في تعبير رمزي عن اشمئزازه من استمرار المواقف السياسية الضارة في ألمانيا، تخلى عن جنسيته الألمانية، وبعد أن انتقل إلى جامعة بازل عام 1948، أصبح مواطنًا سويسريًا

الكتاب، وهي أقسام تكشف بوضوح عن رؤيته الفلسفية للاعتبارات ذات الصلة بعلاج الأمراض العقلية. ومع ذلك، عارض ياسبرز محاولات تناول الأفكار الوجودية لفهم الأمراض العقلية. فبالنسبة له، لا يمكن أن يمرض الإنسان ككل، أو أن يُصيب المرض كيانه بأكمله، بل هناك دائمًا أجزاء منه تبقى سليمة غير مصابة بالمرض.

تجدر الإشارة إلى أن ظهور الطبعة الرابعة من كتاب "علم الأمراض النفسية العام " قد أُتيح على الرغم من حظر النشر الذي فُرض على ياسبرز منذ عام 1938 بسبب مقاومته الصريحة والحازمة للنظام النازي وولائه الدائم لزوجته اليهودية. ولعلّ استخدام العنوان نفسه من عام 1913 والطابع العلمي للكتاب، الذي غطى حقيقة تضمينه أقسامًا كبيرة تحمل بصمات فكره الفلسفي، كانا عاملين مساعدين في هذا الصدد. وعلى الرغم من توقفه عن ممارسة الطب النفسي، فقد احتفظ ياسبرز باهتمامه بعلم الأمراض النفسية وكان على دراية تامة بالتطورات في هذا المجال، لا سيما فيما يتعلق بالجوانب العصبية والجسدية للأمراض العقلية. ومع ذلك، بعد ظهور الطبعة الرابعة، طُبعت خمس طبعات أخرى بنفس تنسيق الطبعة الرابعة، وكان آخرها عام 1973. وتوجد ترجمة إنجليزية للطبعة السابعة فقط، وقد نُشرت عام 1963 من قِبل ج. هونيغ وميريام هاميلتون. لأسباب مختلفة – بدءًا من عدم مراعاة "الأسباب الحقيقية" للمرض العقلي، مرورًا بأسلوب الكتابة والحجج المحمّلة، ونقدها الشديد (وإن كان غير متسق) للتحليل النفسي، الذي كان يُعتبر في ذلك الوقت لا غنى عنه في أي دراسة لعلم الأمراض النفسية، وأسباب أخرى – كان استقبال كتاب علم الأمراض النفسية العام في البلدان الناطقة باللغة الإنكليزية بعيدًا كل البعد عن الحماس، باستثناء الأكثر احترامًا، بل كان في بعض الأحيان عدائيًا.

خلال مسيرته المهنية المتميزة كطبيب نفسي، حقق ياسبرز إسهاماً بارزاً في الفكر النفسي، الذي عُرف لاحقاً باسم "مدرسة هايدلبرغ" بقيادة كورت شنايدر

في شبابه، ألّف عدداً من المقالات العلمية حول الجنين إلى الوطن والجريمة، واختيارات الذكاء، والعلوسة – وكلها مدعومة بدراسات حالة مفصلة

بينما كان يعمل طبيبًا في مستشفى الأمراض النفسية في هايدلبرغ، نشر ياسبرز كتابه " علم الأمراض النفسية العام: دليل للطلاب والأطباء وعلماء النفس

الجـــــزء (2)

الكتابات الفلسفية..

شكّل كتاب ياسبرز الأول في النقاش الفلسفي، " سيكولوجية النظرات العالمية" ، نموذجًا لتصنيف المواقف العقلية، والذي، على غرار نموذج فيبر للأنماط المثالية، كان يهدف إلى تقديم تفسير للنزعات النفسية الأساسية. وتتمثل الحجة الأساسية في هذا العمل في أن الحقيقة التكوينية للحياة العقلية البشرية هي الانقسام بين الذات والموضوع (الذات–الموضوع–الانقسام (وتُصنَّف الأشكال النفسية البشرية – أو النظرات العالمية – كلحظات متناقضة ضمن هذا التناقض التأسيسي، وهي تُعطي تعبيرًا نموذجيًا مميزًا للعلاقة بين الميول والحريات الذاتية للإنسان والظواهر الموضوعية التي تواجهها الذات. وعلى عكس فيبر، جادل ياسبرز بأن بناء النظرات العالمية ليس عملية محايدة فحسب، تُحكم عليها بطريقة غير تقييمية. بل إن جميع النظرات العالمية تحتوي على عنصر من الاضطراب النفسي. تتضمن هذه النظرات استراتيجيات دفاعية وقمعية وتمويهية، وتتركز حول يقينيات زائفة أو أنماط عقلانية موضوعية زائفة، يلجأ إليها العقل البشري بحثًا عن الأمان وسط الاحتمالات اللامحدودة والمخيفة للوجود الإنساني. ونتيجة لذلك، تتخذ النظرات العالمية عادةً شكل أقفاص موضوعية(Gehäuse) ، حيث يحصّن الوجود نفسه ضد المضامين والتجارب التي تهدد بتجاوز أو زعزعة القيود الدفاعية التي فرضها على عملياته. ورغم أن بعض النظرات العالمية تتضمن عنصرًا غير مشروط، فإن معظمها يمثل حدود جهاز عقلي مُشكّل. وهكذا، يرى ياسبرز أن مهمة التدخل النفسي هي توجيه الوجود الإنساني إلى ما وراء التناقضات المقيدة التي يستقر حولها، وتمكينه من مواجهة الاحتمالات الأكثر أصالة، للحياة الذاتية والموضوعية، التي يمحوها من خلال ميوله ومواقفه العقلانية المعتادة.

شكّل كتاب ياسبرز الأول في النقاش الفلسفي، " سيكولوجية النظرات العالمية" ، نموذجًا لتصنيف المواقف العقلية، والذي، على غرار نموذج فيبر للأنماط المثالية، كان يهدف إلى تقديم تفسير للنزعات النفسية الأساسية

على عكس فيبر، جادل ياسبرز بأن بناء النظرات العالمية ليس عملية محايدة فحسب، تُحكم عليها بطريقة غير تقييمية. بل إن جميع النظرات العالمية تحتوي على عنصر من الاضطراب النفسي

إلى جانب هذا التصنيف النفسي، يتضمن تحليل ياسبرز لنظريات العالم نقدًا أوسع للعقلانية البشرية. فقد أشار إلى أن معظم أنماط العقلانية هي أشكال وظيفية أو أيديولوجية ملائمة، تخدم وظائف ذاتية وموضوعية متميزة، وعادةً ما تقف عائقًا أمام المعرفة الحقيقية. ومع ذلك، فقد زعم أيضًا أن العقلانية تمتلك قدرات على التكامل التواصلي والتجاوز الذاتي الظاهري، وإذا ما مُورست بصدق، فإنها قادرة على تجاوز شكلها الوظيفي الضيق، والانفتاح على مضامين جديدة تتجاوز حدودها وتناقضاتها، وتطوير هياكل مفاهيمية جديدة وأكثر تماسكًا من الناحية المعرفية. ولذلك، أشار إلى ضرورة توسيع المفاهيم الإبستمولوجية الرسمية للعقلانية لإدراك أن التجربة والأفعال الملتزمة تُشكل المعرفة الحقيقية، وأن العقل لا يمكن، على الطريقة الديكارتية، فصله بشكل أحادي عن أسسه التاريخية والحسية والتجريبية والإرادية. لذا، منذ البداية، تأثر عمل ياسبرز، رغم منهجيته المتأثرة بفيبر، بفلسفة هيغل تأثراً عميقاً، وسعى إلى دمج شروط فينومينولوجيا هيغل في مذهب نفسي منهجي. في الواقع، في هذه المرحلة المبكرة من تطوره، ارتكز فكر ياسبرز على تعديل وجودي – أو كيركغاردي – للفلسفة الهيغلية. في هذا التعديل، نقل العملية الجدلية التي فسر من خلالها هيغل تجاوز التناقضات المعرفية في نشأة الوعي الذاتي إلى تحليل للتكوين المعرفي يرى أن حل تناقضات العقل يتم عبر تجارب حيوية، أو أفعال حاسمة من المواجهة الذاتية، أو تجاوز تواصلي.

في هذا العمل المبكر، قدّم ياسبرز عدة مفاهيم اكتسبت أهمية بالغة في مجمل أعماله. والأهم من ذلك، أن هذا العمل يتضمن نظرية الحد (Grenze). يشير هذا المصطلح إلى كلٍّ من الأشكال والمواقف المعتادة للجهاز العقلي البشري، وتجارب العقل عندما يُدرك هذه المواقف كلحظات موضوعية زائفة ضمن بنيته المتناقضة، وعندما يتجاوز هذه الحدود من

تتضمن هذه النظرات استراتيجيات دفاعية وقمعية وتمويهية، وتتركز حول يقينيات زائفة أو أنماط عقلانية موضوعية زائفة، يلجأ إليها العقل البشري بحثًا عن الأمان وسط الاحتمالات اللامحدودة والمخيفة للوجود الإنساني

تتخذ النظرات العالمية عادةً شكل أقفاص موضوعية (Gehäuse)، حيث يحصّن الوجود نفسه ضد المضامين والتجارب التي تهدد بتجاوز أو زعزعة القيود الدفاعية التي فرضها على عملياته

خلال إعادة توجيه نفسه بطرق جديدة تجاه ذاته وموضوعاته. وهكذا، في فلسفته المبكرة، منح ياسبرز مكانة مركزية لـ"مواقف الحد " (Grenzsituationen). مواقف الحد هي لحظات، عادةً ما تكون مصحوبة بتجارب الخوف أو الذنب أو القلق الحاد، يواجه فيها العقل البشري قيود وضيق أشكاله القائمة، ويسمح لنفسه بالتخلي عن أمان محدوديته، وبالتالي الدخول في عالم جديد من الوعي الذاتي. وبالتزامن مع ذلك، يتضمن هذا العمل أيضًا نظرية اللا مشروط (das Unbedingte). في هذه النظرية، جادل ياسبرز بأن المواقف الحدية هي لحظات غير مشروطة في الوجود الإنساني، حيث ينجذب العقل بفعل دوافع أو ضرورات قوية، تدفعه إلى كشف نفسه لحدود وعيه والسعي وراء أنماط معرفية أسمى أو أكثر تأملاً. وهكذا، يقترح ياسبرز مفهوم "غير المشروط"، وهو مصطلح مستوحى من مذاهب كانت في التراجع التركيبي، كدافع حيوي في العقل، حيث يواجه العقل شكله كشكل مشروط أو محدود، ويرغب في تجاوز حدود هذا الشكل. وفي هذا السياق، قدمت أعمال ياسبرز النفسية المبكرة، وإن كانت غير مكتملة، مفهوم التواصل الوجودي.في هذا السياق، جادل بأن حرية الوعي في تجاوز حدوده وتناقضاته لا تتحقق إلا من خلال الكلام: أي كعملية يرتقي فيها الوعي فوق حدوده عبر تواصل مكثف مع الآخرين، حيث يُسهم التواصل الملتزم في تعليق الأحكام المسبقة والمواقف الجامدة للوعي. ولذلك، فإن الوعي المنفتح وجوديًا هو دائمًا تواصلي، ولا يستطيع الوعي أن يُفصّل إمكانياته الوجودية بالكامل إلا عندما يتخلى عن بنيته الأحادية. في هذا المذهب المبكر للتواصل، ساهم ياسبرز في تشكيل تحول تواصلي وتفاعلي أوسع في الفلسفة الألمانية؛ بل إن صدى تأويله الوجودي ظل واضحًا في أعمال هانز–جورج غادامير وبول ريكور اللاحقة. لكن، وبشكل أقل وضوحًا، وجّه في هذا المذهب الفكر الوجودي المبكر بعيدًا عن ارتباطه الأصلي

يرى ياسبرز أن مهمة التحليل النفسي هي توجيه الوجود الإنساني إلى ما وراء التناقضات المقيدة التي يستقر حولها، وتمكينه من مواجهة الاحتمالات الأكثر أصالة للحياة الذاتية والموضوعية، التي يمحوها من خلال ميوله ومواقفه العقلانية المعتادة.

أن معظم أنماط العقلانية هي أشكال وظيفية أو أيديولوجية ملائمة، تخدم وظائف ذاتية وموضوعية متميزة، وعادةً ما تقف عائقًا أمام المعرفة الحقيقية

تأثر عمل ياسبرز، رغم منهجيته المتأثرة بفيبر، بفلسفة هيغل تأثراً عميقاً، وسعى إلى دمج شروط فينومينولوجيا هيغل في مذهب نفسي منهجي

بكيركغارد ونيتشه، ورغم استيعابه لعناصر كيركغارد من الحسم والالتزام الشديد، فقد زعم أن عبادة كيركغارد للباطنية، المتمحورة حول صمت الحياة الداخلية، كانت محاولة فاشلة لتصور شروط الأصالة الإنسانية. وجادل بأن قرار تجاوز الذات الحقيقي والوحدة المعرفية لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال المشاركة المشتركة في الحوار.

يُعدّ كتاب "الفلسفة" (1932) ، المؤلف من ثلاثة مجلدات، أهمّ منشورات ياسبرز في مرحلته المبكرة، وربما في مسيرته المهنية بأكملها. في هذا العمل، حافظ على تركيزه الهيغلي الجزئي الذي ميّز منشوراته السابقة، واتبع روح الفينومينولوجيا الهيغلية في تقديمه شرحًا لتكوين الوعي الإنساني، الذي يُدرك الوعي باعتباره نتاجًا للمعرفة المباشرة، ومتقدمًا عبر سلسلة من التناقضات نحو مستوى من التأمل الموحد الصادق ومعرفة الذات. في هذا السياق، أكّد ياسبرز مجددًا على فكرة أن التناقضات التي يواجهها العقل ويحلّها في تجلّيه كحقيقة هي في آنٍ واحد تناقضات معرفية وتجريبية، وأنّ لحظات الوجود الإنساني المعاشة ذات أهمية تكوينية معرفية دائمة لتكوين الوعي. في الواقع، بقيت هذه الأفكار محورية في فلسفة ياسبرز طوال تطورها اللاحق. في أعماله الفلسفية اللاحقة، ولا سيما كتابه "عن الحقيقة " (1947) ، واصل إبراز النماذج المعرفية المستمدة من الظواهرية الهيغلية، واقترح مفهومًا للشمولية (das Umgreifende) لتحديد التدرجات الظواهرية للفكر والوجود. ومع ذلك، فإلى جانب اهتمامه بالمواضيع الهيغلية، تتضمن الفلسفة أيضًا إعادة بناء جوهرية للمواضيع الكانتية، إذ تستند إلى إعادة بناء نقدية لمذهب كانت في الأفكار المتعالية، وتتمحور حول مسعى لشرح عناصر المثالية الكانتية باعتبارها مذهبًا منهجيًا للتجربة الذاتية الميتافيزيقية.

تحمل مجلدات كتاب "الفلسفة "الثلاثة العناوين التالية) :التوجه الفلسفي للعالم (المجلد الأول) وإضاءة الوجود (المجلد الثاني)، والميتافيزيقا (المجلد

جادل بأن حرية الوعي في تجاوز حدوده وتناقضاته لا تتحقق إلا من خلال الكلام: أي كعملية يرتقي فيها الوعي فوق حدوده عبر تواصل مكثف مع الآخرين، حيث يُسهم التواصل الملتزم في تعليق الأحكام المسبقة والمواقف الجامدة للوعي

زعم أن عبادة كيركغارد للباطنية، المتمحورة حول صمت الحياة الداخلية، كانت محاولة فاشلة لتصور شروط الأصالة الإنسانية

تحمل مجلدات كتاب "الفلسفة" الثلاثة العناوين التالية: (التوجه الفلسفي للعالم (المجلد الأول) وإضاءة الوجود (المجلد الثاني)، والميتافيزيقا (المجلد الثالث)

الثالث). وقد كُتبت هذه المجلدات خلال عشرينيات القرن العشرين بعد حصول ياسبرز على منصب الأستاذية الكاملة في جامعة هايدلبرغ. يصف كل مجلد من هذا الكتاب نمطًا وجوديًا محددًا: فالتوجه ، والوجود ، والتجاوز الميتافيزيقي هي الأنماط الوجودية الثلاثة الأساسية للحياة البشرية. وفي الوقت نفسه، يصف كل مجلد أيضًا طريقة معرفة محددة، ترتبط بنمط وجودي: فالتوجه يتحدد معرفيًا من خلال المعرفة القابلة للتحقق الموضوعي أو من خلال البراهين الإيجابية أو العلمية، والوجود يتحدد من خلال التأمل الذاتي/الوجودي، والتجاوز يتحدد من خلال التفسير الرمزي للمضامين الميتافيزيقية. صُممت المجلدات الثلاثة لكتاب "الفلسفة "لتُبين كيف يتطور الوجود البشري والمعرفة البشرية بالضرورة من مستوى وجودي ومستوى معرفي إلى آخر، وكيف يتطور الوعي تدريجيًا، من خلال مواجهة تناقضاته الذاتية، من حالة آنية غير مُتشكلة نحو حالة من الوحدة والتجربة الذاتية المتكاملة. وبالتالي، ترتبط المجلدات الثلاثة معًا بحجة مفادها أنه على مستوى المعرفة الموضوعية المباشرة – أي التوجه في العالم – يطرح الوعي البشري أسئلة وجودية ذاتية حول ذاته وأسس حقيقته، وهي أسئلة لا يستطيع حلها على هذا المستوى من الوعي، ويواجه تناقضات تدعوه إلى التأمل الوجودي في ذاته والارتقاء به إلى مستوى الوجود أو التأمل الذاتي الملتزم وجوديًا. عند هذا المستوى الأعلى من الوعي، يطرح الوجود أسئلة ميتافيزيقية حول ذاته وأصله، لا يمكنه البدء في الإجابة عنها دون إدراك أن الوجود، على مستوى أصلي أو أصيل، متعالٍ ، وأن حقيقته ميتافيزيقية.

يتوافق كل مستوى من مستويات الوجود في فلسفة ياسبرز مع أحد الأفكار المتعالية الكانتية، وتُوضح أنماط التفكير والمعرفة التي تُحدد كل مستوى من مستويات الوجود المحتوى الفكري لأفكار كانت. يتوافق مستوى التوجه في العالم مع فكرة وحدة العالم؛ ويتوافق مستوى الوجود مع فكرة خلود

يصف كل مجلد من هذا الكتاب نمطًا وجوديًا محددًا: فالتوجه ، والوجود ، والتجاوز الميتافيزيقي هي الأنماط الوجودية الثلاثة الأساسية للحياة البشرية

يصف كل مجلد أيضًا طريقة معرفة محددة، ترتبط بنمط وجودي: فالتوجه يتحدد معرفيًا من خلال المعرفة القابلة للتحقق الموضوعي أو من خلال البراهين الإيجابية أو العلمية، والوجود يتحدد من خلال التأمل الذاتي/الوجودي، والتجاوز يتحدد من خلال التفسير الرمزي للمضامين الميتافيزيقية

الروح؛ ويتوافق مستوى التجاوز مع فكرة الوجود الضروري لله. ومع ذلك، فبينما رأى كانت الأفكار المتعالية على أنها أفكار تنظيمية شكلية للعقل، لا تُسهم، في أحسن الأحوال، إلا في إضفاء تنظيم منهجي على العمليات الكامنة للعقل، فقد نظر ياسبرز إلى الأفكار المتعالية على أنها عوالم للمعرفة المعيشة، يمر بها الوعي، ومن خلال تناقضاته المُختبرة يتشكل ويتوجه إلى معرفة ذاته كشيء متعالٍ . وهكذا، نسب ياسبرز إلى الأفكار المتعالية محتوى جوهريًا وتجريبيًا. لا تُحدد الأفكار، كما كانت، الحدود الشكلية للمعرفة فحسب، ولا تفصل بين حدود الحسّ والمسائل التأملية أو الميتافيزيقية. بل تُوفر الأفكار دافعًا دائمًا للعقل لتجاوز حدوده، والسعي نحو معرفة أكثر سموًا لذاته ومضامينه وإمكانياته. ولذلك، حوّل ياسبرز في فلسفته الناضجة الأفكار المتعالية الكانتية إلى أفكار التجاوز ، حيث يُدرك الوعي إمكانية المعرفة الجوهرية أو الميتافيزيقية ومعرفة الذات، ويُفصّلها. وكان من بين العناصر الأساسية لهذا التعديل على مفهوم كانت للأفكار نقدٌ ضمني، ولكنه جوهري، للتمييز الكانتي الرئيسي بين المتعالي والمتعالي. وعلى النقيض من القراءات الكانتية الجديدة المعاصرة لكانت، والتي كانت مستعدة للاعتراف بالعنصر المثالي في المثالية الكانتية فقط، على الأكثر، كإطار تنظيمي، ناتج عن وظائف العقل المستقلة، جادل ياسبرز بأن الفلسفة الكانتية تحتوي دائمًا على رؤية للتجاوز المجرب وتقمعها في نفس الوقت، وأنه ينبغي النظر إلى الأفكار الكانتية على أنها تحديات للعقل للتفكير خارج حدود استقلاليته، نحو مضامين جديدة وأكثر أصالة، وتجارب ذاتية وحريات.

مع ذلك، لم يجادل ياسبرز، باستبداله مصطلح "المتعالي" بمصطلح "المتجاوز"، بأن المضامين المتعالية قابلة للتحقيق كعناصر إيجابية للمعرفة الإنسانية. بل على العكس، جادل بأن الوعي لا يكتسب معرفة تجاوزه إلا من خلال التأمل في رموز التجاوز الزائلة ، التي تدل على الحدود المطلقة للوعي

ترتبط المجلدات الثلاثة معًا بحجة مفادها أنه على مستوى المعرفة الموضوعية المباشرة – أي التوجه في العالم – يطرح الوعي البشري أسئلة وجودية ذاتية حول ذاته وأسس حقيقته

نظر ياسبرز إلى الأفكار المتعالية على أنها عوالم للمعرفة المعيشة، يمر بها الوعي، ومن خلال تناقضاته المُختبرة يتشكل ويتوجه إلى معرفة ذاته كشيء متعالٍ

الإنساني. قد تُصادف هذه الرموز في الطبيعة، أو في الفن، أو في الرموز الدينية، أو في الفلسفة الميتافيزيقية. لكن من سمات جميع هذه الرموز أنها، في إشارتها إلى التجاوز، تحجب المعرفة المتعالية عن الوعي، وأنها لا يمكن أن تكون إلا مؤشرات على استحالة هذه المعرفة. وبالتالي، فإن موقف الوعي الذي يُدرك حدوده وتجاوزه المحتمل لا يمكن أن يكون إلا موقفًا من التعثر أو الفشل (شايترن)، ولا يمكن للتجاوز أن يتغلغل في الوعي الإنساني إلا كتجربة للعجز المطلق لهذا الوعي عن تفسير طبيعته الأصلية أو الميتافيزيقية. على هذا المستوى، ورغم معارضته للشكلية والفراغ التجريبي للفلسفة الكانتية الجديدة، فقد قبل ياسبرز أيضًا الحظر الكانتي الأصلي للمعرفة المتعالية أو الميتافيزيقية الإيجابية. جادل بأن الوعي دائمًا ما يمتلك توجهًا ميتافيزيقيًا ليكون مختلفًا عن أشكاله الموجودة أو متجاوزًا لها، لكنه ادعى أيضًا أن هذا التوجه لا يمكن أن يبلغ ذروته إلا في أزمة التجاوز، أو في أزمة الميتافيزيقا. وبالتالي، فرغم إعادة ترسيخ الجوانب الميتافيزيقية للفلسفة الكانتية، فإن ميتافيزيقا ياسبرز تظل ميتافيزيقا ما بعد كانتية: إنها ميتافيزيقا سلبية ، تقاوم أي اقتراح بأن العقل البشري قد يقدم تفسيرًا للجواهر الميتافيزيقية، وتُعرّف مجال المعنى البشري بأنه مُشكّل من خلال اختلافه عن المعرفة الميتافيزيقية الإيجابية، لكنها مع ذلك ترى العقل، على طريقة كيركغارد، مدفوعًا برغبة يائسة في التجاوز الميتافيزيقي.

لقد ندد فلاسفة آخرون، ولا سيما أولئك المنتمون إلى مدرسة فرانكفورت، بإعادة بناء ياسبرز الميتافيزيقية للمثالية الكانتية، باعتبارها مرحلةً في مسار أوسع لانحطاط معرفي، يُترجم بشكل خاطئ المضامين الميتافيزيقية المطلقة إلى لحظات من التجربة الداخلية الإنسانية. مع ذلك، ثمة أسباب وجيهة للقول بأن ميتافيزيقا ياسبرز تُشكل نقدًا هامًا للتفسيرات المستقلة تمامًا للعقلانية التي طرحتها الكانتية الجديدة، بل وتتطابق مع انتقادات الشكلية

لا تُحدد الأفكار، كما كانت، الحدود الشكلية للمعرفة فحسب، ولا تفصل بين حدود الحسّ والمسائل التأملية أو الميتافيزيقية. بل تُوفر الأفكار دافعًا دائمًا للعقل لتجاوز حدوده، والسعي نحو معرفة أكثر سموًا لذاته ومضامينه وإمكانياته.

حوّل ياسبرز في فلسفته الناضجة الأفكار المتعالية الكانتية إلى أفكار التجاوز ، حيث يُدرك الوعي إمكانية المعرفة الجوهرية أو الميتافيزيقية ومعرفة الذات، ويُفضّلها

جادل ياسبرز بأن الفلسفة الكانتية تحتوي دائمًا على رؤية للتجاوز المجرب وتقمعها في نفس الوقت

الكانتية التي استندت إليها الفلسفات المرتبطة على نطاق واسع بمدرسة فرانكفورت. لقد أدرك ياسبرز أن التجاوزية الكانتية قمعت دافعًا عميقًا نحو التجاوز، وقد أُهمل هذا الجانب من فكر كانت إهمالًا بالغًا من قِبل المفسرين الذين رأوا في فلسفة كانت مذهبًا للحلولية المطلقة أو الاستقلالية. لقد استبق ياسبرز، وإن كان ذلك من منظور ذاتي، حجة أدورنو اللاحقة القائلة بأن المثالية المتعالية عند كانت تنطوي دائمًا على رثاء لانغلاق العقل أمام التجاوز. ويمكن وضع ياسبرز وأدورنو – على الرغم من اختلافاتهما السياسية– في خانة واحدة كمفكرين سعيا إلى إحياء الآثار الميتافيزيقية في المثالية. على أي حال، فإن إصرار ياسبرز، خلافًا لكانت والكانتيين الجدد، على أن العقل نفسه ليس المصدر الوحيد للمعرفة، وأن مهمة العقل ليست تقييد نطاق صلاحيته في مواجهة التجاوز، بل تجاوز حدوده المعرفية واستشراف مضامين لا يمكن توليدها بوظائفه المستقلة، يستحق أن يُعاد تقييمه كمساهمة بالغة الأهمية في النقاشات الحديثة حول الميتافيزيقا ونظرية المعرفة.

ينبغي النظر إلى الأفكار الكانتية على أنها تحديات للعقل للتفكير خارج حدود استقلاليته، نحو مضامين جديدة وأكثر أصالة، وتجارب ذاتية وحريات

لم يجادل ياسبرز، باستبداله مصطلح "المتعالي" بمصطلح "المتجاوز"، بأن المضامين المتعالية قابلة للتحقيق كعناصر إيجابية للمعرفة الإنسانية

جادل بأن الوعي لا يكتسب معرفة تجاوزه إلا من خلال التأمل في رموز التجاوز الزائلة، التي تدل على الحدود المطلقة للوعي الإنساني

الفلسفة والدين..

لا يصعب تلمس تأثيرات فيبر، وكانت، وهيغل، وكيركغارد في أعمال ياسبرز. وبالمثل، يسهل أيضاً تحديد أوجه تأثره بنيتشه. فقد استعار ياسبرز من نيتشه منهجاً نفسياً في تناول المنظورات الفلسفية، ومثله، مال إلى النظر إلى الادعاءات الفلسفية لا كمسلمات قابلة للتحقق شكلياً، بل كتعبير عن ميول عقلية كامنة. ولهذا السبب، استعار أيضاً من نيتشه نهجاً رافضاً للادعاءات المطلقة بالمعرفة الصادقة، وما نتج عنه من رفضٍ لكل نزعة عقلانية خالصة. والأهم من ذلك، أنه، على غرار هايدغر، استقى من نيتشه منهجاً نقدياً تجاه بقايا الميتافيزيقا في الفلسفة الأوروبية، وأنكر وجود جواهر خارجية أو غير مبالية بالتجربة الإنسانية. وفي الوقت نفسه، وضع ياسبرز

فلسفته بوضوح في مقابل العديد من عناصر التراث النيتشوي. كان من الواضح أنه يعارض النزعة الحيوية الطبيعية التي تطورت من أعمال نيتشه، وكان تركيزه على الذاتية الإنسانية كموقع للتسامي الصادق يعني أن كيركغارد، وليس نيتشه، كان النموذج الوجودي لأعماله.

كان لشيلنغ تأثيرٌ تكوينيٌّ هامٌ آخر على فلسفة ياسبرز. فرغم انتقاده أحيانًا للتصوف البسيط وميتافيزيقا العمليات الطبيعية في أعمال شيلينج الدينية، إلا أن إعادة بنائه الميتافيزيقية للمثالية الكانتية أعادت صياغة بعض عناصر الفلسفة الوضعية لشيلنغ في مراحله اللاحقة، وعكست محاولته تفسير المعرفة الصادقة كتجربة معرفية يتجلى فيها العقل من خلال تفاعله مع مضامين أخرى غير شكله. وفي هذا الصدد، تبنى ياسبرز من شيلينغ نموذجًا غير هويوي للحياة المعرفية، ينظر إلى المعرفة الحقيقية (أو الصادقة) على أنها مكتسبة من خلال أفعال التفسير والكشف الإيجابيين على حدود الوعي العقلاني. وخلافًا لشيلنغ، رفض ياسبرز دائمًا ادعاءات المعرفة الوضعية المطلقة؛ وبهذا المعنى، ظل – في التحليل النهائي – فيلسوفًا كانتيا. ومع ذلك، فقد كان متعاطفًا بوضوح مع نقد شيلنغ للسلبية المعرفية الشكلية. في الواقع، من خلال تحويله التأويلي للمثالية إلى ميتافيزيقا للتفسير الرمزي، يمكن اعتباره، مثل كل من شيلنغ ويوهان جورج هامان من قبله، فيلسوفًا كان مصممًا على إعادة استحضار حقيقة الوحي، كمحتوى معرفي مطلق وغير متطابق، في مواجهة الأدلة العقلانية لنظرية المعرفة، وبالتالي على وضع منهجية تفسيرية تتناسب مع مفهوم الحقيقة كما تم الكشف عنها أو إظهارها.

يُقدّم التأثير الخفيّ، وإن كان بالغ الأهمية، لشيلنغ على فلسفة ياسبرز مفتاحًا لفهم فلسفته الدينية. فعلى مستوىً ما، كان ياسبرز ملتزمًا فلسفيًا باستعادة المضامين الدينية بتعاطف. وكان مُصرًّا على أن الحقيقة لا يُمكن

موقف الوعي الذي يُدرك حدوده وتجاوزه المحتمل لا يمكن أن يكون إلا موقفًا من التعثر أو الفشل (شايترن)، ولا يمكن للتجاوز أن يتغلغل في الوعي الإنساني إلا كتجربة للعجز المطلق لهذا الوعي عن تفسير طبيعته الأصلية أو الميتافيزيقية

جادل بأن الوعي دائمًا ما يمتلك توجهًا ميتافيزيقيًا ليكون مختلفًا عن أشكاله الموجودة أو متجاوزًا لها، لكنه ادعى أيضًا أن هذا التوجه لا يمكن أن يبلغ ذروته إلا في أزمة التجاوز، أو في أزمة الميتافيزيقا

لقد نقد فلاسفة آخرون، ولا سيما أولئك المنتمون إلى مدرسة فرانكفورت، بإعادة بناء ياسبرز الميتافيزيقية للمثالية الكانتية، باعتبارها مرحلةً في مسار أوسع لانحطاط معرفي، يُترجم بشكل خاطئ المضامين الميتافيزيقية المطلقة إلى لحظات من التجربة الداخلية الإنسانية

ثمة أسباب وجيهة للقول بأن ميتافيزيقا ياسبرز تُشكل نقدًا هامًا للتفسيرات المستقلة تمامًا للعقلانية التي طرحتها الكانتية الجديدة، بل وتتطابق مع انتقادات الشكلية الكانتية التي استندت إليها الفلسفات المرتبطة على نطاق واسع بمدرسة فرانكفورت

تفسيرها إلا كعنصر من عناصر الاختلاف الجذري في العقل، أو كتجربة العقل لحدوده. وبالمثل، كان مُصرًّا على أن شروط الحرية الإنسانية لا تنشأ من العقل البشري وحده، بل تُعاش كتدخلات من التجاوز في الفكر العقلاني. لهذه الأسباب، تتعاطف فلسفته مع الآثار الأساسية للاهوت الوحي، وتُؤيّد بحذر الادعاء الفلسفي الجوهري للوحي: ألا وهو أن الحقيقة هي كشف عن الاختلاف (التجاوز) للعقل، أو على الأقل لحظة مُفسّرة من الاختلاف في العقل. ومع ذلك، لا يُمكن وصف ياسبرز، بأي شكل من الأشكال، بأنه فيلسوف ديني. في الواقع، كان شديد الانتقاد لنظرية الوحي، وللأديان الأرثوذكسية عمومًا، لعدة أسباب منفصلة تمامًا. أولًا، جادل بأن جوهر الدين يتشكل دائمًا من خلال ادعاء زائف بالموضوعية أو المطلقية للحقيقة، وهو ادعاء يعجز عن إدراك أن التجاوز يحدث بأشكال متعددة، وأن الحقائق المتعالية لا يمكن تجسيدها في مجموعة من الوقائع أو الروايات. ولذلك، فإن النظرات الدينية للعالم هي أمثلة على مواقف عقلية محدودة، تسعى إلى التمسك بعقيدة موحدة لتجنب مواجهة عدم اليقين وعدم الاستقرار الذي يكتنف التجاوز. فباعتبار التجاوز عنصرًا متحققًا من الوحي، يعيق الدين في الواقع قدرة جميع الناس على التجاوز؛ إذ يدّعي الدين أنه يقدم التجاوز، ولكنه في الحقيقة يعرقله. ثانيًا، إذًا، فإنّ ادعاءات الحقيقة المُوحى بها، باعتبارها أسسًا للعقائد والتعاليم الجامدة، تُقصي الجانب النقدي والتواصلي للعقل البشري، وتُقوّض الشروط الحوارية اللازمة للتسامي والمعرفة الوجودية. ولذلك، نظر ياسبرز إلى الدين التقليدي باعتباره عائقًا أمام التواصل، إذ يفرض قيودًا عقائدية على قدرة الإنسان المشتركة على الصدق والتسامي. ومع ذلك، وبصفته فيلسوفًا للتسامي، كان واضحًا أيضًا أن الصدق البشري، أو الإنسانية بشكل عام، لا يُمكن تصوره دون استعادة المناهج التفسيرية الدينية ودون إدراك حقيقة أن المضامين التأسيسية للفلسفة متعالية. ونتيجةً لذلك،

يُمكن اعتبار جزء كبير من أعماله محاولةً لتحرير مضامين الفكر الديني من العقائد الجامدة المفروضة عليها باسم الدين المنظم.

تُعدّ فكرة الإيمان الفلسفي الفكرة المحورية في فلسفة ياسبرز للدين ، وقد تمّ تفصيلها بشكلٍ مُستفيض في كتابيه " الإيمان الفلسفي" (1948) و " الإيمان الفلسفي في مواجهة الوحي المسيحي " (1962). يحتوي هذا المفهوم، المعروف بصعوبته، على عددٍ من المعاني المُتباينة. أولًا، يعني أن الفلسفة الحقيقية يجب أن تسترشد بالإيمان بأصل الوجود الإنساني المُتعالي، وأن الفلسفة التي تستبعد أو تتجاهل هذا الأصل المُتعالي لا ترقى إلى أعلى مراتب الفلسفة. ثانيًا، يعني أيضًا أن الفلسفة الحقيقية لا يُمكنها ببساطة التخلي عن العقلانية الفلسفية لصالح حقائق مُعلنة أو عقائد، وأن للعقلانية دورًا أساسيًا في تكوين المعرفة المُطلقة. في هذا السياق، أعاد ياسبرز النظر في بعض الجدالات المتعلقة بالعلاقة بين الدين والفلسفة، والتي شكلت فلسفة الهيغليين الشباب في ثلاثينيات القرن التاسع عشر. ومثلهم، أصرّ على أن الإيمان يحتاج إلى الفلسفة، وأن الإيمان يُقلل من قيمة مضامينه كلما تم الإعلان عنها بشكل قاطع أو إيجابي. ثالثًا، يشير هذا المفهوم أيضًا إلى أن أدلة الإيمان دائمًا ما تكون متناقضة وغير مؤكدة، وأن من يسعى إلى معرفة هذه المضامين عليه أن يتبنى موقفًا من النسبية الفلسفية والحوار البنّاء: فإذا أدى الإيمان إلى التشدد، فإنه يُقوّض فورًا ادعاءاته بتقديم معرفة متعالية. وهكذا، يُطرح مفهوم الإيمان الفلسفي، لا كعقيدة للوحي الواقعي أو التجاوز المُنجز، بل كدليل للتواصل المتعالي، يُوازن بين عنصر الكشف في الإيمان وبين رفض فلسفي نقدي لمطلقية الادعاءات الدينية، والذي يُصرّ بالتالي على ضرورة قبول المعرفة المتعالية على أنها نسبية وغير مكتملة. في هذا السياق، بنى ياسبرز الجوانب الدينية لفلسفته على جدلية دقيقة بين الطرحين اللاهوتي والأنثروبولوجي. فقد أشار، من جهة، إلى أن التفسيرات العلمانية

على أي حال، فإن إصرار ياسبرز، خلافًا لكانت والكانتيين الجدد، على أن العقل نفسه ليس المصدر الوحيد للمعرفة، وأن مهمة العقل ليست تقييد نطاق صلاحيته في مواجهة التجاوز، بل تجاوز حدوده المعرفية واستشرافه مضامين لا يمكن توليدها بوظائفه المستقلة

يسهل أيضاً تحديد أوجه تأثره بنيتشه. فقد استعار ياسبرز من نيتشه منهجاً نفسياً في تناول المنظورات الفلسفية، ومثله، مال إلى النظر إلى الادعاءات الفلسفية لا كمسلمات قابلة للتحقق شكلياً، بل كتعبير عن ميول عقلية كامنة.

البحتة للحياة البشرية تحجب الوجود عن إمكانياته وحرياته المتعالية الأصلية. وفي الوقت نفسه، أشار أيضًا إلى أن التحليل اللاهوتي البحت يغلق على الإنسانية أبوابها أمام نسبية حقائقها وهشاشتها، وأمام عمليات التواصل التي تُكشف من خلالها هذه الحقائق. إن الفلسفة القادرة على احتضان العلمانية ونسبتها، واحتضان الدين ونسبته في آنٍ واحد، هي وحدها القادرة على إجراء بحث وجودي وافٍ، أما الفلسفة التي تتخلى، في أي من الاتجاهين، عن هذا التوازن الجدلي بين هذين الالتزامين، فإنها تفقد جوهرها الفلسفي.

كان هذا الموقف النقدي–التصحيحي تجاه البحث الديني أساسيًا في العديد من الجدالات العامة التي خاضها ياسبرز. تعرضت العناصر الدينية في أعماله لهجوم من اللاهوتي الكالفيني كارل بارث، الذي ندد بافتقار مفهومه عن التجاوز إلى مضمون ديني موضوعي. والأهم من ذلك، أن ياسبرز دخل أيضًا في جدل طويل ومؤثر مع رودولف بولتمان، ولا تزال أصداؤه تتردد في النقاش اللاهوتي الليبرالي. تمحور هذا الجدل حول نقد ياسبرز لاستراتيجية بولتمان في نزع الطابع الأسطوري عن الكتاب المقدس: أي محاولته توضيح محتوى الحقائق في الكتاب المقدس من خلال إزالة العناصر التاريخية أو الأسطورية من العهد الجديد، والتركيز، في تفسير ذي طابع وجودي، على الجوانب الدائمة الصلاحية والحاضرة في الكتاب المقدس. عندما طرح بولتمان لأول مرة هذا النهج المُزيل للأساطير، كان ياسبرز يُنسب على نطاق واسع (وإن كان ذلك خطأً) إلى الجناح الليبرالي في اللاهوت البروتستانتي، وربما كان من المتوقع أن يُبدي تعاطفه مع منهج بولتمان التأويلي. إلا أن ياسبرز انقلب عليه بشدة. فقد اتهمه، أولًا، بنشر عقلانية زائفة في النقاش الديني؛ ثانيًا، بتجاهل مظاهر التجارب الروحية لأولئك الذين عاشوا في العصور التاريخية السابقة، والمُتضمنة في الأساطير؛

استعار أيضاً من نيتشه نهجاً رافضاً للادعاءات المطلقة بالمعرفة الصادقة، وما نتج عنه من رفضٍ لكل نزعة عقلانية خالصة.

على غرار هايدغر، استقى من نيتشه منهجاً نقدياً تجاه بقايا الميتافيزيقا في الفلسفة الأوروبية، وأنكر وجود جواهر خارجية أو غير مبالية بالتجربة الإنسانية

كان من الواضح أنه يعارض النزعة الحيوية الطبيعية التي تطورت من أعمال نيتشه، وكان تركيزه على الذاتية الإنسانية كموقع للتسامي الصادق يعني أن كيركغارد، وليس نيتشه، كان النموذج الوجودي لأعماله

ثالثًا، بربط جميع التجارب المتعالية بنظام معياري للقيمة النسبية، وبالتالي فرض نظام جديد من الأرثوذكسية في اللاهوت وتقويض الإمكانيات المتعددة للتسامي. ولذلك، وفي معارضته لبولتمان، خلص ياسبرز إلى أن التأويل الديني القائم على الليبرالية المطلقة هو وحده الكفيلة بقد يكون استبعاد جميع المذاهب التقليدية مناسبًا لمهمة تفسير المضامين المتعالية للحياة البشرية. وأشار إلى أن أساليب التفسير التي تمحو آثار الظروف التاريخية من مفهوم التجاوز، وتختزله إلى حقيقة دينية واحدة محددة مسبقًا، تفشل في التفكير في الأشكال المتعددة والمتنوعة التي يمكن من خلالها تفسير التجاوز، وتفترض خطأً إمكانية حصر التجاوز في فئات عقيدة واحدة حصرية، كما أنها تقلل من شأن التباين التاريخي الجوهري للتجاوز. ونتيجة لذلك، جادل ياسبرز ضمنيًا بأهمية الأشكال الأسطورية أو الرمزية في البحث الديني، وأشار إلى أن كلًا من الأسطورة والدين يحتويان، بدرجة مماثلة، على بقايا التجاوز المُفسَّرة. بلغ تحليله للدين ذروته في مناقشة اللاهوت الثالوث، الذي أكد، على غرار تحليل لودفيج فويرباخ الأنثروبولوجي، على ضرورة تفسير أجزاء الثالوث الثلاثة، لا كعناصر واقعية للألوهية، بل كرموز للإمكانات الإنسانية. وفي هذا السياق، أولى أهمية خاصة للأقنوم الثاني من الثالوث، يسوع المسيح، باعتباره رمزًا للإمكانات الوجودية الإنسانية للتغيير الداخلي والتحول والتغيير الجذري. وخلص إلى أنه أينما تم تعريف هذا الرمز بشكل جوهري على أنه مجرد حقيقة إيجابية للإيمان، فإن حرية التجاوز التي يتم الحصول عليها من خلال التفسير المتعاطف مع هذا الرمز واستعادته تصبح معاقة.

كان الدافع وراء اهتمام ياسبرز بالدين هو عزمه على تحويل عناصر العقيدة الدينية إلى تفسير لإمكانيات الإنسان وحرياته. في الواقع، لم يكن طموحه من وراء عمله في الدين والأسطورة أقل من تحرير مفهوم التجاوز من اللاهوت، والسماح بتحويل تفسيري للجواهر المتصورة دينياً إلى

فيلسوفًا كان مصممًا على إعادة استحضار حقيقة الوحي، كمحتوى معرفي مطلق وغير متطابق، في مواجهة الأدلة العقلانية لنظرية المعرفة، وبالتالي على وضع منهجية تفسيرية تتناسب مع مفهوم الحقيقة كما تم الكشف عنها أو إظهارها.

كان مُصرًا على أن شروط الحرية الإنسانية لا تنشأ من العقل البشري وحده، بل تُعاش كتدخلات من التجاوز في الفكر العقلاني.

لحظات حرة من التفسير الذاتي للإنسان. إذا أمكن وضع فكره في مجال الخطاب اللاهوتي، فإن منهجه في التعامل مع الدين يتسم بالليبرالية والتسامح المطلقين، مما يرفض الادعاء بأن التجاوز يُكشف عنه حصرياً أو حتى بشكل رئيسي من خلال الدين. لقد ألمح إلى أن حقيقة الدين لا تصبح حقيقية إلا إذا فُسرت كحقيقة إنسانية، لا كحقيقة خارجية أو سابقة للبشرية. مع ذلك، فإن الدين في صورته التقليدية عادةً ما يحول دون معرفة التجاوز التي يدعي تقديمها.

تتعاطف فلسفته مع الآثار الأساسية للاهوت الوحي، وتُؤيّد بحذر الادعاء الفلسفي الجوهري للوحي: ألا وهو أن الحقيقة هي كشف عن الاختلاف (التجاوز) للعقل، أو على الأقل لحظة مُفسّرة من الاختلاف في العقل

الجـــــزء (3)

سياسات الإنسانية..

لا تُعدّ هذه التأملات الإنسانية في فلسفة الدين عناصرَ معزولةً في أعمال ياسبرز. في الواقع، تطوّر نقده للدوغمائية الدينية بالتزامن مع مذهبٍ أوسع نطاقًا في الإنسانية، والذي أصبح في نهاية المطاف المكوّنَ الأساسي لأعماله اللاحقة. يمكن القول إن ياسبرز كان إنسانيًا منذ البداية؛ فإذا عُرّفت الإنسانية بأنها مذهب يسعى إلى تفسير خصوصية الحياة البشرية وتفرّدها وكرامتها، فإن أعماله، منذ البداية، يُمكن اعتبارها شكلًا من أشكال الإنسانية الفلسفية. تتخلل جميع أعماله المبكرة فكرةٌ مفادها أن البشر يتميّزون بامتلاكهم سماتٍ أصيلةً للوجود والتجاوز، أي بقدرتهم على طرح تساؤلاتٍ حول أنفسهم وحرياتهم لا يُمكن طرحها بمصطلحاتٍ ماديةٍ أو علمية، وبقدرتهم الناتجة على التغيير الجذري والتحوّل الذاتي والتجاوز. وبالتالي، فإن الإنسانية الحقيقية هي شرطٌ للاستقلال الذاتي الحر والأصالة المتعالية. بشكل عام، يمكن تقسيم الوجودية بين فلاسفة، مثل جان بول سارتر، الذي عرّف الوجودية بأنها نزعة إنسانية، وفلاسفة آخرين، مثل هايدغر، الذين رأوا في تنظيم الفلسفة حول تحليل الحتمية البشرية تحريفًا ميتافيزيقيًا للفلسفة. وينتمي ياسبرز بوضوح إلى الفئة الأولى من الفلاسفة الوجوديين.

لا يُمكن وصف ياسبرز، بأي شكل من الأشكال، بأنه فيلسوف ديني. في الواقع، كان شديد الانتقاد لنظرية الوحي، وللأديان الأرثوذكسية عمومًا، لعدة أسباب منفصلة تمامًا

يمكن القول إن ياسبرز كان إنسانيًا منذ البداية؛ فإذا عُرّفت الإنسانية بأنها مذهب يسعى إلى تفسير خصوصية الحياة البشرية وتفرّدها وكرامتها، فإن أعماله، منذ البداية، يُمكن اعتبارها شكلًا من أشكال الإنسانية الفلسفية

تتمثل جميع أعماله المبكرة فكرةٌ مفادها أن البشر يتميّزون بامتلاكهم سماتٍ أصيلةً للوجود والتجاوز، أي بقدرتهم على طرح تساؤلاتٍ حول أنفسهم وحرياتهم لا يُمكن طرحها بمصطلحاتٍ مادية أو علمية، وبقدرتهم الناتجة على التغيير الجذري والتحوّل الذاتي والتجاوز

في كتاباته بعد عام 1945، ولا سيما في كتابيه " أصل التاريخ وغايته" (1949) و " القنبلة الذرية ومستقبل البشرية(1961) " ، بنى ياسبرز أعماله بشكل واضح على أساس المذهب الإنساني. ومنذ ذلك الحين، أولى أهمية أكبر للشروط الاجتماعية والجماعية لسلامة الإنسان، وخفف من حدة تصوره السابق للذات باعتبارها منبع الحرية الإنسانية. في الواقع، حتى مصطلح " الوجود (Existenz) "أصبح نادرًا في منشوراته بعد عام 1945، واستُبدل إلى حد كبير بأفكار عن الإنسانية المشتركة، التي لا تقوم على تجارب التحول الداخلي الحاسمة، بل على موارد الثقافة والتقاليد والحياة السياسية ذات الطابع الأخلاقي. وبالتالي، لم يكن التحول نحو التفكير الإنساني هو المحور الأساسي لهذه الأعمال اللاحقة فحسب، بل كان أيضًا بحثًا في سياسات الإنسانية والشروط الإنسانية المميزة للوجود السياسي.

في إعادة صياغة شاملة لأعماله السياسية اللاحقة، جادل بأن ظهور الشمولية الأوروبية – التي تجسدت في كل من الاشتراكية القومية والشيوعية – كان نتيجة لتراجع الإنسانية السياسية وتزايد هيمنة أنماط العقلانية التقنية أو الأداتية، مما يُضعف الموارد الأصيلة للحياة البشرية. ولذلك، سعى إلى تقديم تصور لنظام سياسي إنساني قادر على توفير حصن منيع ضد اللاإنسانية الشمولية. أولًا، جادل بأن النظام السياسي الإنساني يجب أن يستند إلى تراث ثقافي متكامل، بحيث يستطيع البشر تفسير رموز نزاهتهم في المضامين الأخلاقية للثقافة الوطنية. وأشار إلى أن الخيانة السياسية للإنسانية عادةً ما تكون مصحوبة، بل وتفترض مسبقًا، خيانة ثقافية للإنسانية، وأن الحكم الشمولي ينشأ عادةً من تآكل الثقافة أو إخضاعها للأداتية. في القرن التاسع عشر، جادل ماركس بأن الداء الرجعي للسياسة الألمانية كان ناتجًا عن حقيقة أن المجتمع الألماني اعتاد السماح للثقافة بأن تحل محل السياسة، وأن تحدد النخبة البرجوازية المتعلمة غير المسيسة نسبيًا

.[Bildungsbürgertum] باعتبارها ركيزة النظام الاجتماعي وحكم التقدم. رد ياسبرز على هذا الوصف لألمانيا بالقول إن المجتمعات التي تقوض الدور الثقافي للنخبة البرجوازية غير مستقرة بطبيعتها، وأن للبرجوازية المتعلمة دورًا أساسيًا في الحفاظ على شروط الثقافة الديمقراطية. ثانيًا، جادل بأن النظام السياسي البشري يجب أن يقوم على التواصل الحر بين المواطنين: فالحرية التواصلية شرط أساسي للفضيلة العامة. ومن ثم، ألمح إلى أن النظام السياسي البشري من المرجح أن يكون نوعًا من الديمقراطية، قائمًا على قدر من التوافق العام. ومثل آرندت، خلص في الواقع إلى أن التفكك الاجتماعي يخلق ثقافات من المرجح أن تزدهر فيها الشمولية، وأن النقاش غير المنظم في المجال العام هو وحده القادر على معالجة هذا المرض الكامن في المجتمع الجماهيري. ثالثًا، جادل بأن موارد التخطيط التكنولوجي والعلمي والاقتصادي التي يستخدمها النظام السياسي يجب أن تبقى عند الحد الأدنى، وأن وجود مجال غير مخطط له للتفاعل البشري ضروري للحفاظ على النظام السياسي البشري. في هذا الصدد، عارض بشدة جميع النزعات نحو الحكم التكنوقراطي، التي رصدها في كل من الكتلة الشيوعية في أوروبا الشرقية، وفي دولة الرفاه سريعة التوسع في جمهورية ألمانيا الاتحادية في عهد أديناور. وأكد أن التكنوقراطية هي الشكل الموضوعي للنزعات الأداتية في العقل البشري، وإذا لم تُوازن بالموارد البشرية المتكاملة للتواصل الثقافي أو العقلاني، فمن المرجح أن تؤدي إلى حكومة قمعية. وفي هذا السياق، اقترب من الصيغ الشائعة لليبرالية السياسية، وأيّد الحكومة المحدودة، والحرية الثقافية والاقتصادية النسبية، وحماية المجتمع من التوجيه السياسي غير الخاضع للمساءلة. رابعًا، جادل أيضًا بأن النظام السياسي البشري يتطلب جهازًا دستوريًا، يُكرّس الحقوق الأساسية، ويفرض نظامًا أخلاقيًا وقانونيًا على عمليات الدولة، ويُقيّد الصلاحيات المطلقة

إن الإنسانية الحقيقية هي شرطٌ للاستقلال الذاتي الحر والأصالة المتعالية

لم يكن التحول نحو التفكير الإنساني هو المحور الأساسي لهذه الأعمال اللاحقة فحسب، بل كان أيضًا بحثًا في سياسات الإنسانية والشروط الإنسانية المميزة للوجود السياسي

في إعادة صياغة شاملة لأعماله السياسية اللاحقة، جادل بأن ظهور الشمولية الأوروبية – التي تجسدت في كل من الاشتراكية القومية والشيوعية – كان نتيجة لتراجع الإنسانية السياسية وتزايد هيمنة أنماط العقلانية التقنية أو الأداتية، مما يُضعف الموارد الأصيلة للحياة البشرية

للجهاز السياسي. ومثل كانت، دعا إلى إنشاء اتحاد دولي للدول، بدساتير وقوانين ومحاكم دولية مشتركة. خامساً، مع ذلك، فقد احتفظ أيضاً بجوانب من النظرة الديمقراطية النخبوية التي ورثها أولاً من فيبر، واستمر في القول بأن النظام السياسي البشري يجب أن يدعمه ويوجهه أشخاص عقلانيون أو نخب مسؤولة.

سعى إلى تقديم تصور لنظام سياسي إنساني قادر على توفير حصن منيع ضد اللاإنسانية الشمولية

بعد صدمات الاشتراكية الوطنية والحرب، يمكن القول إن فلسفة ياسبرز السياسية لم تتجاوز قط موقفًا متشككًا تجاه الديمقراطية المطلقة، ولم تتخلَّ كتاباته السياسية تمامًا عن شعوره بأن المجتمع الألماني لم يكن متطورًا بما يكفي لدعم الديمقراطية، وأن الألمان بحاجة إلى التعليم والتوجيه لترسيخ الديمقراطية. حتى في كتاباته الأخيرة في ستينيات القرن العشرين، والتي أعلن فيها دعمًا مبدئيًا لأنشطة الحركة الطلابية حوالي عام 1968، بقيت آثار تعاطفه مع الديمقراطية النخبوية. على الرغم من أهميته في السياسة الألمانية الحديثة، إلا أن فلسفته السياسية كانت دائمًا متخلفة بعض الشيء عن عصرها، وظل موقفه متجذرًا في المثل العليا الشخصية للدولة التي ميزت الثقافة السياسية الليبرالية القديمة لألمانيا الإمبراطورية، واستمرت في الأطراف الليبرالية المحافظة لجمهورية فايمار.

جادل بأن النظام السياسي الإنساني يجب أن يستند إلى تراث ثقافي متكامل، بحيث يستطيع البشر تفسير رموز نزاهتهم في المضامين الأخلاقية للثقافة الوطنية

ترك ياسبرز كتابه "الفلاسفة العظماء " غير مكتمل ، والذي كان هدفه المعلن "تعزيز السعادة التي تنبع من لقاء العظماء ومشاركة أفكارهم"، وقد اعتمد فيه على منهجه الشخصي القائم على التساؤل والنضال الدائمين. يُعدّ هذا الكتاب مشروعًا ضخمًا في تاريخ الفلسفة العالمي، وقد أبدعه فلاسفة بارزون ألهموا الفكر الإنساني. كان ياسبرز يؤمن بأننا لا نصل إلى ذواتنا وإلى الحكمة إلا من خلال التواصل مع الآخرين، ولذا اعتبر الفلاسفة الذين تناولهم في هذا الكتاب "معاصرين أبديين" و"مثيري التساؤلات" بمعنى المفكرين الذين غلب عليهم الشك واليأس. صدر المجلدان الأولان من هذا

أن الخيانة السياسية للإنسانية عادةً ما تكون مصحوبة، بل وتفترض مسبقًا، خيانة ثقافية للإنسانية، وأن الحكم الشمولي ينشأ عادةً من تآكل الثقافة أو إخضاعها للأداتية

العمل عام 1958، بينما جُمع المجلدان الثالث والرابع من الكم الهائل من أوراقه التي نُشرت بعد وفاته. ومع ذلك، تمكّن المحرران إرماث وإيرليخ من تأليف كتاب متماسك، يُغطي، وفقًا لخطة ياسبرز، بشكل أساسي الفلاسفة الذين أطلق عليهم اسم "مثيري التساؤلات": المفكرين الذين غلب عليهم الشك واليأس. قام رالف مانهايم بالترجمة الإنكليزية وقامت هانا أرندت بتحريرها، وقد ظهرت على أجزاء حتى عام 1994.

الأعمال الكاملة..

أطلقت أكاديمية هايدلبرغ ("طبعة منتدى هايدلبرغ") وأكاديمية العلوم في غوتينغن مشروعًا لجمع مجموعة متنوعة من الطبعات والتعليقات والترجمات المتميزة لكتابات كارل ياسبرز في طبعة موحدة. يرأس المشروع أوتفريد هوف، ويشارك في تحريره كل من توماس فوكس، وينس هالفواسن، ورينهارد شولتز، بالتعاون مع أنطون هوغلي، وكورت سالامون، وهانز سانر. يتألف المشروع من ثلاثة أقسام رئيسية، تضم 50 مجلدًا: الأعمال (القسم الأول)، والممتلكات (القسم الثاني)، والرسائل (القسم الثالث). يغطي القسم الأول جميع الأعمال التي طُبعت ونُشرت خلال حياة ياسبرز، بينما يضم القسمان الثاني والثالث مختارات من أعماله الكثيرة المنشورة بعد وفاته، بعضها نُشر سابقًا والبعض الآخر لم يُنشر من قبل. يهدف هذا العمل بشكل عام إلى إحياء البحث في الأسس الفلسفية والمعاصرة والثقافية التي شكلت فكر ياسبرز، وتتبع تاريخ تأثيره. من المتوقع أن يستغرق العمل على هذه الطبعة في جامعتي هايدلبرغ وأولدنبورغ 18 عامًا، وهو ثمرة تعاون مع مؤسسة كارل ياسبرز في بازل. سيعتمد المحررون على الكتابات غير المنشورة المحفوظة في الأرشيف الأدبي الألماني في مارباخ، وعلى 11000 مجلد من مكتبة ياسبرز البحثية في منزل كارل ياسبرز في أولدنبورغ. إضافةً إلى الشرح نفسه، صُممت هذه الطبعة لتوفير دوافع جديدة للبحث في فكر الفيلسوف،

إن المجتمعات التي تفوض الدور الثقافي للنخبة البرجوازية غير مستقرة بطبيعتها، وأن للبرجوازية المتعلمة دورًا أساسيًا في الحفاظ على شروط الثقافة الديمقراطية

جادل بأن النظام السياسي البشري يجب أن يقوم على التواصل الحر بين المواطنين: فالحرية التواصلية شرط أساسي للفضيلة العامة

خلص في الواقع إلى أن التفكك الاجتماعي يخلق ثقافات من المرجح أن تزدهر فيها الشمولية، وأن النقاش غير المنظم في المجال العام هو وحده القادر على معالجة هذا المرض الكامن في المجتمع الجماهيري

ولتمكين النقاشات حول القضايا الثقافية والسياسية المعاصرة من الاستفادة من نمط فكري يمكن وصفه بأنه متعدد التخصصات وعالمي بأفضل معاني هذه المصطلحات. تتوفر حاليًا معظم هذه المجلدات..

جادل بأن موارد التخطيط التكنولوجي والعلمي والاقتصادي التي يستخدمها النظام السياسي يجب أن تبقى عند الحد الأدنى، وأن وجود مجال غير مخطط له للتفاعل البشري ضروري للحفاظ على النظام السياسي البشري

أكد أن التكنوقراطية هي الشكل الموضوعي للنزعات الأداتية في العقل البشري، وإذا لم تُوازن بالموارد البشرية المتكاملة للتواصل الثقافي أو العقلاني، فمن المرجح أن تؤدي إلى حكومة قمعية

خلاصة..

علم النفس بمفهوم ياسبرز علم وصفي تحليلي، وقال بسيكولوجية متفهمة ترتكز على الفهم، وأدخل الظواهرية في الطب العقلي كرد فعل ضد التيار العضوي الذي كان سائداً في ميدان الطب النفسي وعلم النفس، ووجه علم النفس نحو تصور يغلب عليه الطابع النفسي على الطابع الفزيولوجي العصبي، وكان يقول إن الظواهر النفسية لا ينبغي دراستها وتفسيرها موضوعياً كالظواهر الفيزيائية، وإنما دراستها ينبغي أن تكون ذاتية وبطرق تؤدي إلى فهمها، بأن نستقطع من حياة المفحوص مواقف تتوفر لنا بها شرائح مستعرضة من تكوينه النفسي وخصائصه الفردية الحالية. وتعطينا وصفاً لمظهره التكويني والدينامي، يحيلنا إلى قطاعات وشرائح عائلة من طفولته النفسية، ثم بترتيب وقائعه النفسية تسلسلياً يمكن أن نستخلص دلالاتها السلوكية المرضية، ومضرب المثل لذلك بمحاولة انتحار يقوم بها المفحوص، فمن الممكن تفهم الدوافع لها في ضوء حوادث قديمة من الماضي ولدت عنده مشاعر ذنب تضغط عليه وتصيبه بالقلق والاكتئاب، فلا يجد من وسيلة للخلاص منها إلا بالانتحار أو محاولته .

والمحلل النفسي الوجودي بطريقة ياسبرز يضع نفسه مكان المريض الذي حاول الانتحار، ويتصور نفسه في ظروفه التي ألمت به، فيدرك دلالة محاولته الانتحار حدسياً، ويفهم حزنه لو كان هذا الحزن بسبب فقد حبيب أو عزيز عليه، أو لو كان الدافع إليه الغيرة على محبوب. غير أن هذه الطريقة قد تستحيل حينما يتعذر التفسير التكويني ويصعب فهم حزن أو هذيان السوداوي مثلاً، فيتعذر على المحلل أن يضع نفسه مكانه، وأن يحيط

بخصوصيته في هذيانه وحزنه، وأن يدرك تسلسل الوقائع النفسية التي أدت إليه، وعندئذ لا يكون ثمة مندوحة من محاولة الوصول إلى تفسير سببي، وكأن هذا الهذيان أو الحزن من موضوعات الطبيعة التي نسعى إلى استجلاء حقيقتها بتحري أسبابها الفيزيائية الفزيولوجية والعصبية والعضوية، كما في حالات الذهان العضوي، أو حالات الذهان الوظيفي التي يتأثر بها إحساس وشعور المريض بالواقع، كما في العته مثلاً. أما الحالات التي يمكن فهم أعراضها، فهي قاصرة على الحالات النفسية التي ليس فيها أن يضرب شعور المريض وإحساسه بالواقع، كالحالات التي يدخلها الصراع النفسي والتي قوامها وقائع وجودية معينة قد تترتب عليها الإصابة بأنواع من الأعصبة، فهذه من الممكن سبر أغوارها والوصول فيها إلى حلول علاجية .

والموقف الوجودي الذي يقوم عليه علم النفس الياسبرزي أن الإنسان هو الحقيقة الأساسية التي ينبغي أن نهتم بإدراكها في العالم، ووجوده في العالم هو وجود حضور وقرب وامتلاء وحياة، وإهمال وجود الإنسان هو عدم. والعلاج النفسي الوجودي عند ياسبرز يقوم على اعتبار أن الإنسان هو إنسان بما يفعله ويتخذه من قرارات، وهو في كل ما يفعله ويفكر فيه على علاقة بشيء، وهو لا يكتفي بذاته، وليس مغلقاً عليه في ذاته، وموجود في مواقف واقعية وعلى صلة بالعالم وبالموضوعات فيه. ووجوده هذا العيني هو وجود آني، ولكن الإنسان أيضاً له وجود ماهوي– مشروع وجود لا يعرف الزمانية ويعجز عنه الفهم لأنه يفلت دائماً ولا يتعين أبداً، فكلما ظننا أنه قد تعين بتحقيق ما كنا قد جعلناه مشروعاً لنا، فإننا ننزلق دوماً إلى مشروع ومشروعات جديدة لا تنتهي، وهذا ما يجعلنا نستشعر دائماً التوتر والقلق وعدم الرضا، ويكون بيننا وبين العالم صراع من نوع ما، ومع الصراع توجد المخاطرة، وكل مشروع ينطوي على مراهنة بالوجود الإنساني، ومقترن بالإخفاق والشعور بالذنب. ويسمي ياسبرز المواقف التي من هذا القبيل

أيّد الحكومة المحدودة، والحرية الثقافية والاقتصادية النسبية، وحماية المجتمع من التوجيه السياسي غير الخاضع للمساءلة

جادل أيضًا بأن النظام السياسي البشري يتطلب جهازًا دستوريًا، يُكرّس الحقوق الأساسية، ويفرض نظامًا أخلاقيًا وقانونيًا على عمليات الدولة، ويُقيّد الصلاحيات المطلقة للجهاز السياسي

ترك ياسبرز كتابه "الفلاسفة العظماء " غير مكتمل ، والذي كان هدفه المعلن "تعزيز السعادة التي تنبع من لقاء العظماء ومشاركة أفكارهم"، وقد اعتمد فيه على منهجه الشخصي القائم على التساؤل والنضال الدائمين

مواقف حاسمة، وهي مفروضة على الإنسان، ويريد الانفكاك منها بأن لا يوجد فيها، لأنها تسلبه وجوده وذاتيته، والعلو هو أن أخرج من سيطرتها وتكون لي هويتي، والفشل في العلو هو السقوط .

ويحدث المرض النفسي نتيجة الفشل في الخروج، ويتركز العلاج الوجودي على مساعدة المريض على الاستبصار بحالته والخروج من المواقف الحاسمة، وأن تكون له ذاتيته الفردية، ومساعدته على تحرير هذه الذاتية، وأن يدافع عنها، وأن ينفتح بذاته على العالم والناس، لأنه في العالم سيحقق إمكاناته، وبالناس يدرك ذاته اجتماعياً، ويدرك قيمته وسط الآخرين .

ويختلف التحليل النفسي عند فرويد عنه عند ياسبرز، ففرويد عن طريق منهج التداعي، يتعرف إلى الحوادث الصادمة والمشاعر والرغبات والأفكار المكبوتة عند المريض، وعند ياسبرز معرفة الماضي للمريض هي معرفة للمعالج وللمريض بواقعه قديماً، ولكن ذاته ليست هذا الماضي فقط، وهو ليس موضوعاً قد تحجر وثبت على الماضي، وكذلك فإن الماضي ليس مجموع الذات، ولو سلمنا مع فرويد بأننا الماضي فقط لحكمنا على أنفسنا بالفناء، لأننا بذلك نلغي حاضرنا ونلقي بمستقبلنا في بحر الماضي .

وكذلك فإن إدراك المفحوص لذاته بالتحليل النفسي يجعله يدرك من الذات جسمه، ويدرك أنه وجسمه شيء واحد، ولكنه مع ذلك سيميز بين نفسه وجسمه، وهو يستطيع أن يقتل هذا الجسم، وإذن هو ليس مجرد جسم، ولو أدرك ذلك جيداً ووعاه فسيفهم أن أية حادثة تلحق بهذا الجسم ليس فيها الفناء، لنفسه، وكذلك أفعالي المعلقة بجسمي، فإنها بمجرد أن تتحقق مخارج عن ذاتي وأشعر بذاتي إزاءها. وفي كل ما سبق أن الموجود الذي يقلق على نفسه باستمرار، ويشعر أنه لا يكون نفسه إلا إذا امتلك هذه النفس وتأملها باستمرار، ولو أخفقت في مراقبة نفسي فأنا المسؤول. وتقوم السيكولوجية الوجودية عند ياسبرز على أن الإنسان عليه أن يحافظ على توازنه النفسي

هذا الكتاب مشروعًا ضخمًا في تاريخ الفلسفة العالمي، وقد أبدعه فلاسفة بارزون ألهموا الفكر الإنساني

كان ياسبرز يؤمن بأننا لا نصل إلى ذواتنا وإلى الحكمة إلا من خلال التواصل مع الآخرين، ولذا اعتبر الفلاسفة الذين تناولهم في هذا الكتاب "معاصرين أبديين" و"مثيري التساؤلات" بمعنى المفكرين الذين غلب عليهم الشك واليأس

إزاء هذه المواقف المتعارضة: أن أسلم نفسي للعالم، وأن أعلو عليه مع ذلك، بأن أحقق ذاتي برغمه، وأن أنقذ نفسي فلا أسقط وأفقد ذاتيتي وخصوصيتي وفرديتي. وسيكولوجية ياسبرز تقوم على هذا الإدراك الشعوري للموقف الإنساني. والعلاج الوجودي هو استبصار المريض بدقائق الموقف الوجودي ومساعدته على تحقيق التوازن بين متعارضاته .

من مؤلّفاته: «المقدّمة إلى علم النفس المرضي» (1913)، «سيكولوجيّة الحدس الكوني» (1919)، «الفلسفة» (1932)، «العقل والوجود» (1935)، «الفلسفة الوجوديّة» (1938)، «مسألة إحساس الألمان بالذنب» (1946)، «فكرة الجامعة» (1946)، «كبار الفلاسفة» (1957)، «في أصل التاريخ وهدفه» (1958)»الفلسفة والعالم» (1958)، «القنبلة الذريّة ومستقبل العالم» (1958.(

توفّي كارل ياسبرز ببازل في سويسرا سنة 1969 بعد أن تخلّى عن هويّته الألمانيّة، وأصبح مواطنا سويسريّا.

علم النفس بمفهوم ياسبرز علم وصفي تحليلي، وقال بسيكولوجية متفهمة ترتكز على الفهم، وأدخل الظواهرية في الطب العقلي كرد فعل ضد التيار العضوي الذي كان سائداً في ميدان الطب النفسي وعلم النفس

وجه علم النفس نحو تصور يغلب عليه الطابع النفسي على الطابع الفزيولوجي العصبي، وكان يقول إن الظواهر النفسية لا ينبغي دراستها وتفسيرها موضوعياً كالظواهر الفيزيائية، وإنما دراستها ينبغي أن تكون ذاتية وبطرق تؤدي إلى فهمها

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا
- د. متاس الصوافه – السويد
- د. جوليا سليمان – لبنان
- د. أروى عباس – سوريا
- ا.د. صبا علي –سوريا
- د. أمل مصطفى محمود – مصر

روبرت يركز Robert Yerkes

روبرت يركز (1876– 1956) Robert Yerkes عالم نفس وعالم سلوك حيواني وعالم رئيسيات، اشتهر بأبحاثه في اختبارات الذكاء وعلم النفس المقارن. وكان رائدًا في دراسة ذكاء الإنسان والرئيسيات ، والسلوك الاجتماعي للغوريلا والشمبانزي . وتعاون مع جون د. دودسون John Dillingham Dodson (1879–1955)لتطوير قانون يركيس–دودسون الذي يربط بين الإثارة وأداء المهام. وتكريماً له تم تسمية مركز يركيس الوطني لأبحاث الرئيسيات، الذي أسسه.

وُلد يركيس في 26 مايو 1876 في مزرعة بالقرب من فيلادلفيا، بنسلفانيا. كانت طفولته كأي فتى ريفي عادي، يقضيها في العمل في المزرعة واللعب مع الحيوانات. ورغم ذكرياته الجميلة عن تلك الحياة، لم تكن علاقة يركيس بوالده جيدة، مما دفعه إلى ترك حياة المزرعة ورغبة والده في أن يدرس الزراعة . فاختار بدلاً من ذلك دراسة علم الأحياء والكيمياء.

حصل يركيس على شهادة البكالوريوس من كلية أورسينوس عام 1897. ثم واجه خيارًا بين دراسة الطب في فيلادلفيا أو الدراسات العليا في علم الأحياء وعلم النفس والفلسفة في جامعة هارفارد . وقد حدد هذا القرار مسار حياته المهنية. فاختار هارفارد، وحصل يركيس على درجة الدكتوراه في علم النفس عام 1902.

روبرت يركز Robert Yerkes ((1876- 1956 عالم نفس وعالم سلوك حيواني وعالم رئيسيات، اشتهر بأبحاثه في اختبارات الذكاء وعلم النفس المقارن. وكان رائدًا في دراسة ذكاء الإنسان والرئيسيات ، والسلوك الاجتماعي للغوريلا والشمبانزي

وُلد يركيس في 26 مايو 1876 في مزرعة بالقرب من فيلادلفيا، بنسلفانيا. كانت طفولته كأي فتى ريفي عادي، يقضيها في العمل في المزرعة واللعب مع الحيوانات

عُرض عليه بعد ذلك منصب تدريسي في جامعة هارفارد، بدايةً كمحاضر ثم أستاذ مساعد في علم النفس المقارن. درّس هناك من عام 1902 حتى عام 1917. وكان من بين زملائه في هيئة التدريس بجامعة هارفارد عدد من العلماء البارزين، منهم :ويليام جيمس ، وهيوغو مونستربرغ ، وفرانسيس بيبودي، وجورج سانتايانا ، وديكنسون ميلر، وروبرت ماكدوجال، وإدوين ب. هولت، ورالف بارتون بيري. وكان من بين زملائه أيضاً جون دودسون John Dillingham Dodson (1879–1955)، الذي شارك يركيس في صياغة قانون يركيس– دودسون الشهير. في عام 1905، تزوج يركيس من آدا واترسون، التي أصبحت جزءًا أساسيًا من حياته المهنية، وشاركت معه في العديد من المشاريع البحثية.

قبل الحرب العالمية الأولى ، عمل يركيس عن كثب مع جون بي. واتسون لتطوير نظرية السلوكية . ورغم أن يركيس لم يتبنى قط السلوكية الصارمة التي نادى بها واتسون، إلا أن المراسلات بين عالمي النفس تكشف عن أدلة على تعاون وثيق وتبادل للأفكار.

بعد اندلاع الحرب عام 1914، انضم يركيس إلى الجيش. عمل كباحث لكل من الجيش والبحرية، حيث عمل على اختبارات الذكاء للمجندين، والقيادة العسكرية، والتنظيم.

بعد الحرب، واصل يركيس خدمته العسكرية حتى عُرض عليه منصب أستاذ علم النفس البيولوجي في جامعة ييل ، حيث عمل لمدة عشرين عامًا – من عام 1924 حتى عام 1944. كانت تلك السنوات الأكثر إثمارًا في حياة يركيس، إذ امتلأت بالبحث والتدريس. أسس مختبرات ييل لعلم الأحياء الرئيسيات عام 1929، وشغل منصب مديرها حتى تقاعد عام 1941، لكنه استمر في التدريس في جامعة ييل لعدة سنوات أخرى. وتوفي عام 1956.

لم تكن علاقة يركيس بوالده جيدة، مما دفعه إلى ترك حياة المزرعة ورغبة والده في أن يدرس الزراعة . فاختار بدلاً من ذلك دراسة علم الأحياء والكيمياء

حصل يركيس على شهادة البكالوريوس من كلية أورسينوس عام 1897. ثم واجه خيارًا بين دراسة الطب في فيلادلفيا أو الدراسات العليا في علم الأحياء وعلم النفس والفلسفة في جامعة هارفارد

عُرض عليه بعد ذلك منصب تدريسي في جامعة هارفارد، بدايةً كمحاضر ثم أستاذ مساعد في علم النفس المقارن. درّس هناك من عام 1902 حتى عام 1917

قانون يركيس–دودسون..

استنادًا إلى الأبحاث في علم النفس البيولوجي وعلم الأعصاب، قام يركيس وجون د. دودسون بتطوير قانون يركيس–دودسون (يركيس ودودسون 1908) الذي يربط بين الإثارة والأداء.

ينص القانون على أنه مع ازدياد اليقظة الذهنية ، يتحسن الأداء في المهام تبعًا لذلك، حتى يصل إلى حد معين حيث يؤدي فرط اليقظة إلى انخفاض الأداء. بعبارة أخرى، يمكن رفع مستوى الأداء في مهمة معينة مبدئيًا عن طريق زيادة مستوى اليقظة الذهنية. تتطلب المهام الشيقة والمعقدة مستوى أعلى من اليقظة. وتؤدي زيادة اليقظة إلى زيادة الانتباه ، مما ينتج عنه أداء أفضل في المهمة.

مع ذلك، يُؤدي فرط الاستثارة إلى مستويات عالية من التوتر، مما يُؤثر سلبًا على الأداء. وبالتالي، فإنّ فرط الاستثارة يُقلل من مستوى الأداء، مما يُشير إلى وجود مستوى أمثل للاستثارة. يُمكن وصف هذه الظاهرة بيانيًا بمنحنى على شكل حرف U مقلوب، حيث يزداد الأداء ثم ينخفض مع ارتفاع مستويات الاستثارة.

وقد تبين أيضاً أن لكل مهمة مستوى مثالي مختلف من الإثارة. فعلى سبيل المثال، قد تتطلب المهام الصعبة أو التي تتطلب جهداً فكرياً كبيراً مستوى أقل من الإثارة لتحقيق الأداء الأمثل، وذلك لتسهيل التركيز، بينما قد تُؤدى المهام التي تتطلب قدرة على التحمل أو المثابرة بشكل أفضل مع مستويات أعلى من الإثارة، مما يزيد من الدافعية.

أدى تأثير صعوبة المهام إلى فرضية مفادها أن قانون يركيس–دودسون يمكن تقسيمه إلى عاملين متميزين: يمكن اعتبار الجزء الصاعد من المنحنى على شكل حرف U مقلوب بمثابة التأثير المنشط للإثارة. أما الجزء الهابط، من ناحية أخرى، فينتج عن الآثار السلبية للإثارة (أو الإجهاد) على العمليات المعرفية، مثل الانتباه والذاكرة وحل المشكلات.

في عام 1905، تزوج يركيس من آدا واترسون، التي أصبحت جزءًا أساسيًا من حياته المهنية، وشاركته معه في العديد من المشاريع البحثية.

أسس مختبرات بيل لعلم الأحياء الرئيسيات عام 1929، وشغل منصب مديرها حتى تقاعد عام 1941، لكنه استمر في التدريس في جامعة ييل لعدة سنوات أخرى. وتوفي عام 1956.

استنادًا إلى الأبحاث في علم النفس البيولوجي وعلم الأعصاب، قام يركيس وجون د. دودسون بتطوير قانون يركيس–دودسون (يركيس ودودسون 1908) الذي يربط بين الإثارة والأداء

اختبار الذكاء

في عام 1915، ساهم يركيس في ابتكار مقياس يركيس–بريدجز للذكاء. وفي عام 1917، شغل منصب رئيس الجمعية الأمريكية لعلم النفس، التي أطلقت تحت قيادته عدة برامج لدعم المجهود الحربي في الحرب العالمية الأولى . وبصفته رئيسًا للجنة الفحص النفسي للمجندين، طور يركيس اختبارات ألفا وبيتا للذكاء التابعة للجيش، والتي خضع لها أكثر من مليون جندي أمريكي خلال الحرب.

أظهرت نتائج الاختبارات أن المهاجرين الجدد (وخاصةً القادمين من جنوب وشرق أوروبا) حصلوا على درجات أقل بكثير من موجات الهجرة السابقة (من شمال أوروبا)، واستُخدم ذلك كأحد المبررات العنصرية لفرض قيود صارمة على الهجرة. لاحقًا، وُجهت انتقادات لهذه النتائج باعتبارها تقيس التكيف الثقافي فقط ، نظرًا لارتباط درجات الاختبار ارتباطًا وثيقًا بعدد سنوات الإقامة في الولايات المتحدة.

بعد الحرب العالمية الأولى، عمل يركيس كموظف بأجر في المجلس الوطني للبحوث، وتولى رئاسة لجنة المجلس المعنية بأبحاث مشاكل الجنس. ساعدت هذه اللجنة يركيس على بناء علاقات وثيقة مع مسؤولين من مؤسسات روكفلر الخيرية، وهي علاقات مكّنته لاحقاً من جمع تمويل كبير لأبحاثه حول الشمبانزي.

علم الرئيسيات..

كان لدى يركيس شغفٌ طويلٌ ومتشعبٌ بدراسة الشمبانزي . فقد أمضى بعض الوقت في مراقبة الشمبانزي في كوبا ، في مستعمرة مدام أبرو، في أوائل عشرينيات القرن الماضي، وعاد من رحلته عازماً على تربية الشمبانزي ومراقبتها بنفسه. بدأ بشراء اثنين من الشمبانزي، تشيم وبانزي، من حديقة حيوانات. أحضر الشمبانزيين إلى منزله، حيث عاشا في غرفة نوم واحدة،

ينص القانون على أنه مع ازدياد اليقظة الذهنية ، يتحسن الأداء في المهام تبعًا لذلك، حتى يصل إلى حد معين حيث يؤدي فرط اليقظة إلى انخفاض الأداء.

إنّ فرط الاستثارة يُقلل من مستوى الأداء، مما يُشير إلى وجود مستوى أمثل للاستثارة.

قد تبين أيضاً أن لكل مهمة مستوى مثالي مختلف من الإثارة. فعلى سبيل المثال، قد تتطلب المهام الصعبة أو التي تتطلب جهداً فكرياً كبيراً مستوى أقل من الإثارة لتحقيق الأداء الأمثل

وتناولا الطعام بالشوكة على طاولة صغيرة. كان تشيم مصدر سعادة خاصة ليركيس، وقد خُلّد الصيف الذي قضياه معاً في كتابه " شبه إنسان" (1924).

في عام 1924، عُيّن يركيس أستاذًا لعلم الأحياء النفسي، وهو مجالٌ كان رائدًا فيه، في جامعة ييل . أسس مختبرات جامعة ييل لعلم أحياء الرئيسيات في نيو هيفن، ثم أنشأ محطة تربية وتجارب القردة العليا في أورانج بارك، فلوريدا، بتمويل من مؤسسة روكفلر. بعد وفاة يركيس، نُقل المختبر إلى جامعة إيموري في أتلانتا، جورجيا ، وأُعيد تسميته إلى مركز يركيس الوطني لأبحاث الرئيسيات. وهناك طُوّرت لغة القردة العليا، المعروفة باسم "اليركية."

عُيّن "خبيرًا في تحسين النسل" لدى لجنة الهجرة والتجنيس في مجلس النواب، حيث ساهم عمله في وضع صيغة الأصول القومية التمييزية . وفي مقدمته لكتاب كارل سي. بريغهام " دراسة عن الذكاء الأمريكي" (الذي ساهم في نشر أفكار تحسين النسل في الولايات المتحدة)، صرّح يركيس قائلاً: "لا يمكن لأحد منا كمواطن أن يتجاهل خطر تدهور العرق."

لا يزال روبرت يركيس معروفًا بأبحاثه في علم النفس المقارن مع القردة العليا. وقد شكّلت مؤلفاته "القردة العليا" (1929) و "الشمبانزي" (1943) مراجع أساسية في دراسة هذه الحيوانات لعقود. أسس يركيس أول مختبر لأبحاث الرئيسيات في الولايات المتحدة ، وشغل منصب مديره من عام 1929 حتى عام 1941، وأُعيد تسميته إلى "مركز يركيس الوطني لأبحاث الرئيسيات" تكريمًا له بعد تقاعده.

مع ذلك، استخدم في أعماله السابقة الفئران والجرذان، وقد رسّخ كتابه "الفأر الراقص" (1907) استخدامها كحيوانات تجارب قياسية في علم النفس . كما أثبت بحثه مع جون د. دودسون العلاقة بين الاستثارة المعرفية وأداء المهام، وهو ما يُعرف بقانون يركيس–دودسون.

يمكن اعتبار الجزء الصاعد من المنحنى على شكل حرف U مقلوب بمثابة التأثير المنشط للإثارة. أما الجزء الهابط، من ناحية أخرى، فينتج عن الآثار السلبية للإثارة (أو الإجهاد) على العمليات المعرفية، مثل الانتباه والذاكرة وحل المشكلات

بصفته رئيسًا للجنة الفحص النفسي للمجندين، طور يركيس اختبارات ألفا وبيتا للذكاء التابعة للجيش، والتي خضع لها أكثر من مليون جندي أمريكي خلال الحرب

عُيّن "خبيرًا في تحسين النسل" لدى لجنة الهجرة والتجنيس في مجلس النواب، حيث ساهم عمله في وضع صيغة الأصول القومية التمييزية

أسهمت أعمال يركيس في مجال الاختبارات النفسية في تطوير اختبارات الاختيار من متعدد واختبارات الذكاء ، لا سيما للاستخدام في المجال العسكري. ومع ذلك، كان استخدامه لمبادئ تحسين النسل في تفسير بياناته خاطئًا.

وهكذا، فبينما كان بحثه وفهمه للرئيسيات غير البشرية مثاليين، إلا أن تجربته في الاختلافات بين الأنواع طُبقت بشكل غير مناسب على مجموعات مختلفة من البشر. لم يقبل يركيس النظرة الضيقة للسلوكية التي تبناها زميله جون بي. واتسون ، ومع ذلك لم يُدرك الاختلافات الجوهرية بين البشر والكائنات الأخرى.

ملخص..

من أشهر علماء علم النفس الحيواني في الولايات المتحدة، وقيل هو رائد هذا العلم، وكان هو نفسه يحب أن يصف نفسه بأنه عالم أحياء نفسي Psychobiologist، وجاءه هذا الحب للأحياء النفسية نتيجة نشأته من طفولته في مزرعة أبيه، وكان شديد الاحتفال بالنباتات والحيوانات، وجاهد ليتعلم، ودخل هارفارد، ودرس علم الحيوان وعلم النفس، وحصل على الدكتوراه في علم النفس، وعيّن بها لتدريس علم النفس الحيواني، إلا أنه كان يتمنى أن يُنشئ معملاً للتجريب النفسي على الرئيسات، ولو حدث ذلك فسيكون أول معمل من نوعه في أميركا، ولهذا السبب تنقل بين مختلف الجامعات والمؤسسات لعله يحقق حلمه. ونشر كتيباً يعرض فيه مشروعه، وجرب على كل الحيوانات تقريباً، بدءاً من القشريات والسرطانات والديدان والضفادع والسلاحف والفئران، وانتهاءً بالقردة بأنواعها كالشمبانزي والغوريلا، وكان خبيراً غير منازع في علم النفس البيولوجي لمقارن، وعمل مع واطسون مؤسس السلوكية في دراسة الإبصار عند الحيوانات، وشارك غيلبرت هاملتون في تطوير اختبارات الاختيار بين متعدد، وأصدر مع دودسن القانون

أسس يركيس أول مختبر لأبحاث الرئيسيات في الولايات المتحدة ، وشغل منصب مديره من عام 1929 حتى عام 1941. وأُعيد تسميته إلى "مركز يركيس الوطني لأبحاث الرئيسيات" تكريمًا له بعد تقاعده.

من أشهر علماء علم النفس الحيواني في الولايات المتحدة، وقيل هو رائد هذا العلم، وكان هو نفسه يحب أن يصف نفسه بأنه عالم أحياء نفسي Psychobiologist

جاهد ليتعلم، ودخل هارفارد، ودرس علم الحيوان وعلم النفس، وحصل على الدكتوراه في علم النفس، وعيّن بها لتدريس علم النفس الحيواني

المعروف باسم قانون يركز دودسن الخاص بالتعلم والدافعية، ومؤداه أنه كلما كان التعلم صعباً كلما قلت الدافعية للتدريب عليه .

كما كان روبرت يركيس شخصية محورية في تأسيس حركة اختبارات الذكاء في الولايات المتحدة. فقد أسس، مع آخرين، برنامج اختبارات ألفا وبيتا التابع للجيش لقياس ذكاء الجنود خلال الحرب العالمية الأولى. واعتُبر هذا العمل لحظةً فارقةً في تاريخ علم النفس. أولًا، زوّد علماء القياس النفسي بأول اختبارات ذكاء جماعية. ثانيًا، ساهم في نشر اختبارات الذكاء على نطاق واسع في القطاعين العام والخاص. ثالثًا، وفّر البرنامج كميات هائلة من البيانات التي شكّلت مادةً دسمةً للجدل في المستقبل حول الفروقات العرقية الظاهرة في نتائج اختبارات الذكاء، وما يُفترض أنه تراجع في "الذكاء الوطني" الأمريكي.

فور دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى، حثّ يركيس الجمعية الأمريكية لعلم النفس على تقديم خبراتها النفسية لدعم المجهود الحربي. استجابت الجمعية بتشكيل اثنتي عشرة لجنة. ترأس يركيس كلاً من لجنة علم النفس التابعة للمجلس الوطني للبحوث ولجنة الفحص النفسي للمجندين. كُلّفت اللجنة الثانية بتطوير اختبار ذكاء جماعي لتحديد المجندين ذوي الذكاء المنخفض، مما يسمح للجيش بالتعرف على الرجال المؤهلين بشكل خاص للمهام الخاصة ومدارس تدريب الضباط.

اجتمعت اللجنة لأول مرة في مايو 1917. وكان من بين أعضائها هنري غودارد ولويس تيرمان. وبحلول منتصف يوليو، كانوا قد وضعوا خمسة نماذج بديلة للاختبار اللفظي، الذي عُرف باسم اختبار الجيش ألفا، وصمموا اختبار الجيش بيتا، وهو اختبار غير لفظي للمجندين الأميين وغير الناطقين باللغة الإنجليزية. نُشرت النسخ النهائية من اختباري الجيش ألفا وبيتا في يناير 1919، وبحلول نهاية الحرب، كان قد تم تطبيقهما على ما يقرب من مليوني رجل.

كان خبيراً غير منازع في علم النفس البيولوجي المقارن، وعمل مع واطسون مؤسس السلوكية في دراسة الإبصار عند الحيوانات

كما كان روبرت يركيس شخصية محورية في تأسيس حركة اختبارات الذكاء في الولايات المتحدة. فقد أسس، مع آخرين، برنامج اختبارات ألفا وبيتا التابع للجيش لقياس ذكاء الجنود خلال الحرب العالمية الأولى

فور دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى، حثّ يركيس الجمعية الأمريكية لعلم النفس على تقديم خبراتها النفسية لدعم المجهود الحربي

شكّل إطلاق برنامج اختبارات ألفا وبيتا التابع للجيش الأمريكي لحظةً محوريةً في تاريخ علم النفس. أولًا، زوّد البرنامج علماء القياس النفسي بأول اختبارات ذكاء جماعية. ثانيًا، ساهمت الدعاية التي حظي بها في نشر اختبارات الذكاء في القطاعين العام والخاص. ثالثًا، وفّر البرنامج كميات هائلة من البيانات التي ستُستخدم لاحقًا في إثارة جدل حول الفروقات العرقية الظاهرة في نتائج اختبارات الذكاء، وما يُفترض أنه تراجع في "الذكاء الوطني" الأمريكي.

وطور مع جيمس بريدجز مقياس الذكاء المعروف باسم مقياس يركز بريدجز المنقط، وهو عبارة عن عشرين اختباراً انتقاها من اختبارات بينيه للذكاء وعدل فيها لتناسب الأميركيين، واستبدل شهور العمر العقلي بنظام النقط المتدرجة. واستطاع خلال الحرب العالمية الأولى أن يطور مع القسم الطبي بالجيش اختبار الذكاء الجماعي ألفا، ودرب الكثيرين على استخدامه، وطبقه على أكثر من مليون ونصف مليون جندي، وخدم علم النفس خدمات جلّى، وجعل له أقساماً ضمن المجلس القومي للبحوث وأكاديمية العلوم، واستطاع أن يضم جميع المؤسسات العاملة بعلوم النفس في أميركا في رابطة واحدة، هي الرابطة النفسية الأميركية، وانتخب رئيساً لها.

وأخيراً تحقق حلمه وتوجت جهوده بالنجاح وأنشأ معامل جامعة ييل لبيولوجيا الرئيسيات سنة 1930 بتمويل من مؤسسة روكفلر، وخلال عمله بها صدر عن هذه المعامل 214 بحثاً .

إلى جانب إدوارد إل. ثورندايك ، كان يركيس عضوًا ورئيسًا للجنة المعنية بتوريث الصفات العقلية، وهي جزء من مكتب سجلات تحسين النسل ، الذي أسسه تشارلز بنديكت دافنبورت ، وهو مدرس سابق ليركيس في جامعة هارفارد.

شكّل إطلاق برنامج اختبارات ألفا وبيتا التابع للجيش الأمريكي لحظةً محوريةً في تاريخ علم النفس

استطاع خلال الحرب العالمية الأولى أن يطور مع القسم الطبي بالجيش اختبار الذكاء الجماعي ألفا، ودرب الكثيرين على استخدامه، وطبقه على أكثر من مليون ونصف مليون جندي

أخيراً تحقق حلمه وتوجت جهوده بالنجاح وأنشأ معامل جامعة ييل لبيولوجيا الرئيسيات سنة 1930 بتمويل من مؤسسة روكفلر، وخلال عمله بها صدر عن هذه المعامل 214 بحثاً.

من أهم مؤلفاته ا كتابه "مقدمة في علم النفس" (1911)، و "اختبارات الجيش العقلية" (1920) بالاشتراك مع آخرين، والاختيارات النفسية في الجيش الأميركي" (1921)، و "ذكاء الشمبانزي وتعبيراته الصوتية" (1925)، و "عقلية الغوريلا" (1927)، و "القردة شبيهة الإنسان" (1929)، و "الشمبانزي: المستعمرة كمعمل" (1943)، وكل هذه الكتب والبحوث والدراسات والنشاط في مجال خدمة علم النفس، هي التي جعلت من هذا العالم أسطورة علمية جديرة بالاحترام حتى بعد وفاته .

من أهم مؤلفاته ا كتابه "مقدمة في علم النفس" (1911)، و "اختبارات الجيش العقلية" (1920) بالاشتراك مع آخرين، والاختيارات النفسية في الجيش الأميركي" (1921)، و "ذكاء الشمبانزي وتعبيراته الصوتية" (1925)، و "عقلية الغوريلا" (1927)

كل هذه الكتب والبحوث والدراسات والنشاط في مجال خدمة علم النفس، هي التي جعلت من هذا العالم أسطورة علمية جديرة بالاحترام حتى بعد وفاته

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا
- د. متاس الصوافه – السويد
- د. جوليا سليمان – لبنان
- د. أروى عباس – سوريا
- ا.د. صبا علي –سوريا
- د. أمل مصطفى محمود – مصر

Carl Gustav Jung كارل غوستافه يونغ

الجـــزء (1)

كارل غوستاف يونغ Carl Gustav Jung ينظر اليه كأحد أكبر علماء حركة التحليل النفسي، ويعتبر هو وآدلر وفرويد الأعمدة الثلاثة الرئيسية في الحركة، وكان فرويد يريده خليفة له على تلك الحركة، وساعده على أن يرأسها لدى تكوين الاتحاد الدولي للتحليل النفسي عام 1910، إلا أن يونغ، رفض أن يشايع فرويد على نظريته التي يطبعها القول بالجنسية، ومن ثم فقد تنافرا بسرعة (1913) كما سبق أن تجاذبا بسرعة (1906)، وخرج يونغ بنظريته الخاصة التي يذهب فيها مذهباً يساير فرويد لبعض الطريق ولكنه يخالفه في معظم الأحيان .

كارل يونغ هو عالمٌ من سويسرا مختصٌّ في علم النفس والطب النفسي، امتدت أبحاثه لتضم الكثير من المجالات كاللاهوت والفلسفة والخيمياء، له العديد من المنشورات والدراسات القائمة على تجاربه وملاحظاته التي أسّس من خلالها علم النفس التحليلي. يعتبر يونغ شخصيةً أساسية في الفكر الغربي المعاصر، جمعته صداقةٌ قوية مع سيغموند فرويد تحولت إلى صدامٍ شخصي وعلمي طويل الأزل استمر حتى بعد وفاتهما بين أتباعهما.

ولد كارل غوستاف يونغ في كِسفِل في سويسرا المطلّة على بحيرة كونستانزا، بتاريخ 26- تموز- 1875، سمّي باسم جده لأبيه الذي نزح من ألمانيا وكان طبيبًا مختصًا بالجراحة العامة، أما والده فهو القسيس يوهان بول أخيلِس يونغ.

كارل غوستافه يونغ Carl Gustav Jung ينظر اليه كأحد أكبر علماء حركة التحليل النفسي، ويعتبر هو وآدلر وفرويد الأعمدة الثلاثة الرئيسية في الحركة

كارل يونغ هو عالمٌ من سويسرا مختصٌّ في علم النفس والطب النفسي، امتدت أبحاثه لتضم الكثير من المجالات كاللاهوت والفلسفة والخيمياء، له العديد من المنشورات والدراسات القائمة على تجاربه وملاحظاته التي أسّس من خلالها علم النفس التحليلي

تربى وحيدًا دون أخوةٍ أو أخوات فكان عليه الارتجال واللعب بمفرده، واتّصف بكونه شديد الحساسية والانعزال، انتقل مع أسرته في عامه الرابع إلى مدينة بازل ليبدأ تعليمه المدرسي، وكانت العلوم من جيولوجيا وعلم حيوان وغيرها محطّ اهتمامه إلى جانب العقائد الدينية والحضارات الإنسانية. لقّنه والده اللاتينية أما والدته فقرأت له الكتب المصورة عن الأديان غير المسيحية؛ دوّن عن ذلك في كتابٍ نشره في أواخر حياته ذكر فيه أنّه كان دومًا يعود إليه ليمتع نظره بصورة آلهة الهندوس، إضافةً لقوله أن حياته الفكرية بدأت في سن الثالثة من خلال كابوسٍ راوده وحاول تفسيره. ميوله للتأمّل والتفكير بدت واضحة في اهتماماته وملاحظاته منذ الصغر، مستنتجًا أن الحكايات الفولكلورية؛ بل حتى الدينية متشابهة بعض الشيء في مختلف الأماكن لمجرد وقوع كتابٍ عن الظاهرات الروحية بين يديه في المدرسة وهو استنتاج قد لا يصل إليه معظم من في سنه، وبدأ يقرأ بنهمٍ الكتب ذات الطابع الفلسفي والديني وغيرها، فنشأ لديه اهتمام كبير بعلم اللاهوت؛ لكن ليس بنفس نظرة والده القسيس لهذا العلم، وشغفًا بعلم الآثار أيضًا كان على وشك دراسته جامعيًا إلا أنه قرر الالتحاق بكلية الطب والحراجة في جامعة بازل السويسرية بعد حصوله على منحةٍ دراسية. أثناء دراسته الطبية لم يتوقف عن القراءة لكانت ونيتشه وغوته وهارتمن وشوبنهاور وغيرهم، لكنه لم يجد من رفاقه أحدًا يشاركه اهتمامه أو حتى أحاديثه ذات الميول الفلسفية، فقرر تغيير اختصاصه واتّجه لدراسة الطب النفسي، بعد أن أمضى فيه عامان يحضر جلسات استحضار الأرواح لشدّة ما كانت الظواهر الغريبة تستحوذ اهتمامه، فتكونت لديه شخصيتين؛ الأولى متيقظة على الأمور الحياتية والثانية تؤمن بالخرافات والخوارق وبأنّه على صلةٍ بالعالم الآخر، متخذًا قرار التغيير عندما كان يُحضّر لامتحانات كلية الطب؛ واطّلاعه على مقرر الطب النفسي لمؤلفه "كرافت إبنغ" بعد أن أنهى بقية المقررات، فأثار

يعتبر يونغ شخصيةً أساسية في الفكر الغربي المعاصر، جمعته صداقةٌ قوية مع سيغموند فرويد تحولت إلى صداعٍ شخصي وعلمي طويل الأزل استمر حتى بعد وفاتهما بين أتباعهما.

ولد كارل غوستافه يونغ في كِسفِل في سويسرا المطلّة على بحيرة كونستانزا، بتاريخ 26- تموز- 1875، سمّي باسم جده لأبيه الذي نزح من ألمانيا وكان طبيبًا مختصًا بالجراحة العامة، أما والده فهو القسيس يوهان بول أخيلس يونغ

تربى وحيدًا دون أخوةٍ أو أخوات فكان عليه الارتجال واللعب بمفرده، واتّصف بكونه شديد الحساسية والانعزال

كتاب الطب النفسي الذي نُظر إليه آنذاك بازدراء- حماسته الشديدة، ووَجد من خلاله أن الطب النفسي هو الميدان التجريبي الذي تجتمع عنده الحوادث الروحية والبيولوجية، مُتيقنًا أنه الطريق الوحيد الممكن بالنسبة إليه.

ارتبط يونغ عام 1903 من "إيمّا راوشنباخ" التي كانت ثاني أغنى وريثة سويسرية حينها، إلى جانب كونها مؤلفة، حررت وحلّلت أعماله كما قدمت له العون المادي والتمويل الذي احتاجه لتأسيس علم النفس التحليلي وليصبح طبيبًا نفسيًا بارزًا، لهما خمسة أطفال: أربعة بنات وابن وحيد. تخلل زواجهما التقلبات المزاجية التي مرّ بها يونغ إضافةً لخياناته الزوجية المتكررة جدا واشهر خياناته مع المريضة ذات 17 عام سابينا سبيلراين (1885-1942) وهي الروسية التي غدت عالمة تحليل نفسي (التي شاهم في تدمير حياتها وسرق هو وفرويد الكثير من افكارها واعمالها دون ذكر اسمها في أي مكان حتى في مذكرات وسير كل منهما) ومع المتدربة الشابة "أنطونيا وولف" التي حاولت بدورها إقناعه بطلاق زوجته وفشلت بذلك، لكن صلابة علاقتهما الزوجية جعلتهما يتخطيان جميع العقبات، وبقيا معاً حتى وفاة إيما بسبب السرطان عام 1955.

جمعته بفرويد صداقة قوية للغاية انتهت بالقطيعة لاسباب متعددة منها "اللاوعي". كانت وفاة زوجته إيما ضربةً موجعةً لكارل الذي وتكريمًا لها نحت باسمها حجرًا في "برجه" كتب عليه "لقد كانت أساس منزلي، لقد كانت ملكة، ملكة". تخللت حياته ما عُرف بكونها أغرب صداقةٍ في التاريخ، وكانت مع "سيغموند فرويد" لكنها تحولت إلى صدامٍ رفضَ فيه كل منهما أفكار الآخر، كما تبادلا الاتهامات والانتقادات، وكل منهما لديه ممسكا مشينا على الاخر.. واستمر هذا الخلاف حتى بعد موتهماا بين أتباع كل منهما .

مات يونغ عن سن ناهز 85 عاما، بعد معاناته لفترة قصيرةٍ مع المرض بتاريخ 6 يونيو 1961، كان قد تعرض قبلها لنوبة قلبية عام 1946، شُخص بعدها بمشاكل في الدورة الدموية، ودفن في زيورخ بسويسرا.

أثناء دراسته الطبية لم يتوقف عن القراءة لكانت ونيتشه وغوته وهارتمن وشوبنهاور وغيرهم، لكنه لم يجد من رفاقه أحدًا يشاركه اهتمامه أو حتى أحاديثه ذات الميول الفلسفية

ارتبط يونغ عام 1903 من "إيمّا راوشنباخ" التي كانت ثاني أغنى وريثة سويسرية حينها، إلى جانب كونها مؤلفة، حررت وحلّلت أعماله كما قدمت له العون المادي والتمويل الذي احتاجه لتأسيس علم النفس التحليلي وليصبح طبيبًا نفسيًا بارزًا

عام 1900 شرع بسنّ الخامسة والعشرين مزاولة مهنته كطبيبٍ مساعدٍ أول في مستشفى بُرغُلزلي للطب النفسي الملحقة بجامعة زيورخ السويسرية تحت إدارة الطبيب النفسي "اوغن بلولر" الذي يعد أول من وصّف مرض الفصام، فساهم بتطوير يونغ في مجال عمله بشكل كبير حتى صار كبير الأطباء خلال عامٍ واحد ومحاضرًا في كلية الطب بجامعة زيورخ، وبإشراف بلولر أكمل أطروحته التي حملت عنوان "سايكوباثولوجيا الظاهرات الغيبية" وهي تحليل عن مغامراته في عالم الغيب وملاحظاته عن جلسات استحضار الأرواح التي حضرها لمدة عامين؛ إضافةً لمراجعاته الخاصة عن دراسات سابقة لحالات فقدان الذاكرة والصرع الهستيري وغيرها، كوّن من خلال هذه الأطروحة مجموعة مواضيع ثابتة في جميع أعماله اللاحقة منها: وجوب وجود غاية للاضطرابات النفسية، وأن اللاوعي ليس مجرد حامل للذكريات الغائبة، أما الفكرة الأبرز فهي أن للنفس الإنسانية قوة موروثة من أزمنة أخرى.

ذهب إلى فرنسا؛ عام 1902 ليتدرب لدى عالم النفس الفرنسي الرائد "بيير ماري فيليكس جانيت" لفترة من الزمن أصبح خلالها طبيبًا رئيسيًا في بُرغُلزلي، ثم معاونًا لبلولر عام 1903، وأسّس معه عيادةً تجريبية ل"علم النفس المرضي" تعتمد على الأبحاث التي قام بها في فرنسا وفق منهج بحثٍ جديد عرف باسم "اختبارات التداعي" قام من خلالها بدراسة "ردود الفعل" النفسية بالاعتماد على الشدة العاطفية وقوتها. اكتسب شهرته الفعلية بين أوساط الطب النفسي في أوروبا والعالم بفضل مقالاته التي تناولت إلى جانب "الفصام" مواضيع عدّة لكن الحدث الأبرز في مسيرته وقتها كان المعجزة الصغيرة التي حدثت أثناء إحدى محاضراته حيث استقدم فيها امرأة في منتصف العمر تعاني من شلل في قدمها اليسرى منذ 17 عامًا، ثم نوّمها مغناطيسيًا لتبدأ بسرد قصتها أمام عشرين طالبًا، واستفاقت مستعيدةً قدرتها

تخلل زواجهما التقلبات المزاجية التي مرّ بها يونغ إضافةً لخياناته الزوجية المتكررة جدا واشهر خياناته مع المريضة ذات 17 عام سابينا سبيلراين (1885-1942) وهي الروسية التي غدت عالمة تحليل نفسي

جمعته بفرويد صداقة قوية للغاية انتهت بالقطيعة لاسباب متعددة منها "اللاوعي". كانت وفاة زوجته إيما ضربةً موجعةً لكارل الذي وتكريمًا لها نحت باسمها حجرًا في "برجه" كتب عليه "لقد كانت أساس منزلي، لقد كانت ملكة، ملكة

على المشي بعد عدة محاولات إيقاظ فاشلة أثارت الرعب لدى يونغ الذي صرّح بعد هذه الحادثة بأن للتنويم المغناطيسي قدرات هائلة دون امتلاكه أدنى فكرة عمّا فعله لتوّه.

أرسل عام 1906 مجموعة أبحاث بعنوان "دراسات في تداعي الكلمات" الى"سيغموند فرويد"، شارك فيها ملاحظاته عن كتاب الأخير المسمّى "تأويل الأحلام"، وقدّم فيها تفسيرًا لمشكلة "الكبت" التي لاحظها بنفسه في "اختبارات التداعي" دون التسليم بأن الكبت هو رضٌّ جنسي كما اعتبره فرويد الذي ردّ عليها باستجابةٍ اتسمت باللطف، التقى بعدها الاثنان في فيينا عام 1907 في لقاء دام ثلاثة عشرة ساعة متواصلةً من الحوار دون انقطاع. أرسل يونغ في العام التالي لفرويد مقالته؛ حول "سيكولوجيا العته المبكر"، والتي نالت إلى جانب استحسان الأخير دعوةً منه برفقة زوجته، وبالفعل سافر الزوجان إلى فيينا لمقابلة فرويد، أثناء إقامته في فيينا لبضعة أيام تردّد على عيادة فرويد عدّة مرات تعرّف خلال أحد زياراته على شقيقة زوجة فرويد الصغرى، والتي كانت على قدر كبير من الجمال والدهاء، اعترفت له في هذا اللقاء عن علاقتها الحميمة بفرويد وشغفه بها ..

رجع في عام 1908 إلى فيينا للمشاركة في أعمال المؤتمر الأول للتحليل النفسي، هناك التقى بصحبةٍ متميزة من علماء وأطباء النفس الذين قدّر لهم خلال الأعوام التالية أن يعرّفوا العالم على حركة التحليل النفسي، كما وجد نفسه في العام التالي في هذه المناسبة أيضًا، أوكل فيها له فرويد منصب "وليّ عهده" في مدرسة التحليل النفسي، وهي خطوة تلتها النكسة الثانية في علاقتهما حين أجاب فرويد أنّ الاستشراف لغوٌ لا معنى له ليونغ الذي أراد معرفة رأيه بهذا الموضوع، فشكلت إجابته شرخًا بين الرابط الفكري الذي جمع بينهما، وبيّنت عمق الاختلافات النظرية في منهج التحليل النفسي بين كلٍّ منهما. سافر مع فرويد إلى الولايات المتحدة الأمريكية خريف عام 1908

مات يونغ عن سن ناهز 85 عاما، بعد معاناته لفترة قصيرةٍ مع المرض بتاريخ 6 يونيو 1961، كان قد تعرض قبلها لنوبة قلبية عام 1946، شُخص بعدها بمشاكل في الدورة الدموية، ودفن في زيورخ بسويسرا

بإشراف بلولر أكمل أطروحته التي حملت عنوان "سايكوباثولوجيا الظاهرات الغيبية" وهي تحليل عن مغامراته في عالم الغيب وملاحظاته عن جلسات استحضار الأرواح التي حضرها لمدة عامين

لكي يتسلم الاثنان درجة الدكتوراه الشرفيّة من جامعة كلارك بولاية ماساتشوستس، كان يقرأ أثناء الرحلة عن جثث مستنقع الخثّ لكن وخلال حديثه بحماسةٍ عن الموضوع أثار حفيظة فرويد الذي أغمي عليه متهمًا يونغ بأنه يرغب بموته، ثم عاد إلى أمريكا في 1910 ليتسلم درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة فوردهام بنيويورك.خلال أعمال المؤتمر الثاني للتحليل النفسي عام 1910، عندما عيّنه فرويد وليًا لعهده؛ أصّر أيضًا على رغبته التمسك بالنظرية الجنسية التي كانت بالنسبة ليونغ مجرد نظرية "غيبية"، أي فرضية لم يقم عليها الدليل مثلها كمثل غيرها من فرضيات النظر العقلي، وبدا خلافهما واضحًا أمام الجميع ومع ذلك صمّما على العمل معًا حتى انعقاد المؤتمر الثالث للتحليل النفسي عام 1912، وفيه فُتح نقاشٌ حول العقدة الأبوية أثار حفيظة يونغ الذي أودت آرائه لسقوط فوريد مغشيًا عليه للمرة الثانية وتوسع رقعة الاختلافات بينهما.

اتّجه عام 1909 لكتابة عمله الذي حسم علاقته مع فرويد وكان بعنوان "رموز التحول"، حينها كان قد بدأ دراسة "علم الأساطير"، وشملت دراسته كتاب "فريدريك كرويتسر" عن "الرمز والأسطورة عند الأقوام القديمة" الذي أثرت محتوياته على كافة المستويات النفسية لديه، معتبرًا هذه الدراسة الجديدة متنفّسًا من النظرة الضيقة والجو القابض للسيكولوجيا الفرويدية، وكان يكتب بسرعةٍ كبيرةٍ رغم الضغوط المهنية، ساعده على ذلك انهيال المراجع المختلفة عليه من: مصرية، وبابلية، وجرمانية، وهندوسية، وكلاسيكية وغيرها، تغيرت على إثرها وجهة نظره كليًا بخصوص تحليل الرموز النفسية والتي كانت مغايرةً تمامًا للممارسة الفرويدية، كما تولّدت لديه قناعة بأن القوى الخارقة للطبيعة متأصلةٌ بعمقٍ في اللاوعي الجماعي الذي يحوي بدوره الحكمة التي توجه الصفات البشرية. حدّد من خلال كتابه "رموز التحول" الصفة المميزة لعلم النفسي اليونغي (نسبةً لاسمه) وهي الانتقال من تفسير رمزية النفس من

ذهب إلى فرنسا؛ عام 1902 ليتدرب لدى عالم النفس الفرنسي الرائد "بيير ماري فيليكس جانيت" لفترة من الزمن أصبح خلالها طبيبًا رئيسيًا في بُرغُلزلي، ثم معاونًا لبلولر عام 1903، وأسّس معه عيادةً تجريبية لـ"علم النفس المرضي

اكتسب شهرته الفعلية بين أوساط الطب النفسي في أوروبا والعالم بفضل مقالاته التي تناولت إلى جانب "الفصام" مواضيع عدّة

خلال التوجه الذاتي والشخصي البيوغرافي إلى توجّه ميثولوجي، ثقافي- تاريخي، مشددًا على أهمية الأحلام في التشخيص النفسي باعتبارها موجهًا تصحيحيًا ومستقبليًا -إذا ما قُرأت جيدًا- لمفاتيح الوظائف والنماذج البدائية - إحدى مفاهيمه الأساسية- والتي عرّفها بأنها قواعد الأسطورة الشاملة للأمور المشتركة بين أفراد الجنس البشري، مقسمًا اللاشعور إلى قسمين: لاشعور فردي يعتمد على خبرة الفرد الكلية، ولا شعور جمعي وهو مخزون خبرة العرق البشري ككل.

وصل ذروة نضجه الفكري في الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، نشر بدايتها كتاب "علم النفس اللاواعي" في 1913 والتي عرضَ فيها الاختلافات بينه وبين فرويد عبر التبادلات البريدية التي تمت بينهما ثم افترق بشكل شخصي ومهني نهائيًا عنه من خلال رسالة "القطيعة" التي أرسلها له، تلتها اجباره على الاستقاله من عيادة بُرغُلزلي بسبب علاقته المخزية بسابينا سبيلراين، بعد أن خاض تجربةً مريرة في "مواجهة اللاوعي" عام 1913 حيث كان يرى ويسمع أصواتًا غير موجودة، فانتابه القلق من احتمال إصابته بالفصامٍ ، وبدأ بكتابة كل ما كان يراه ويسمعه في مذكرةٍ ذات غلاف أحمر سمّي ب "الكتاب الأحمر" الذي استمر بالعمل عليه بشكلٍ متقطعٍ لمدة 16عامًا، واحتفظت به عائلته بعد وفاته في إحدى المصارف السويسرية إلى أن وافقت على نشره عام 2009 باللغتين الألمانية والإنجليزية، استقطب هذا الكتاب الذي يعد سيرةً ذاتيةً روحيةً ليونغ، دوّن فيه ما لم يذكره في مؤلفاته.

كما استعان في عزلته آنذاك بالتنقيب في التاريخ الأوروبي ولاسيما الروحي عن أسطورته الشخصية، وكانت أحلامه وخواطره تكشف له النماذج البدئية التي سبق وعرّفها، مستخدمًا لوصفها "الماندالا" الزخرفية التي استخدمت في الشرق دواعمًا للتأمل، ثم أنتج عمله "الأنماط السيكولوجية في

أثناء إقامته في فيينا لبضعة أيام تردّد على عيادة فرويد عدّة مرات تعرّف خلال أحد زياراته على شقيقة زوجة فرويد الصغرى، والتي كانت على قدر كبير من الجمال والدهاء، اعترفت له في هذا اللقاء عن علاقتها الحميمة بفرويد وشغفه بها..

تولّدت لديه قناعة بأن القوى الخارقة للطبيعة متأصلةٌ بعمقٍ في اللاوعي الجماعي الذي يحوي بدوره الحكمة التي توجه الصفات البشرية

مشددًا على أهمية الأحلام في التشخيص النفسي باعتبارها موجهًا تصحيحيًا ومستقبليًا -إذا ما قُرأت جيدًا- لمفاتيح الوظائف والنماذج البدائية

سيكولوجيا التفردن" عام 1921، شرح فيها عن "وظائف الواعية الأربعة" المسؤولة عن تمايز نماذج الأفراد وهي: التفكير والشعور والحدس والإحساس، مستعيرًا أحد اصطلاحات "هيراقليطس" المعروف ب"الانقلاب الضدّي" فاستخدمه لوصف التحول في قيادة حياة الفرد من عوامل واعية إلى عوامل خفيّة، وأصبحت فكرةً أساسيةً في علم النفس اليونغي، فالمبادلات لا تجري فقط بين الوظائف الأربعة وحسب وإنما تمتدّ لتشمل الميلين المتضادين للطاقة النفسية اللذين أسماهما: الانبساط والانطواء.

قسّم يونغ الطاقة النفسية إلى اتجاهين أساسيين هما: الانبساطي والانطوائي، ومن هنا جاء اختبار يونغ للشخصية، حيث يوجد كلا الاتجاهين لدى كلّ إنسانٍ لكن بنسبة متفاوتة؛ فإذا غلبت وفق الاختبار؛ نسبة الانطوائية يكون الشخص ذاتيّ الاعتماد لتلبية احتياجاته بعكس الشخص الذي تغلب لديه نسبة الانبساط فهو يعتمد على الآخرين، كما قدّم مصطلح "بِرسونا" وهي كلمة يونانية الأصل تعني القناع؛ ليصف فيه الوجه الاجتماعي الذي يتقدم به الفرد للمجتمع ويكون محكومًا بوظيفته وجنسه ووضعه الاجتماعي والتي قد تغاير أحيانًا هوية الفرد الحقيقة، وتعد هذه المبادئ مفاهيمًا هامة في نظرية يونغ. تقوم فلسفته على أن هدف الإنسان السيكولوجي في الحياة ألّا يقمع ويكبت الجانب الآخر من نفسه؛ بل أن يَعرفه، بالتالي يمكن للنفس التمتع بكل قدرات المرء ووضعها تحت سيطرته، واصطلح "الوظيفة المجاورة" التي يمكن اعتبارها الوظيفة الخامسة لمكونات "التفردن" الأربعة، وتعمل من خلال الترميز وتحرير الأشياء والأسماء من ارتباطاتها المُدركة.

استعمل مصطلح "الأنيما" و"الأنيموس" وهما الاسمين اللاتينيين للأنثى والذكر، لوصف صورة الروح التي تأخذ الجنس المخالف لجنس الفرد وفق رؤيته، أي أن صورة الروح لدى الرجل هي "أنيما" أي أنثى وبالعكس لدى المرأة حيث تكون صورة الروح "أنيموس" أي ذكر، ورجّح مصداقية نظريته

قسّم يونغ الطاقة النفسية إلى اتجاهين أساسيين هما: الانبساطي والانطوائي، ومن هنا جاء اختبار يونغ للشخصية، حيث يوجد كلا الاتجاهين لدى كلّ إنسانٍ لكن بنسبة متفاوتة

قدّم مصطلح "بِرسونا" وهي كلمة يونانية الأصل تعني القناع؛ ليصف فيه الوجه الاجتماعي الذي يتقدم به الفرد للمجتمع ويكون محكومًا بوظيفته وجنسه ووضعه الاجتماعي والتي قد تغاير أحيانًا هوية الفرد الحقيقة

لقدرة المرأة والرجل على فهم أحدهما للآخر لما يملك كل منهما في نفسه جزءً من الآخر.

خرج من عزلته بأكثر كتبه إلهامًا "أنماط نفسية" الذي نشره في 1921، تلتها الفترة الأكثر نشاطًا حيث سافر إلى تونس والجزائر؛ هناك اختبر الحياة بلا تواقيت أو ساعات، ثم ذهب عام 1925 إلى نيو ميكسكو تعرّف فيها على ثقافة هنود البويبلو الذين يقدسون الشمس والمياه المحلية، تلتها أهم رحلاته وهي رحلته إلى كينيا وجبل إلجون ومنابع النيل عام 1926، تلتها رحلة تتبّع مجرى النيل وصولًا إلى مصر التي وصفها بمولّدٍ للنور، ثم إلى الهند وبضعة دول أوروبية، كانت تلك الأسفار انطلاقته في عالم الخيمياء التي وجد فيها جسرًا بين الماضي والمستقبل، فَهم أكثر الفرق بين الخيمياء الغربية التي اتسمت بالذكورية عن الخيمياء الشرقية الفلسفية الطابع ذات المبدأ المؤنث، لا سيما عندما أرسل إليه كبار علماء الصينيات "ريتشارد فلهلم" مخطوطًا خيميائيًا صينيًا عنوانه "الزهرة الذهبية" عام 1927، قام بدراسته وتحليله فنتج عنه كتابٌ أصدره بعنوان "سر الزهرة الذهبية: القوى الروحية وعلم النفس التحليلي."

تزعم الجمعية الطبية العامة للعلاج النفسي ومقرها في ألمانيا، بدأت الجمعية تباشر أعمالها في عهد النازية فاتُهم بمعاداة السامية لكنه دحض ذلك الاتهام، وبحلول عام 1933 كان نائبًا لرئيس الجمعية "إيرنست كريتشمر" الذي استقال إبّان وصول النازية للسلطة وممارستها ضغوطًا كبيرة على الجمعية لاتّباع أيديولوجيتها ومن ضمنها استبعاد الأعضاء اليهود، فأُجبر يونغ على تولي رئاستها باعتباره الوحيد القادر على إيقاف تحويلها لمؤسسة نازية، فكونه سويسريًا ضمن له التمتع بالحرية الفكرية، عمدَ مباشرةً على إرساء مبادئ جديدة وافقت عليها الجهة النازية؛ أعطت للجمعية صفة العالمية وبالتالي يُعطى حق العضوية لأي قومية حتى اليهودية، معتبرًا أنه

تقوم فلسفته على أن هدف الإنسان السيكولوجي في الحياة ألّا يقمع ويكبت الجانب الآخر من نفسه؛ بل أن يَعرفه، بالتالي يمكن للنفس التمتع بكل قدرات المرء ووضعها تحت سيطرته

تزعم الجمعية الطبية العامة للعلاج النفسي ومقرها في ألمانيا، بدأت الجمعية تباشر أعمالها في عهد النازية فاتُهم بمعاداة السامية لكنه دحض ذلك الاتهام

سافر في عام 1936 إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتقديم محاضرات في جامعة ييل العريقة نُشرت باسم "علم النفس والدين

من الضروري لها اتّخاذ موقف حيادي عندما يتعلق الأمر بالسياسة والعقيدة.

سافر في عام 1936 إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتقديم محاضرات في جامعة ييل العريقة نُشرت باسم "علم النفس والدين"، كما مُنح تلك الفترة؛ تحديدًا عام 1938 درجة فخرية من جامعة أوكسفورد البريطانية خلال أعمال المؤتمر العاشر للتحليل النفسي، ودرجة فخرية من جامعة الله أباد وجامعة كالكوتا وجامعة بيناريس الهندية في 1937.حافظت الجمعية الطبية العامة للعلاج النفسي على ميثاقه حتى عام 1940 حين قدم استقالته، تمت بعدها مخالفته ومصادرة كتبه في أنحاء ألمانيا وإدراج اسمه في القائمة السوداء لأعداء النازية، بسبب مساعدته لمكتب الخدمات الاستراتيجية في تحليل شخصية الزعماء النازيين لصالح وكالة المخابرات في الولايات المتحدة عام 1943.

حافظت الجمعية الطبية العامة للعلاج النفسي على ميثاقه حتى عام 1940 حين قدم استقالته، تمت بعدها مخالفته ومصادرة كتبه في أنحاء ألمانيا وإدراج اسمه في القائمة السوداء لأعداء النازية

وأطلق يونغ على ما يقول به اسم علم النفس التحليلي Analytical Psychology.وما كان من الممكن أن يخلص يونغ لرؤيا فرويد فلاثنان مختلفان ويكاد كل منهما أن يكون نقيض الآخر. ويونغ سويسري مسيحي معتز بمسيحيته وكان معروف بتقواه قبل ظهور الفصائح التي كُشفت ورافقة طيلة حياته الماجنة، وينحدر من أسرة متدينة، فأبوه كان قسيساً، وكانت أمه شديدة الورع. وبيت يونغ بيت ثقافة، وفيه تعلم كارل اللغات القديمة وتعشقها وأغرم بدراستها، وخاصة اللغات القديمة، واللغة وعاء الحضارة، ومن ثم كان احتكاك يونغ بالحضارات القديمة، ومال إليها بشدة حتى انخرط في دراسة أساطيرها وعادات شعوبها والحفريات الموجودة عنها..

أطلق يونغ على ما يقول به اسم علم النفس التحليلي Analytical Psychology. وما كان من الممكن أن يخلص يونغ لرؤيا فرويد فلاثنان مختلفان ويكاد كل منهما أن يكون نقيض الآخر

ولم يكن فرويد من ذلك في شيء. ولم يكن يونغ مع ذلك بالإنسان الذي يعيش بين في الكتب القديمة، فاتجه إلى دراسة الطب، إلا أن انشغاله النظري دفعه إلى التخصص في مجال العقل والنفس. ولما تخرج عيّن في

إحدى المصحات العقلية، ودرس على بلويلر وبيير جانيه، ثم استقال بسبب فضيحته مع سابينا سليبراين مما اضطر اوغن بلولر على اجباره على الاستقالة.. فذهب ليتفرغ للقراءة والبحث والسفر كونه تزوج من ثاني اثرى امرأة في .....، وافتتح معهداً في زيورخ يعلم فيه علم النفس على طريقته ويحمل اسمه..

يونغ سويسري مسيحي معتز بمسيحيته وكان معروف بتقواه قبل ظهور الفضائح التي كُشفت ورافقة طيلة حياته الماجنة، وينحدر من أسرة متدينة، فأبوه كان قسيساً، وكانت أمه شديدة الورع

لما تخرج عيّن في إحدى المصحات العقلية، ودرس على بلويلر وبيير جانيه، ثم استقال بسبب فضيحته مع سابينا سليبراين مما اضطر اوغن بلولر على اجباره على الاستقالة

الجـــزء (2)

أغنى يونغ مكتبة علم النفس بعدد من الكتب ترجم منها إلى الإنكليزية: "سيكولوجية العتاه الباكر Psychology of Dementia Praecox" (1907)، و "الصراعات النفسية في الطفل Psychic Conflicts in a Child" (1910)، و "نظرية التحليل النفسي Theory of Psychoanalysis" (1913)، و "بناء وديناميات النفس The Structure and Dynamics of the Psyche" (1916)، و "سيكولوجية اللا شعور The Psychology of the Unconsciou" (1917)، و "الأنماط السيكولوجية(1921) Psychological Types" ، و "الإنسان الحديث في البحث عن روح(1922) Modern Man in Search of a Soul" ، و "علم النفس التحليلي والتربية Analytical Psychology and Education" (1926)، و "العلاقات بين الأنا واللا شعور The Relations between the Ego and the Unconscious" (1928)، و "علم النفس والدين(1938) Psychology and Religion" ، و "سيكولوجية النمط الطفولي The Psychology of the Child Archetype" (1940)، و "الطفل الموهوب The Gifted Child" (1943)، و "سيكولوجية التحويل Psychology of the Transference" (1946)، و "الفصام(1958) Schizophrenia" ، و "الضمير من وجهة

نظر نفسية "A Psychological View of Conscience" (1958)الخ ..

فهل كانت نظرية يونغ خروجاً كاملاً على التحليل النفسي؟ الجواب بالنفي. وهكذا الحال مع كل حواريي فرويد، فهم قد يتحدثون حديثاً يُناقض فرويد، إلا أن ما يقولون به يظل مستمداً من فرويد وبوحي منه. ونظرية يونغ هي إسهامه في النظرية الكبرى للتحليل النفسي، وهي نظرية تؤكد كأغلب نظريات التحليل النفسي على اللا شعور، إلا أن منظار يونغ فيها أكبر وأعرض من منظور فرويد. فإذا ذهب فرويد إلى إبراز دور الماضي في الطفولة على السلوك الحاضر وما يعتور هذا السلوك من اضطرابات، فإن يونغ يجعل مفهوم هذا الماضي أوسع حتى ليشمل طفولة الفرد وطفولة الجماعة التي ينتمي إليها، والإنسانية كلها، وإذن يكون لدينا نوعان من الماضي، أحدهما ماضٍ خصوصي ويلحق به لا شعور فردي أو خصوصي هو مخزن هذا الماضي في الطفولة، والثاني ماضٍ جماعي هو تاريخ الشعب أو حتى التاريخ البشري كله، ويلحق به لا شعور جمعي فيه كل ميراث السلف. وإذا قال فرويد إن هذا الماضي في الطفولة هو الذي يوجه السلوك، وهو إذن سبب وعلة كل اضطراب، فإن يونغ لا يقتصر على تأكيد هذه السببية أو العلية التي ذكرها فرويد، ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك فيؤكد أن السلوك الحاضر يصنعه الماضي كواقع، وأيضاً يصنعه المستقبل كإمكان، فنحن جميعاً لنات طلعات ونستشرف المستقبل، ونسعى لتحقيق أهداف وطموحات، وإذن فالغائية مقولة ضرورية مثلما العلية مقولة واقعية، وفي ذلك يقول يونغ قولته الشهيرة "إن الإنسان تحركه الأهداف مثلما تحركه الأسباب"، وإذا كان فرويد لا يرى إلا أننا، بحكم ما لدينا من غرائز تسيطر على سلوكنا وتوجهه، نكرر ما سبق أن فعلناه، ونأتي من السلوك أموراً وكأنما نحن مجبرون عليها، وهكذا تتوالى أيامنا ويتكرر معنا التاريخ حتى يغلبنا الموت،

فهل كانت نظرية يونغ خروجاً كاملاً على التحليل النفسي؟ الجواب بالنفي. وهكذا الحال مع كل حواريي فرويد، فهم قد يتحدثون حديثاً يُناقض فرويد، إلا أن ما يقولون به يظل مستمداً من فرويد وبوحي منه

نظرية يونغ هي إسهامه في النظرية الكبرى للتحليل النفسي، وهي نظرية تؤكد كأغلب نظريات التحليل النفسي على اللا شعور، إلا أن منظار يونغ فيها أكبر وأعرض من منظور فرويد

ذهب فرويد إلى إبراز دور الماضي في الطفولة على السلوك الحاضر وما يعتور هذا السلوك من اضطرابات

فإن يونغ يقول بالنماء الذي لا يتوقف لقدرات الإنسان، وأنه، أي الإنسان، دائماً يسعى إلى الكمال، ويبحث عن الكل، ويشتاق أن يولد من جديد باستمرار .

يونغ يجعل مفهوم هذا الماضي أوسع حتى ليشمل طفولة الفرد وطفولة الجماعة التي ينتمي إليها، والإنسانية كلها

والنفس الإنسانية عند فرويد بسيطة، والجهاز النفسي لذلك بسيط، من الأنا والأنا الأعلى واللا شعور. وهذه النفس عند يونغ معقدة غاية التعقيد، وتتكون من عدد من النظم أو الأنساق. ويتحدث يونغ في مجال النفس عن الأنا، واللا شعور الذي يقسمه إلى لا شخصي ولا شعور جمعي، ويلحق باللا شعور الشخصي عدداً من العقد، كما يلحق باللا شعور الجمعي ما يسميه بالأنماط الأولية، ويجعل من هذه الأنماط ما يُطلق عليه أسماء الأنيما والأنيموس والقناع والظل. ويقول يونغ بالذات وينسب للشخصية اتجاهات، ويتحدث عن وظائف سيكولوجية رئيسية .

يكون لدينا نوعان من الماضي، أحدهما ماضٍ خصوصي ويلحق به لا شعور فردي أو خصوصي هو مخزن هذا الماضي في الطفولة، والثاني ماضٍ جماعي هو تاريخ الشعب أو حتى التاريخ البشري كله، ويلحق به لا شعور جمعي فيه كل ميراث السلف

وعندما يذكر يونغ النفس فإنه يعني بها الشخصية ككل، فأما الأنا ego فهو بمثابة العقل الشعوري عند فرويد، وتكوين الأنا يتأتى من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانيات، وهو المسؤول عن وعينا بهويتنا وباستمرار هذا الوعي بالهوي. وأما اللا شعور الشخصي personal unconsciousفيشبه ما قبل الشعور عند فرويد، فهو وإن كان من اللا شعور إلا أن ما يلجأ إليه من الخبرات هو خبراتنا الشخصية الشعورية التي نتناساها بحكم تفاهتها أو تهافت ما يتخلف منها من انطباعات، فإذا ذكرنا بها ذكرناها دون جهد. والجديد عند يونغ هو أنه يلحق بها عدداً من العقد كالعقد التي قال بها فرويد ونسبها إلى اللا شعور، ومن ذلك مثلاً أنه يتحدث عن عقدة الأم ويقول إنها أهمها وأبرزها. ولا عقدة عنده اجتماع من عدد من الوجدانيات والمدركات والذكريات وتعمل كالنواة وتشد إليها مختلف الخبرات المشابهة. وعقدة الأم خبرة عامة عند الإنسان بما عليه الأم وكأنها صورة مشتركة للأم، أو صورة مثالية لمقتضى الأم، وتتحلق حولها خبرات كل واحد

يقول يونغ قولته الشهيرة "إن الإنسان تحركه الأهداف مثلما تحركه الأسباب"

منا عن أمه، فتقوى الصورة وتكبر العقدة، وقد يوصف الواحد منا بأنه يعاني من عقدة أم، ونعني بذلك أن لأمه دوراً بارزاً في حياته، وأنه قد شغل بها وبما تقول وتفعل وتشعر به وتفكر فيه، وأن صورتها عنده تحتل مكانة أكبر من غيرها، ومن ثم فربما تتحكم فيه هذه العقدة ويغلب تأثيرها على سلوكه .

ومن هذه العقد أيضاً عقدة القوة، وهي العقدة الغالبة على سلوك الطغاة والمستبدين والغزاة والفاتحين. والعقد بشكل عام تعمل فينا لا شعورياً أي أننا لا نعي تأثيرها، وقد نتنبه إلى بعض هذا التأثير أو قد نعرف به جميعه .

واللا شعور الجمعي collective unconscious هو المقابل للشعور الشخصي، ويطلق يونغ عليه لذلك أحياناً اسم اللا شعور اللا شخصي، ومفهومه عند يونغ يجعله من أكثر ما قال به من مفاهيم تعرف الجدال والخلاف، ووصفه له بالجمعي لأنه مخزن الذكريات والأفكار الجمعية أي التي كانت لنا بصفتنا الشخصية مثل اللا شعور الشخصي، ولكن بصفتنا كجنس إنساني، بل وبصفتنا العامة جداً كجنس حيواني في الحقبة التي كنا فيها أقرب إلى الحيوان منا إلى الإنسان، وخبراته أو الانطباعات التي تخلفت فيه تراكمت بتكرار حدوثها عبر الأجيال وكانت مشاعاً بين كل البشر، وكلنا لدينا هذا اللا شعور الجمعي وإن تفاوت ما لدينا منه من شخص إلى آخر، وليس تشابهنا فيه إلا لأن العقل فينا متشابه وتطوره عندنا كان تطوراً مشتركاً. وهذا اللا شعور الجمعي بمثابة استعدادات نتهيأ بها للتجاوب مع العالم ومواقفه، فمثلاً نلاحظ أن الناس جميعاً لديهم الاستعداد للخوف من الظلام، وهذا الاستعداد الكامن قد يظهر ويتدعم نتيجة لخبرات حالية، غير أننا ورثنا هذا الاستعداد عن الأسلاف لأن الإنسان عبر العصور الأولى كان يخاف الظلام المحفوف بالأخطار، وكان أخشى ما يخشاه قدوم الليل، فمعه يكون المخبوء من الأعداء والحيوان ويكون الموت. والاستعداد الكامن فينا

يونغ يقول بالنماء الذي لا يتوقف لقدرات الإنسان، وأنه، أي الإنسان، دائماً يسعى إلى الكمال، ويبحث عن الكل، ويشتاق أن يولد من جديد باستمرار.

النفس عند يونغ معقدة غاية التعقيد، وتتكون من عدد من النظم أو الأنساق

يتحدث يونغ في مجال النفس عن الأنا، واللا شعور الذي يقسمه إلى لا شخصي ولا شعور جمعي، ويلحق باللا شعور الشخصي عدداً من العقد، كما يلحق باللا شعور الجمعي ما يسميه بالأنماط الأولية، ويجعل من هذه الأنماط ما يُطلق عليه أسماء الأنيما والأنيموس والقناع والظل

للخوف من الظلام يجعلنا مرهفين لكل خبرة تتعلق بالظلام، وهو استعداد كامن لأنه محفور في العقل، وإنكار وراثته إنكار لتطور العقل ووراثته .

واللا شعور الجمعي بوصفه الأساس العنصري الموروث يقوم عليه البناء النفسي كله، وهو خبرات الأجيال وحكمة القرون، ويستقى منه الأنا ويصدر عنه، فإذا حدث أن انقطع ما بينهما اضطرب الأنا واضطربت بالتالي كل العمليات الشعورية فتكون الهذاءات والهواجس. ويطلق يونغ على هذه الاستعدادات الكامنة فينا اسم الأنماط الأوليةarchetypes ، وهي أنماط سلوك بدائية تكون فينا أساساً للسلوك في المواقف التي تكون مشابهة لمواقف الإنسان الأولى، ومن ذلك أننا نسلك سلوكاً متشابهاً حيال الأم، كما أن للأم صورة أولية كانت في الماضي وما تزال حتى الآن، وهذه الصورة هي محصلة خبرات الأجيال، وعلى ذلك كلما تطابقت الأم الفعلية مع الأم الصورة كان التوافق في حياة الطفل والبالغ من بعد، فإذا حدث أن كانت الأم مسيطرة أو نابذة اضطربت حياة الطفل والبالغ من بعد .

وأيضاً فإننا من جراء رؤيتنا للشمس عبر القرون وهي تشرق وتغرب وتعطي الضوء والدفء والحياة يكون لدينا نمط أولي للشمس ويداخلنا منه إكبار لدورها وتقديس لها، وذلك كان سبب عبادتها كإله، وكان النمط الأولي للشمس واهبة النور والحياة هو نفسه النمط الأولي للألوهية، وقامت كل العقائد الدينية على أساس من هذا النمط، والإله فيها جميعاً هو القوى قوة مطلقة، وهو إله النور الواهب للحياة، وانبهارها بالشمس وبكل قوى الطبيعة المتفجرة بالطاقة كالرعد والبرق والأعاصير والبراكين والفيضانات، استولد فينا عبر القرون استعداداً كامناً لإدراك القوى العظمى والطاقات الهائلة، فكانت رغبتنا أن نخلق قوى مثلها ونتحكم فيها، ولعله لذلك ينبهر الطفل بالصواريخ النارية، ويتحمس الشباب للسرعة الفائقة في السيارة والطائرة، ويدأب أهل العلم على البحث في الذرة وإطلاق الطاقة الكامنة فيها .

يقول يونغ بالذات وينسب للشخصية اتجاهات، ويتحدث عن وظائف سيكولوجية رئيسية.

عقدة الأم خبرة عامة عند الإنسان بما عليه الأم وكأنها صورة مشتركة للأم، أو صورة مثالية لمقتضى الأم، وتتحلق حولها خبرات كل واحد منا عن أمه، فتقوى الصورة وتكبر العقدة،

عقدة القوة، وهي العقدة الغالبة على سلوك الطغاة والمستبدين والغزاة والفاتحين

العقد بشكل عام تعمل فينا لا شعورياً أي أننا لا نعي تأثيرها، وقد نتنبه إلى بعض هذا التأثير أو قد نعرفه به جميعه.

والأنماط الأولية كثيرة في اللا شعور الجمعي بعدد خبرات الإنسان التي تتكرر معه عبر الأجيال، ونلاحظ منها بشدة أنماط الموت والسحر والبطل والطفل والمرأة والرجل والشيطان الغاوي والحكيم الشيخ والأرض الأم. والنمط نسق دينامي يعمل مستقلاً ومتفاعلاً مع الأنماط الأخرى وأنظمة الجهاز النفسي المختلفة. ولعل مما يلفت النظر من الأنماط مجموعة يفرد لها يونغ الصفحات وتشغل من مذهبه مكانة عالية، وهي القناع والأنيما والأنيموس والظل، فأما القناع persona فيقول عنه يونغد إنه الصورة العامة التي نحب أن نظهر بها امام الناس، أو الدور الاجتماعي الذي يناط بنا أداؤه. ودائماً هناك دور اجتماعي ينتظر كل إنسان ذكراً كان أم أنثى، وكان لنا هذا الدور عبر الأجيال كلها، والقناع لذلك نمط أولي، والإنسان يُحاول أن يوفق بين حاجات الأنا ومقتضيات الدور الاجتماعي، وإذا لم يستطع التوفيق بينهما فإن الشخص قد ينسى نفسه في الصورة الاجتماعية التي يبدو عليها، أو قد يفقد الدور الاجتماعي ويعيش لأناه فقط. وينشأ الاضطراب النفسي في الحالتين نتيجة اللا توافق بين الاثنين .

اللا شعور الجمعي collective unconscious هو المقابل للاشعور الشخصي، ويطلق يونغ عليه لذلك أحياناً اسم اللا شعور اللا شخصي

اللا شعور الجمعي بمثابة استعدادات نتهيأ بها للتجاوب مع العالم ومواقفه

والتوافق مطلوب في كل مستوى، ومن ذلك المستوى الجنسي، والإنسان مزيج من الهرمونات الذكورية والأنثوية، إلا أنه قد تغلب عنده الهرمونات الذكورية فيكون ذكراً أو بالعكس، وقد تظهر الذكورة أكثر في الأنثى، أو بالعكس. وهذه الازدواجية الجنسية أكدها فرويد أيضاً، ونسب إليها الميول الجنسية المثلية عند البعض، ويعطيها يونغ أسماء جديدة وأسباباً إضافية، فيقول إن الذكور والإناث قد تعايشوا عبر التاريخ، إلا أنه من طول معايشتهما انطبع الذكور ببعض جوانب الأنوثة، وانطبعت الإناث ببعض جوانب الذكورة. ويطلق يونغ على الجانب الأنثوي في الذكور اسم الأنيما anima، كما يطلق على الجانب الذكوري في الإناث اسم الأنيموس animus، وبسبب هذين الجانبين أو النمطين من أنماط السلوك يستطيع

اللا شعور الجمعي بوصفه الأساس العنصري الموروث يقوم عليه البناء النفسي كله، وهو خبرات الأجيال وحكمة القرون، ويستقي منه الأنا ويصدر عنه

الأنماط الأولية archetypes، وهي أنماط سلوك بدائية تكون فينا أساساً للسلوك في المواقف التي تكون مشابهة لمواقف الإنسان الأولى

الأنماط الأولية كثيرة في اللا شعور الجمعي بعدد خبرات الإنسان التي تتكرر معه عبر الأجيال، ونلاحظ منها بشدة أنماط الموت والسحر والبطل والطفل والمرأة والرجل والشيطان الغاوي والحكيم الشيخ والأرض الأم

مما يلفت النظر من الأنماط مجموعة يفرد لها يونغ الصفحات وتشغل من مذهبه مكانة عالية، وهي القناع والأنيما والأنيموس والظل

الذكور أن يفهموا الإناث وبالعكس، وأن يتعاونوا ويتشاركوا. ولنعطِ مثالاً للأنوثة في الذكور، بالرقة التي قد تكون بالبعض منا، والتي تعجب الإناث، مثلها مثل الخشونة في الطبع تكون في بعض الإناث وتستهوينا نحن الذكور. وقد يحدث أن يطغى الجانب الذكوري في الأنثى فتسلك كالذكور وتتشبه بهم، وذلك هو مرض التشبه من الاضطرابات الجنسية، أو يطغى الجانب الأنثوي في الذكر فيسلك كالإناث ويتخنث .

والظل shadow من الأنماط الأولية، بمعنى أنه هذه الحاجات الحيوانية أو الغريزية فينا التي نمت معنا منذ الأزل وتطالبنا بالإشباع، وبها تكون صحة الجسد، وبسببها قد نخرج عن الصواب ونخطئ. ومفهوم الخطيئة من مفاهيم الظل. ومعنى أن الغرائز ظل أنها تلاحقنا كالظل، ولكن الإنسان ليست حقيقته هذه الغرائز، وذلك سبب آخر من أجله أطلق يونغ عليها اسم الظل. والظل مسؤول عن كافة الأفكار والرغبات والمشاعر غير المقبولة اجتماعياً والتي بها يكون تصادمنا مع العرف والتقاليد، ومهمة القناع أن يخفي هذا الجانب من جوانب الإنسان. والكثير من الأفكار التي يولدها الظل تكبت في اللا شعور الشخصي، والكثير منها أيضاً يفلح في أن يتسلل إلى الأنا ويؤثر على السلوك. والإنسان عندما يكون ظله، يضطرب سلوكه ويجنح، وقد يسقط ظله خارجه ويسميه الشيطان والعدو. والظل هو الذي يدفعنا إلى الحركة والاشتهاء وأن نمارس حياة الجسد كاملة .

وأما الذات the self فهي المركز الذي يجمع كل أنظمة النفس، وهي غاية الإنسان من حياته وسعيه فيها، وكأي من الأنماط الأولية تحرك السلوك وتدفعه نحو الكلية والشمول. والذات هي كمال الشخصية، وهي أعلى مراتب الوجود النفسي، ولا يبلغها الفرد إلا بعد أن تنمو كل نواحي نفسه نمواً تتكامل به الذات، وعندئذ ينتقل مركز الشخصية من الأنا إلى الذات. ولا تظهر الذات كعنصر مسيطر على السلوك والحياة النفسية إلا مع شخصيات كبيرة

كالأنبياء وأصحاب الدعوات الكبرى، كالمسيح وبوذا. ولم يكن اكتشاف يونغ لمفهوم الذات إلا من خلال دراساته في أديان الشرق وأساطيره وفلسفاته ومعتقداته، وعنده أن الذات تبلغ كمالها بالخبرة الدينية كاليوغا. ويونغ إذ يقابل بين الأنا والذات فإنه إنما يطبق جدله السيكولوجي على كل مقولاته النفسية، وهو جدل يقوم على المتقابلات، بين اللا شعور والشعور، والأنيما والأنيموس، والظل والقناع، وعنده أن الأنا يتجه إلى الشيء نفسه بينما الذات توجهها نحو العالم، ومن ثم يقول باتجاهين يسمي أحدهما الاتجاه الانطوائي introversion، ويطلق على الآخر الاتجاه الانبساطيextraversion ، الاتجاهان معاً يوجدان في كل شخص، إلا أن احدهما قد يغلب على السلوك فيكون اتجاهاً شعورياً في الشخص، وعندئذ يكون الاتجاه المقابل هو الاتجاه اللا شعوري فيه، وبالمثل فإن الوظائف النفسية الرئيسية هي التفكير والوجدان والإحساس والحدس، فلو أن شخصاً أشرف على منظر طبيعي فإنه لو كان الوجدان عنده هو المسيطر فإنه سينبهر بجمال المنظر، ولو كان الإحساس المسيطر فسينظر إليه بدون انفعال وكما هو، أو كما لو كان ينظر في صورة فوتوغرافية، ولو كان من النمط المفكر فإنه سيحاول أن يمعن النظر في تفاصيله، ومما يتكون ولماذا هو على هذا الحال، فإذا كان نمطه هو النمط الحدسي فإنه قد ينبهر به باعتباره من نعم الله، وفيه تتجلى قدرته وعظمته. ورغم غلبة وظيفة على سائر الوظائف فإن هذه الوظائف نفسها تتكامل وتتناغم، فالحواس تقرر لنا معطيات الواقع، والتفكير يدلنا على معانيها، والوجدان يهدينا إلى قيمتها، والحدس يشير علينا بما يمكن أن تتطور إليه في المستقبل. ولا تعني غلبة وظيفة انحسار الوظائف الأخرى وإنما هي تتفاضل بحيث قد تكون إحداها هي الأعلى فتكون هناك في المقابل الوظيفة الأدنى. ولا يعني أنها أدنى أنها معطلة بل هي تعمل عملها وإنما يكون هذا العمل من داخل اللا شعور، فإذا غلب التفكير مثلاً فلربما يكون الحدس هو الأدنى،

الإنسان مزيج من الهرمونات الذكورية والأنثوية، إلا أنه قد تغلب عنده الهرمونات الذكورية فيكون ذكراً أو بالعكس، وقد تظهر الذكورة أكثر في الأنثى، أو بالعكس

هذه الازدواجية الجنسية أكدها فرويد أيضاً، ونسب إليها الميول الجنسية المثلية عند البعض

يطلق يونغ على الجانب الأنثوي في الذكور اسم الأنيما anima، كما يطلق على الجانب الذكوري في الإناث اسم الأنيموس animus

ويعمل التفكير شعورياً بينما يمارس الحدس نشاطه لا شعورياً. وذلك شأن النظم والاتجاهات عند يونغ، فمعنى ظهور أحدها أن الآخر لا شعوري، وقوة نظام أو اتجاه أو وظيفة عند يونغ تعني أنه يعوض عن ضعف نظام أو اتجاه أو وظيفة أخرى، فمثلاً في حالة الاتجاهات لو كان الانبساط هو الغالب على الأنا الشعوري فإن اللا شعور سيعوض ذلك بأن ينمي اتجاه الانطواء المكبوت .

والأحلام هي الأخرى تعويضية بحيث أن الشخص الذي تغلب عليه الانبساطية تجيء أحلامه بطابع انطوائي. ومبدأ التعويض الذي يؤكد عليه يونغ يتيح التوازن بين قوى النفس بحيث تأتي الشخصية على قدر من الاستقرار، ويمنع التضارب فلا يكون التداعي بالأعراض العصابية. والجدل السيكولوجي الذي يذهب إليه يونغ يقوم على التعارض بين قوى النفس أساساً. والصراع واقع نعيشه مع أنفسنا ومن خارجنا، والصراع هو الذي يولد الطاقة التي يكون بها استمرارنا في الحياة، والصراع والتعارض رغم أنهما عاملا تنافر إلا أنهما يرتبان للتآلف وما يسميه يونغ وحدة الأضداد، وهذه الوحدة تتم من خلال ما يطلق عليه اسم الوظيفة المتعالية transcendental function بحيث تجتمع كل النظم والوظائف والاتجاهات المتعارضة وتصطلح على التعايش رغم تعارضها، ويقوم على تعايشها توازن ضروري للشخصية هو توازن داخلي، يقابله توازن خارجي يقوم بين الذات والعالم الخارجي أو الذات والذوات الأخرى، ومن ثم تكون كل ذات منفتحة على الذوات الخرى والعالم الموضوعي. وهذه الدينامية التي يقول بها يونغ تعني أن كل ذات لا يمكن أن تنغلق على نفسها ولا أن تحقق حالة من الاستقرار الكامل، وهي في حاجة إلى طاقة مادية وطاقة نفسية لتمارس نشاطها. وتنشأ الطاقة النفسية بالطريقة التي تنشأ بها الطاقة المادية من عمليات الهدم والبناء. ويطلق يونغ على طاقة الحياة اسم الليبدو libido

قد يحدث أن يطغى الجانب الذكوري في الأنثى فتسلك كالذكور وتتشبه بهم، وذلك هو مرض التشبه من الاضطرابات الجنسية

الظل shadow من الأنماط الأولية، بمعنى أنه هذه الحاجات الحيوانية أو الغريزية فينا التي نمت معنا منذ الأزل وتطالبنا بالإشباع، وبها تكون صحة الجسد، وبسببها قد نخرج عن الصواب ونخطئ

الظل مسؤول عن كافة الأفكار والرغبات والمشاعر غير المقبولة اجتماعياً والتي بها يكون تصادمنا مع العرف والتقاليد، ومهمة القناع أن يخفي هذا الجانب من جوانب الإنسان

سواء كانت مادية أو نفسية، وبينما يستنفد النشاط المادي الطاقة المادية فإن النشاط النفسي من إرادة ورغبة وانفعال تلزمه الطاقة النفسية. وتتوزع الطاقة النفسية على هذه المظاهر وأمثالها بقدر ما نعطيها من قيمة، وكلما كان للنشاط قيمة نفسية عالية كلما تطلب طاقة نفسية أكبر. وعلى ذلك تترتب النشاطات بحسب قيمتها للشخص باعتبار ما يبذل فيها من طاقة، فلو كنا نقضي في القراءة وقتاً أكبر مما نقضيه في الألعاب الرياضية فإن معنى ذلك أن للقراءة قيمة عندنا أكبر. والقيم اللا شعورية مثلها مثل القيم الشعورية، وبمقدار ما نستطيع قياس القيمة النفسية لأي نشاط شعوري فإننا في الوسع أن نقيس القيمة النفسية النسبية للأنشطة اللا شعورية. فلو أن شخصاً تتحكم فيه عقدة الأم فإننا سنلاحظ أن هذا الشخص سيقحم أمه في كل نقاش بمناسبة أو بدون مناسبة، وإذا كان عليه أن يشاهد السينما فسيختار فيلماً يتعلق بالأمهات. وقد يتمادى هذا الشخص فتكون له آراء وأفكار ورغبات أمه، وقد يؤثر من النساء من يشبهها. وقد نلحظ تأثير العقدة في فلتات اللسان عند هذا الشخص فقد يحكي قصة عن زوجته فينسى ويقول أمي ويقصد زوجته. ويستخدم يونغ الألفاظ لاختبار وجود العقد اللا شعورية وقوتها، ويتكون اختباره من قائمة مقننة من مئة كلمة بحيث يمكن أن تستثير أية عقدة لو كانت موجودة، ويطلب من الشخص المراد اختباره أن يجيب بأسرع ما يمكن بما يعني من استجابات بأن يذكر كلمة واحدة كرد فعل للكلمة المثير، فإذا تأخر عن الاستجابة أكثر من اللازم، أو إذا لم يحر جواباً أو إذا أظهر انفعالاً ما فإن معنى ذلك أنه يعاني من عقدة تتعلق بموضوع هذه الكلمة. ونعرف شدة العقدة من المظاهر الانفعالية، كأن يدق قلبه وتتلاحق أنفاسه أو يمتقع لونه أو يعرق، ويطلق يونغ على اختباره اسم طريقة التداعي بالألفاظ assaociation method.

الكثير من الأفكار التي يولدها الظل تكمن في اللا شعور الشخصي، والكثير منها أيضاً يقلع في أن يتسلل إلى الأنا ويؤثر على السلوك

أما الذات the self فهي المركز الذي يجمع كل أنظمة النفس، وهي غاية الإنسان من حياته وسعيه فيها، وكأي من الأنماط الأولية تحرك السلوك وتدفعه نحو الكلية والشمول

لم يكن اكتشاف يونغ لمفهوم الذات إلا من خلال دراساته في أديان الشرق وأساطيره وفلسفاته ومعتقداته، وعنده أن الذات تبلغ كمالها بالخبرة الدينية كاليوغا

والطاقة النفسية عند يونغ مثلها مثل الطاقة في الديناميكا الحرارية تسري عليها قوانين الانتقال والتعادل، بمعنى أن النظام النفسي الذي يشحن بطاقة نفسية أكبر على حساب نظام نفسي آخر فإن الملاحظ أن الطاقة تتجه إلى التدفق من النظام الأكبر طاقة إلى النظام الأقل طاقة. وكذلك في الاتجاهات فإن طاقة الاتجاه الأضعف سواء كان انبساطياً أو انطواء. وهذا الانتقال يستمر بهدف أن تتعادل كل الطاقات بكل أنظمة النفس واتجاهاتها. وتقوم سيكولوجية يونغ على أن نمو كل الجوانب النفسية مطلب مثالي متعذر التحقيق ولكنه مأمول، وأن نمو أي جانب على بقية الجوانب النفسية التوتر والصراع، وأن النمو المتعادل لكل مقومات النفس يؤدي إلى الانسجام ويرفع التوتر ويستحدث الرضا .

واستخدام الطاقة النفسية يتوجه في النهاية إلى هدفين، الأول هدف فطري غريزي تنفق فيه الطاقة في الأعمال التي من شأنها المحافظة على الحياة ولتكاثر النوع، ويخضع استخدام الطاقة للقوانين البيولوجية الطبيعية نفسها، والهدف الثاني يتجاوز الجوع والجنس، وتستخدم فيه الطاقة التي تزيد عن حد إشباع الجوع والجنس في النشاطات الثقافية والروحية، وهي نشاطات أرقى وأسمى. وبقدر ما يكون الإنسان أكفأ من حيث أشباع حاجاته البيولوجية بقدر ما يتبقى له من طاقة يلاحق بها اهتماماته الثقافية .

ويقوم منهج يونغ في العلاج النفسي على دراسة الحالة عن طريق الأحلام الجميلة وليس تفسير الحلم الواحد. فالملاحظ أن بعض الأحلام تكوّن من بعضها البعض سلسلة ذات موضوع واحد قد يتغاير تناوله أو يتصل فتنفتح معانيها بالتدريج وكأننا إزاء عدة نصوص لسياق واحد. وقد يطلب يونغ من المفحوص أن يركز انتباهه على صورة من صور الحلم يراها مؤثرة ولكنها غامضة، وأن يرسم هذه الصورة كما يتخيلها ويسمي ذلك طريقة التخيل الإيجابي. وللرمز في الحلم وظيفتان فهو من ناحية يمثل محاولة

من ثم يقول باتجاهين يسمي أحدهما الاتجاه الانطوائي introversion، ويطلق على الآخر الاتجاه الانبساطي extraversion، الاتجاهان معاً يوجدان في كل شخص

لا تعني غلبة وظيفة انحسار الوظائف الأخرى وإنما هي تتفاعل بحيث قد تكون إحداها هي الأعلى فتكون هناك في المقابل الوظيفة الأدنى. ولا يعني أنها أدنى أنها معطلة بل هي تعمل عملها وإنما يكون هذا العمل من داخل اللا شعور

الأحلام هي الأخرى تعويضية بحيث أن الشخص الذي تغلب عليه الانبساطية تجيء أحلامه بطابع انطوائي

إشباع غريزية قد أُحبطت، ومن ناحية أخرى هو تجسيد لمادة نمطية أولية. واستعان يونغ على دراسة الرموز بالأساطير والكيمياء القديمة، وهو يجد تماثلاً بين الرمزية في الأحلام والرمزية الكيميائية القديمة .

ويبدو أن سيكولوجية يونغ لم تترك أثراً كبيراً على علم النفس والطب النفسي برغم أن البعض ما يزالون يستخدمون طريقته في العلاج بعد تطويرها، وأما خارج هذين المجالين فتأثيره ملحوظ وخاصة على العلوم الكشفية والغيبيات والدين. وكان يونغ يقول إن الله حقيقة نفسية وغير فيزيائية واضحة، أي أنه حقيقة يمكن إقامتها نفسياً وليس مادياً، وذلك فيما يبدو ما نفّر منه علماء النفس التجريبيين خصوصاً.

الجدل السيكولوجي الذي يذهب إليه يونغ يقوم على التعارض بين قوى النفس أساساً. والصراع واقع نعيشه مع أنفسنا ومن خارجنا، والصراع هو الذي يولد الطاقة التي يكون بها استمرارنا في الحياة

يطلق يونغ على طاقة الحياة اسم الليبدو libido سواء كانت مادية أو نفسية، وبينما يستنفد النشاط المادي الطاقة المادية فإن النشاط النفسي من إرادة ورغبة وانفعال تلزمه الطاقة النفسية

يقوم منهج يونغ في العلاج النفسي على دراسة الحالة عن طريق الأحلام الجميلة وليس تفسير الحلم الواحد

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا
- د. متاس الصوافه – السويد
- د. جوليا سليمان – لبنان
- د. أروى عباس – سوريا
- ا.د. صبا علي –سوريا
- د. أمل مصطفى محمود – مصر

خاتمـــــــة

لم تكن هذه الموسوعة إلا جهداً يسيراً بعد معايشة يومية لسنوات بين سيّر ومؤلفات اعلام العلوم النفسية.. كنتُ خلالها أدوّن ما أحيطهم به من معلومات ودراسة وبحث ومراقبة وتفكير من كافة الجوانب.. ثم أعود مرة تلو الاخرى إلى المراجع..

ورغم عديد المصاعب والمصائب ومنها الصحية التي عانيتها ولمدة طويلة جدا أثناء تحضير هذا الموسوعة.. فإني أرجو أن أكون قد حققت شيئاً من أمنيات من لهم في الوجدان مكانة لا أجيد البلاغة في التعبير عنها.. ولهم من الأيدي البيضاء، ما أعجز أن أصف، إنهم.. أحبتي.. وأصدقائي.. وزملائي.. الذين كانوا القوة المولّدة لوضع هذه الموسوعة لتكون دليلاً ومنهجاً مختصراً بين يدي الخبير والباحث والمختص والدارس والمهتم... وفي مقدمتهم الصديق النبيل الدكتور جمال التركي (رئيس الشبكة العربية للعلوم النفسية) صاحب فكرة هذا العمل.

وكلّي أملٌ أن أكون قد وفّقت، واستطعت أن أبيّن، كيف لنا أن نفهم سيّر الاعلام ولو على عجالة, بطريقة علمية.. وعلى نحوٍ أفضل لهذا الكائن الإنساني، مهما كانت سيرته وطباعه وشخصيّته، وعلومه والتي تبدو للوهلة الأولى عصيّة على الفهم..

وكلي أملّ أن أرى في اعلام وأطباء المستقبل انصهاراً أكثر في العلاقة مع سائر المخلوقات، لا سيما المريض من خلال ممارسة الطب عامة

لم تكن هذه الموسوعة إلا جهداً يسيراً بعد معايشة يومية لسنوات بين سيّر ومؤلفات اعلام العلوم النفسية.. كنتُ خلالها أدوّن ما أحيطهم به من معلومات ودراسة وبحث ومراقبة وتفكير من كافة الجوانب.. ثم أعود مرة تلو الاخرى إلى المراجع..

أرجو أن أكون قد حققت شيئاً من أمنيات من لهم في الوجدان مكانة لا أجيد البلاغة في التعبير عنها.. ولهم من الأيدي البيضاء، ما أعجز أن أصف

والطب النفسي خاصة، فعلى عاتق طبيب المستقبل يقع واجب الاغتراف من مناهل المعارف العلمية والطبية والنفسية.. ليصهرها ويطعمها برؤيته الإنسانية، ويجعل من ذلك عقيدة ومنهجاً وسلوكاً.. لا سيفاً مسلطاً على رقاب المرضى.. وألا يتدخل مع مرضاه على نحوٍ مؤذٍ، أو غير أخلاقي..

نعم كل ابن آدم خطّاء... وكلنا بشر.. نخطئ ونصيب ونرتكب الحماقات.. فمن منّا معصومٌ وبلا خطيئة...ولكن إذا غفر الله للإنسان أخطاؤه.. فهل يغفرها جهازه العصبي..؟!.. وعلينا أن نتذكر...

إن الطبيب خُلق ليعالج لا ليحاكم...

وكلّي أملٌ أن أكون قد وفّقت، واستطعت أن أبيّن، كيف لنا أن نفهم سيّر الاعلام ولو على عجالة, بطريقة علمية..

وكلي أملٌ أن أرى في اعلام وأطباء المستقبل انصهاراً أكثر في العلاقة مع سائر المخلوقات، لا سيما المريض من خلال ممارسة الطب عامة والطب النفسي خاصة

نعم كل ابن آدم خطّاء... وكلنا بشر.. نخطئ ونصيب ونرتكب الحماقات.. فمن منّا معصومٌ وبلا خطيئة...ولكن إذا غفر الله للإنسان أخطاؤه.. فهل يغفرها جهازه العصبي..؟!.. وعلينا أن نتذكر... إن الطبيب خُلق ليعالج لا ليحاكم...

موسوعـــة الأعـــلام فـي العلـــوم النفسيـــة: حـروف: الواو – الياء

إصـــدارات: مؤسسـة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2026

مؤسسة العلوم النفسية العربية
تكريم 2023
شبكة العلوم النفسية العربية
الأستاذ الدكتور عبد الرحمان إبراهيم
[استاذ الطب النفساني. سوريا]
بلقب
الحاصد في علوم وطب النفس
بعد أن تشرف مجلس إدارة المؤسسة العربية للعلوم النفسية إسناده لقب:
شخصية العام العربية 2023
في علوم وطب النفس
على هامش الأسبوع السنوي الثاني عشر لـ "شبكة العلوم النفسية العربية"
[الأسبوع الأول - جانفي 2023]
د.جمال التركي
رئيس مؤسسة العلوم النفسية العربية
2023/01/01